

رائحة الورد.. وأنوف لا تشم

منتديات المكتب العربية
www.tipsclub.net
Amly

إحسان عبد القدوس

عندنا جحيم

ملقى على الأرض

يسمى .. جحيم المطلقات ..

إحسان

(١)

كانت سعاد قد عادت إلى « غرفة القفاد » التي أصبحت تسمى غرفة التليفزيون وألقت نفسها على الأريكة وهي تزفر تنهيدة تستريح بها من أعمال البيت .. الأعمال الشاقة المحكوم عليها بها منذ سنوات حكما مؤبدا .. ورفعت عينيها إلى بنائها الثلاث المتفرقات في الغرفة .. سهير جالسة على المقعد الكبير وقد رفعت ساقيها وتركتهما تتدليان من فوق مسند المقعد وأطراف ثوبها انزلقت حتى بطنها وكشفت عن كل لحم الساقين .. وسميرة جالسة على مقعد آخر تقرأ كعادتها في كتاب .. وسامية جالسة بجانب التليفون وهي تنظر إليه في غيظ وتطلق أنفاسها في زهق .. والصمت يخيم على الجميع .. وسعاد تنقل عينيها بين البنات الثلاث في نظرات حائرة كأن في عقلها سؤالا يبحث عن جواب ..

وقامت سامية من جانب التليفون وضغطت على مفتاح التليفزيون .. وقالت أمها سعاد في هدوء :

- ليس هذا وقت التليفزيون .. ليس فيه إلا دروس للطلبة .. دعينا نرتاح من الدوشة ..

وأطفاَت سامية التليفزيون وعادت ووقفت أمام أمها وقالت في لهجة تمثيلية من خلال ابنسامتها :

- آسفة يا مدام ..

وعادت إلى التليفون ووضعت يدها على السماعة تتحسسها كأنها تغريها بأن ترن ..

وعادت سعاد تهيم بنظراتها بين بناتها الثلاث .. والسؤال الثالث .. والسؤال الثالث يتردد في داخل عقلها ويستحوذ على كل خيالها .. متى تتزوج البنات وكيف تتزوجن .. ربما كان سؤالاً يتردد على عقلها وخيالها منذ ولدت كل منهن .. وسهر الآن في الحادية والعشرين من عمرها .. وسيرة في التاسعة عشرة تكاد تستكمل العشرين .. وسامية في السابعة عشرة .. ورغم ذلك فسعاد لا تستطيع حتى الآن أن تجيب على السؤال الذي يقلقها طول حياتها .

إنها تؤمن بأن ليس هناك مستقبل لأي بنت إلا الزواج .. ومهما قيل عن تطور حياة البنات وأنهن أصبحن الآن يبحثن عن العلم والعمل قبل أن يبحثن عن الزواج .. وأن عمل البنت أصبح يغني عن زواجها أو على الأقل أصبح العمل يتحمل تأجيل الزواج .. مهما قيل فهو كلام فاض سخيف .. فالبنات لا يمكن أن تستكمل حياتهن وتستكمل شخصيتهن الاجتماعية وتعيش الحياة بكل ما فيها من نعيم ومن متاعب .. لا يمكن أن تحقق شيئاً من كل هذا إلا بالزواج .. ورغم ذلك فهي لم تهمل إعداد بناتها لمتطلبات الحياة الحديثة .. لقد كانت حريصة على أن تكفل لهن التعليم وإن كانت لا تمنى أن ينتهي بهن التعليم إلى أن يكن عاملات .. كل ما تتمناه وتنتظره لهن هو الزواج .. وابنتها الكبرى لا تهوى العلم ولا تطبق المدارس ولا تحلم بدخول الجامعة .. إنها كأبيها لا تستطيع أن تعيش الحياة الجادة وتستسلم لكل ما يطلبه مزاجها الخاص .. الدنيا كلها هي وحدها بما تريده منها .. لذلك فهي لم تتم دراساتها الثانوية بعد ولا تزال تتقدم لامتحان الثانوية العامة بعد أن رسمت فيه عامين متتاليين ..

وابنتها سميرة شيء آخر .. إنها تكاد تكون منفرجة بكل إحساسها للعلم .. وقد حصلت على الثانوية العامة التي عجزت أهلها الكبرى عن الحصول عليها .. وهي اليوم في الجامعة بالسنة الأولى بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، وسعاد لا تدرى لماذا اختارت ابنتها سميرة هذه الكلية ولا تعلم شيئاً مما يدرس فيها ولا عن المستقبل الذي تعد له خريجيها ..

ولكنها تعلم أنها كلية صعبة ولا تقبل من الطلبة إلا أصحاب المجموعات العالية ، وهي فرحة لأن ابنتها نجحت بمجموع عال .. إن سميرة أقل بناتها في متاعبها ومشاكلها ومطالبها ولكنها جادة إلى حد لا يطاق حتى أن سعاد تخشاه كأنها هي كبيرة العائلة .. لعلها ورثت هذه الجدية عن جدها لأُمها .. لقد كانت سعاد تعلم عن أبيها أنه جاد إلى حد لا يطاق ..

وابنتها الصغرى سامية هي أيضاً شيء آخر .. لقد خيبت سامية أُمها يوم ولدت فقد كانت تعتمد أن تحمل حتى تنجب ولداً لعل الولد يزيد ارتباطها بزواجها ويغير من أحوال هذا الزوج فيخفف من متاعبه التي يصعب عليها .. ولكنها جاءت بنتاً .. ولكن برود الفرحة بها ما لبث أن تحول مع الأيام إلى كل الفرحة وكل الحب .. إنها جميلة .. كل بناتها الثلاث جميلات سامية أجملهن .. ولها شخصية مريحة ولكنها أيضاً شخصية عاقلة .. إنها ليست مهملة كأختها سهير وليست جادة إلى هذا الحد كأختها سميرة .. إنها تجمع بين الصدين وتضعهما في شخصية حلوة جذابة .. وقد استطاعت رغم شقاوتها أن تصل هذا العام إلى الثانوية العامة ولا شك أنها ستدخل الجامعة في العام القادم وتبقى الأخت الكبرى وحدها في المدرسة الثانوية ولعلها تترك المدرسة وتبقى في البيت .. إن سعاد تفكر إذا تركت سهير المدرسة أن تلحقها بمعهد لتعليم الخياطة لا على أمل أن تستطيع يوماً خياطة ثوب ولو ثوبها ولكن لمجرد ألا تبقى في البيت وتزداد متاعبها ..

وسعاد لا تهتم بحالة بناتها من الناحية الدراسية .. المهم أنه حتى الآن لم تبد أي بادرة تحقق الأمل في زواج إحداهن .. إنها هي نفسها تزوجت قبل أن تتم المئاسسة عشرة من عمرها .. وهي تعلم أن الظروف التي فرضت زواجها لن تتكرر بالنسبة لبناتها ولا تقبل أن تتكرر بل إنها تقنى عمرها لتحمين وتصد عنهن مثل هذه الظروف .. ولكن أين الظروف الأخرى التي تحقق زواج البنات .. إنها تمرق عقلها بحثاً عن مثل هذه الظروف .. ولكن لعل حياتها مع بناتها كزوجة مطلقة هي التي تبعد هذه

الظروف .. عائلة بلا رجل .. ويقال إن الحياة الاجتماعية هي التي تحقق لقاء البنت بالولد ولقاء العائلة مما ينتهي بتحقيق الزواج .. وهي لا تدرى أين تضع نفسها من الحياة الاجتماعية .. إنها هي نفسها لا تريد حياة اجتماعية .. إنها لا تستريح ولا يحقق سعادتها إلا بقاؤها وحدها داخل بيتها تخدم بناتها ، ولكنها كانت تضغط على نفسها حتى توجد هذه الحياة الاجتماعية .. كانت تفعل صداقات مع كثير من السيدات .. وتقبل على الزيارات .. وتحمل الدعوات وأحيانا تصحب بناتها معها إلى هذه الدعوات أو تصحب واحدة منهن كأنها تعرضهن على الناس للفرجة لعلها تصل بلحدهن إلى الزواج .. ولكنها كانت دائما تشعر في هذه المجتمعات بأنها شخصية ناقصة .. لأنها وحدها .. ليس لها رجل .. إنها لا تستريح أبدا وتشعر بشخصيتها كاملة إلا مع صديقها هدى لأنها مطلقة مثلها .. وهدى ليس لها ابن يصلح للزواج حتى يتبدل حل مشاكل كل منهما ..

ولمحت سعاد ابنتها سهير وهي ترفع ساقها العاريتين من فوق مسند المقعد ثم تقوم وتدخل غرفتها ..

وعادت هائمة مع السؤال الذي يسيطر على عقلها وخيالها ..

لماذا لا تصارح نفسها بأنها هي نفسها قد تكون سبب إعاقة الظروف التي يمكن أن تحقق زواج بناتها .. إن لها ماضيا .. ماضيا لا يزال الكثير من الناس يتذكرونه ولعلمهم يتذكرون به كلما وقعت أعينهم عليها .. وهم لا يعرفون عن ماضيها إلا ما سمعوه أو ما شهدوه من بعيد .. ولكنهم لا يعرفون ما فرض عليها هذا الماضي .. وكيف قاومته سنوات طوالا في أنون من العذاب .. كيف عاشت عمرا وهي مختبئة داخل البيت بعيدا عن الدنيا كلها حتى لا يلحق بها هذا الماضي .. إنهم لا يمكن أن يعترفوا لها بأنها ضحية .. ضحية من .. إنها هي نفسها تعاني الكثير لإفناح نفسها بأنها ضحية .. وتعاني أكثر في تحديد من تكون ضحيته ..

وعادت سهير إلى غرفة التليفزيون وقد ارتدت ثوبا للخروج وسأوت شعرها الناعم المدلى فوق كتفها واستكملت صباغة وجهها بالألوان وقالت في بساطة :

- إني خارجة يا ماما ..

وقالت سعاد وهي غير راضية :

- إلى أين ؟

وقالت سهير وهي تخطو نحو الباب :

- إلى صديقتي نيفين ..

وقالت سعاد في حدة :

- ألم نتفق على أن نبتعد عن نيفين هذه ؟

وقالت سهير وهي تضع أصابعها على قفل الباب :

- لم أستطع بعد يا ماما .. باي باي ..

وقالت سعاد وهي تنتهد :

- لا تتأخري عن الثامنة ..

ولم تسمع رد سهير قبل أن تخرج .. وعادت تنتهد كأنها في حسرة .. لقد عودت بناتها الثلاث على أن تتحمل كل منهن مسئولية نفسها في حياتها ونصرقاتها الخاصة بشرط واحد هو أن تقول لها كل شيء ثم تسمع رأيها فيما قالته .. وهي واثقة أن بناتها لا يخفين عنها شيئا .. لا يحملن سرا لا تعرفه .. حتى أدق التفاصيل .. حتى لو استسلمت إحداهن لقبلة شاب فإنها تقول لها عنها .. وربما كانت الوحيدة التي تفرط في القيلات هي سهير .. وسميرة لم تمسها قبلة حتى اليوم .. وسامية سمحت بقبلة واحدة على خدها .. وثقة سعاد في أن ليس بينها وبينهن أسرار هي التي تطمئنهن عليهن .. وهي لا تستطيع أن تحتفظ بهذه الثقة إلا إذا تركت كلا منهن

مسئولة عن نفسها .. وهى مسئولية يراعى فيها الحرص على عدم تحدى
أمنهن أو إغصابها مع حرصهن على أن يبحن لها بكل شئ .. لذلك فهن
حريصات على ألا يرتكبن خطأ لا يستطعن أن يبحن لها به .. وهى تعلم
أيضا أنهن يقدرن ظروف حياتهن .. فهن ثلاث بنات وأم يقمن فى بيت
وحدهن .. بلا أب .. بلا رجل .. لذلك فهن عرضة لكلام الناس ولتشويه
كل تصرف من تصرفاتهن أكثر من أى بنت أخرى .. إن سعاد واثقة من
كل هذا .. ومقتنعة أن تربية الأم لبناتها وهى وحدها لا شك تختلف عن
تربيتهن والأب معها .. لأن الأم تفهم طبيعة البنات أكثر مما يفهمها الأب ..
إنها نفس طبيعتها .. وهى تعطيهن ما كانت تتمناه لنفسها وهى فى سنهن
وتصورتهن من نفس التجارب التى مرت بها هى .. ولكنها رغم ثقتهن فى
الأسلوب الذى تربي به بناتها فهذه الثقة تهتز بالنسبة لسهير .. ولكنها
لا تستطيع أن تميزها عن أختيها بأسلوب خاص حتى لا تحس بأنها
تضطهدها .. وتخشى ما يمكن أن يدفعها إليه إحساسها بالاضطهاد .. إنها
لا تملك إلا الاستسلام للقدر ..

ولم تمض دقائق على خروج ابنتها سهير حتى دق جرس التليفون
وخطلت سامية السعادة فى لهفة ثم حملت التليفون وجرت به إلى داخل
غرفتها .. إن سعاد هى التى جعلت للتليفون هذا السلك الطويل الذى يمكن
أن يجره إلى كل غرف البيت .. وقد فعلت ذلك حتى تستطيع أن تتكلم فيه
وهى راقدة على فراشها وخصوصا فى أيام مرضها الذى نعانىه كل شهر ..
ثم لأن السلك الطويل يعتبر مظهرا من مظاهر رقى البيت ويكورا فى
تجميله .. ولكنها تمر عليها فترات تغناظ فيها من هذا السلك الطويل .. إنه
يحررها من سماع ما نقوله البنات فى التليفون إذا صحبتته بعيدا عنها .

وعادت سامية تحمل التليفون وتعيده إلى مكانه وهى تقول من خلال
إبتسامة واسعة تطلق السعادة على كل وجهها :

- إنى نازلة يا ماما ..

وقالت سعاد ومعادة ابنتها تنعكس عليها :

- إلى أين يا بن الله ..

وقالت سامية مرحة :

- سأقابل أحمد ..

وقالت سعاد وهى تحتضن ابنتها بعينيها :

- لا تتأخرى ..

وقالت سامية ضاحكة :

- لقد عودته على ألا ينقى فى أى لقاء أكثر من ساعة وإذا كانت هناك
مواضيع هامة فتكون ساعة ونصف ..

وقالت الأم وابنتها تنبض فى قلبها :

- إذا احتجتما إلى هذه النصف ساعة فتعالى به لتقضيها هذا ..

واتعنت سامية تقبل خد أمها ثم جرت خارجة ..

إنها تثق فى سامية منتهى الثقة .. وتتركها تخرج للقاء صديق وهى
مطمئنة غاية الاطمئنان .. وأحمد هو أول صديق تختاره .. إنه شقيق إحدى
زميلاتها فى المدرسة .. ولم تكن أخته صديقة كاملة لسامية ولكنها منذ أن
التقت بأحمد معها صدفة فكأنما انبهر بها وبدأ يستغل أخته ليراه
ويحادثها .. وسامية بدأت توطد صداقتها بأخته تربية بعد أن انجذبت إلى
أحمد وأصبحت تريد هى الأخرى أن تراه وتحادثه .. إلى أن اعترفا
بالحب .. وهو حب تفرض عليه سامية عقدا وشخصيتها .. إن الحب كما
تحس به ليس متعة بين فتى وفتاة .. إنه راحة .. مجرد راحة .. وهى تنعم
بالراحة كلما التقت بأحمد .. راحة لا تحتاج إلى أكثر من لقاء العينين ولقاء
فى حديث لا ينتهى .. وقد مضى عليهما الآن أكثر من ستة أشهر ولم يكفا
عن اللقاء دون أن تترك له حق تبادل القبلات .. لم تكن سوى هذه القبلة

الواحدة التي من بها خدعا .. وقالت سامية لأنها كانت قبله تهنته بعد أن غلبته برأيها في حديث ..

وكانت سامية قد سبق أن دعت صديقها أحمد إلى البيت .. قالت له إنه لن يعرفها إلا إذا عرف أمها فهي لم تعرفه كله إلا بعد أن عرفت أمه وأباه خلال زيارتها لأخته .. وعندما أبلغت سامية أمها بأن أحمد سيزورهم احتار الأم برهة .. ولكن لم لا يزورهم صديق ابنتها .. إن البنات الآن كالولد تستطيع أن تدعو أصدقاءها الأولاد كما يدعو الولد صديقاته البنات .. ثم إن بيت العائلة يفرض الاحترام والمهابة على أى لقاء بين بنت وولد .. صحيح أنها تعلم أن بعض الأولاد قد يستغلون بيت العائلة للانفراد ببنت في غرفة النوم .. ولكن هذا لا يمكن أن يحدث بالنسبة للبنات .. إن البنات إذا دعت صديقا إلى بيت العائلة فإنها تبقى معه طول الزيارة تحت رقابة الأم .. ثم إن التطور وصل إلى حد أن البنات أصبحت هي المسئولة عن البحث عن الزوج .. وليست الأم ولا الأب ولا العائلة هي التي تبحث وتفرض على البنات مصيرها .. إن صديقها صقية هائم لها أربع بنات تزوجن زيجات ناجحة .. وكل بنت هي التي بحثت عن زوجها وبدأت بتقديمه إلى أمها كصديق أو زميل وتنتهي الصداقة إلى الزواج .. إن مجرد تقديم صديق البنات إلى عائلتها يعنى أن الطريق الوحيد بينهما هو طريق الزواج ..

ورحبت سعاد بزيارة أحمد صديق ابنتها .. وقد جاء وحده .. وأعجبت به سعاد وقضت الزيارة وهي تسأله أسئلة تحت ستار الترحيب والحديث البريء .. وهي تريد بهذه الأسئلة أن تعرف عنه أكثر مما تستطيع .. إنه أكبر من ابنتها بحوالى خمس سنوات .. وفي السنة النهائية من كلية الهندسة وسينخرج ليكون مهندسا معماريا .. ولن يقل أى وظيفة في الحكومة وسيميل مع أبيه الذي يملك شركة مقاولات كبيرة .. وسأله عن أبيه .. وإخوته .. حتى قالت سامية ضاحكة :

- ماما تحاول أن تعرف عنك كل شيء حتى تطمئن عليك .. اطمئني يا ماما ..

ورد أحمد على ضحكة سامية بضحكة ممزقة تبدو حائرة دون أن يقول .. كأنه حائر لا يدري ما هو المفروض أن يقوله .. وخفف من حيرته اختى سامية بدأت تأخذان أحمد من أمهما بل وتحاولان أن تأخذه ، من سامية .. ومسميرة الجادة تناقشه في أثر ترك رأس المال الحر في السيطرة على بناء العمارات .. وأصبحت زيارة يغلب عليها روح الشباب ..

وعندما قامت سعاد تودع أحمد كانت بين شفتيها ابتسامة واسعة تفيض سعادتها كأنها تودع خطيب ابنتها رغم أنه لم تبت أى بادرة لخطوبة خلال الزيارة .. إنها مجرد زيارة صديق .. ولكن سعاد ما كانت تعود وتجلس جلستها حتى اخفقت ابتسامتها وتمكرت نظرات عينيها كأنها فوجئت بصمة .. لقد جاء أحمد وحده .. وليس في البيت سواها هي وبناتها .. ترى ماذا يقول الناس عندما يعلمون أنها تفتح الباب لأصدقاء بناتها .. ربما تصل الستين إلى حد التشنيع عليها بأنها تبيع لبناتها الرذيلة حتى أنها تبيع لكل بنت الانفراد بصديقها داخل البيت .. أو ربما تخيلوا أنها هي نفسها تصطاد الشبان لبناتها .. لا .. لا يمكن أن تترك أى بنت تدعو صديقها إلى البيت .. إن العائلات التي لحقها التطور وأصبحت تستقبل أصدقاء البنات هي عائلات كاملة .. كل عائلة لها رجل .. كل بيت فيه أب .. ومجرد وجود الأب يصور صورة مثل هذا التطور .. وصديق البنات الذي يدخل إلى بيت فيه أب لا يمكن أن يتهم بسوء النية كما لا يمكن أن تتهم الأم بالتفریط في سمعة ابنتها أو تتهم البنات بأنها سايبة بلا رقيب ولا حسيب .. لا .. لا يمكن أن يسمح للبنات بأن يدعين أصدقاءهن إلى البيت .. ولكن .. ربما كانت هناك وسيلة لتحقيق هذا التطور الذي يضع البنات في نفس مستوى الولد .. كل منهما حر في البيت .. التطور الذي أصبح الطريق الأسهل لتحقيق الزواج .. إنها لا تريد أن تغلق أبواب الزواج في وجه بناتها .. إنها مستعدة

فى كل مرة تدعو فيها سامية صديقها إلى البيت أن تدعو هى أولاد أختها معه حتى لا يكون وحده .. وإن كان ليس بين بناتها وأولاد أختها أى صداقة أو حتى تقام .. إنهم كلما اجتمعوا فى مناسبة يبدون كأنهم لا يطيقون بعضهم البعض ويدخلون فى مناقشات تحد بين الأولاد والبنات كأنهم فى حرب وقد نظموا أنفسهم فى خطوط قتال .. إن هناك فارقا كبيرا بينها وبين أختها انعكس على بناتها وأولاد أختها .. ولكن هناك وسيلة أخرى أسهل فى لقاء كلام الناس كلما زارهم أحمد .. لماذا يأتى لزيارتهم وحده .. لماذا لا يأتى للزيارة مع أخته درية .. إن مجرد وجود أخته يؤكد أنها مجرد زيارة أصدقاء ..

وقد فانتحت ابنتها سامية فى الموضوع وقالت فى رقة كأنها تحاول التسلل إلى عقلها :

- يجب أن تقدرى أننا نعيش فى بيتنا بلا رجل .. بلا أب ولا أخ .. وزيارة أحمد قد تثير كلام الناس .. ونحن نعانى الكثير من كلام الناس ..

وقالت سامية فى صوت رقيق هادئ :

- لقد تعودنا على ألا نهتم بكلام الناس .. وعندما أدعو أحمد إلى البيت فإنى أريده أن يعرف كل حياتنا وكل طبيعتنا حتى يكون أقوى من أن يؤثر فيه كلام الناس ..

وقالت الأم وهى تبسم فى رجاء أن تقنع ابنتها :

- إنى أحببت أحمد واسترحت له ولكن كل ما أعنيه هو الاحتفاظ بالمظهر اللائق بنا .. لماذا يأتى لزيارتنا وحده .. لماذا لا يأتى مع أخته درية حتى نستكمل المظهر العائلى .. وحتى يرى الناس أن بنتا تزور بنتا .. نعدى أن تدعى أخته درية معه فى كل زيارة ..

وقالت سامية ضاحكة :

- سيتساءل الناس لماذا يأتى أحمد إلينا مع أخته .. ثم إن كل قيمة درية بالنسبة لى هى أنها أخت أحمد .. وهى نفسها تحس بذلك حتى أنه فى المرات التى زرتها فيها وأحمد هناك كانت تتعمد أن تتركنا وحدنا أطول مدة مادامت أمها وأبوها ليسا معنا .. لا لتتركنا للقلبات فهى تعرف أنى لا أسمح لأخيها بالقبل .. ولكن لمجرد أن حديثنا أنا وأحمد لا يهمها .. لا يسليها ..

وقالت الأم وقد تركت ابتسامتها المتعمدة :

- أنا لا أحتمل التنازل عن المظهر الاجتماعى ..

وقالت سامية فى صوت عال ولكن بلا حدة :

- يا ماما إن كل المظاهر الاجتماعية تطورت وتغيرت .. وكل من أعرفهم من البنات أصبحن يدعين أصدقاءهن الشبان إلى البيت ويقمنهم إلى الأم والأب والإخوة ..

وقالت الأم وكأنها تتحسر :

- ربما كنت أستطيع أن أعيش هذا التطور لو كان فى البيت أب أو أخ .. ولكن .. كما قلت لك .. يجب أن تقدرى أننا وحدنا .. ومهما استسلم الناس لهذا التطور فإنهم يعيشون الواقع .. وهو أن البنت بنت .. والولد ولد .. وكل منهما فى حاجة إلى صيانة من الآخر .. وهذا الواقع هو الذى تنطلق منه ألسنة الناس ..

وصمتت سامية برهة تفكر ثم قالت من خلال ابتسامة تحتضن بها أمها :

- إن أدعو أحمد وحده .. ولكنى سأدعو أخته درية وحدها .. وسأكثر من دعوتها .. وسأقنع نفسى بأن دعوتها هى دعوة أحمد .. ولو أنى لا أنق

قيها ولا فى لسانها .. وأحمد لى يكون له مكان للقائى إلا الشارع .. هل استرحت يا مدام ..

وابتسمت الأم راضية .. إن ابنتها سامية حريصة دائما على راحتها وعلى إرضائها حتى لو تنازلت عن رأيها من أجلها وعما تريده لنفسها .. وأحصت أنها انتهت من حل المشكلة وعادتها الفرحة بروية أحمد .. وأحسّت كأنها تتمنى لو أنها رأت أيضا صديق ابنتها سهير وهى تعلم أن لها كثيرا من الأصدقاء ولكنها لم تقدم لها أى صديق .. أما ابنتها سميرة فلا تعلم أن لها صديقا ..

• •

وظلت عينا سعاد معلقة بالباب الذى خرجت منه سامية وكأنها تتبعها بخيالها وهى تصل إلى الشارع ثم وهى تلتقى بأحمد ..

لم يبق فى البيت إلا هى وسميرة .. وقد عودتها سميرة على ألا تفتح معها مجالا لإثارة موضوعات حديث .. كأنها تعتبر أن أمها ليست فى مستوى يجمع بينهما فى أى موضوع .. ولا تقبل على حديث إلا إذا أرادت أن تبدى رأيها فى شيء تريده .. فى ثوب تشتره .. أو فى طعام تريد إعداده .. وأحيانا تدخل فى نقاش طويل يخص ميزانية البيت ..

وقد قامت سميرة من مقعدها وانتقلت لتجلس إلى المكتب الصغير الموضوع فى جانب من الغرفة .. وأخرجت قلما ومجموعة من الورق .. ثم مدت يدها والتقطت نظارتها ووضعتها فوق عينيها وبدأت تكتب ..

إن سعادة متأكدة أن ابنتها سميرة ليست فى حاجة إلى نظارة تكتب وتقرأ بها .. ولم تقل يوما أنها فى حاجة إلى طبيب عيون .. ولكن سعاد فوجئت بها يوما تعود ومعها نظارة تخرجها من حقيبتها وتضعها على عينيها .. وتقرأ .. وسألته سعاد بدعشة :

- ما حكاية هذه النظارة .. ماذا حدث لعينيك ؟

وقالت سميرة فى بساطة :

- إنى أستريح أكثر وأنا أقرأ بهذه النظارة ..

وقالت الأم فى انزعاج :

- هل ذهبت إلى طبيب ؟

وقالت سميرة فى بساطة :

- ذهبت .. وقال لى إن نظرى سليم ولكن فى عيني نوعا من

الحساسية ..

وقالت لها أمها فى لوم :

- ولماذا لم تقولى لنا إنك فى حاجة إلى طبيب عيون ..

وقالت سميرة فى هدوء :

- لم أكن أشعر بحاجة إلى طبيب ولكنه خاطر خطر لى صدفة .. وقد

دعمت ثمن النظارة من المبلغ الذى أخذته لشراء الكتب .. وهذه هى

العائنة .. وفى انتظار أن تردى لى مادفعته .. لو سمحت ..

ولم تجادلها سعاد .. ولكنها بعد أيام وجدت نظارتها ملقاة على المكتب

فأخذتها وجربتها على عينيها هى .. إنها لا تشعر بأى تأثير لها على

عينيها .. كأنها قطع من الزجاج العادى .. وابتسمت سعاد .. لعل ابنتها

أرادت هذه النظارة ليكون لها مظهر الأساتذة الدارسين .. إن معظم الأساتذة

الكبار يعيشون وراء نظارات على عيونهم .. ولعلها خدعت طبيب العيون

الذى ذهبت له وادعت أنها تعاني من القراءة والكتابة فأوصاها بهذه النظارة

دون أن يكتشف أن فى نظرها أى نقص .. إن الأطباء يعالجون مرضاهم

أحيانا علاجا نفسيا ولعل ما اكتشفه الطبيب أن كل ما فى هذه البنت حالة

نفسية تلح عليها أن تضع على عينيها نظارة ..

ولكن الواقع هو أن النظارة تبرز جمال سميرة .. إن جمالها يختلف عن جمال أختها سهير وسامية ربما لأنها أخذت من ملامح أبيها بينما أختاها أخذتا أكثر من ملامح أمهما .. ولكنها جميلة .. وهى تحس بجمالها .. إحساس هادئ لا يتدخل فيه عنصر التباهى أو التفريط فى إبرازه .. كأنها تحترم هذا الجمال وتحرص على صيانتة .. وهى تصونه بمجهود كبير متعمد فى اختيار مظهرها .. فى الاهتمام باختيار ثيابها .. بل إن أختها تنهانا بأنها مصابة بعقدة الأحنية .. فهى تهتم جدا فى اختيار أحنيتها وتشترى أكثر مما تحتاج إليه كلما استطاعت أن تشتري .. ثم تهتم جدا بعقصة شعرها وتلوين وجهها .. وذوقها يختلف اختلافا كبيرا عن ذوق أختها .. وهو ذوق يميل إلى احتفاظها بشخصيتها الجنية .. لا تلبس ثيابا زاهية وتتعمد ألا تكشف عن صدرها أو كل ذراعيها .. والألوان لمسات خفيفة على خديها وشفتيها وحول عينيها .. وعقصة شعرها تلمه كله كأنها ترفض أن تتركه يجرى وراء الناس لإغرائهم .. إنها جميلة جمالا محترما جادا .. رغم ملامح أبيها التى تحملها ..

وقفز التساؤل إلى عقل وخيال سعاد وهى تملأ عينيها بوجه ابنتها سميرة الجالسة قبالتها .. متى تزوج وكيف .. إنها لا تتكلم أبدا عن صداقة خاصة بينها وبين رجل .. غاية ما يحدث أن تحكى لهم أحيانا عن مناقشات ثارت بينها وبين أحد الأساتذة أو أحد الزملاء .. وسعاد الأم واثقة أن سميرة لا تخفى عنها شيئا .. وأن هذه قد تكون طبيعتها فى عدم الإحساس بحاجتها إلى رجل ولو كمجرد صديق .. ولكن أمها سعاد ليست مقتنعة بهذه الطبيعة .. وليست مكتفية بتفوقها الدراسي رغم فرحتها بها .. إنها لا ترى مستقبلا لها إلا كزوجة .. فكيف تزوج ومتى .. هى وأختاها .. أم أن الظروف التى تتخيلها والتى تعتقد أنها تحول دون زواج بناتها ستستمر إلى الأبد .. الظروف التى قد تكون هى التى كانت السبب فى إحاطة بناتها بها .. الظروف التى ترفض سمعتها بين الناس .. سمعة يطلقها ماضيها ..

إن المثل الشعبى يقول .. اكفى القدرة على قمها تطلع البنت لأمها ! لعل الناس تعتقد أن بناتها سيكون مستقبلهن امتدادا لماضى أمهن ..

ورفعت سعاد أصابعها وأخذت تفرك فى عينيها كأنها تحاول أن تفيق من خواطر ماضيها .. لماذا تشغل نفسها بكل هذه التساؤلات .. إن بناتها لا يزلن صغيرات ولا يمكن أن تخاف أن يفوتهم الزواج .. إن البنت لا تزوج هذه الأيام وهى فى السادسة عشرة كما تزوجت هى .. قد تزوج البنت فى الخامسة والعشرين أو فى الثلاثين دون أن يحس الناس بأنها تأخرت .. هذه هى الحياة الجديدة ويجب ألا تشغل نفسها بشيء .. إنهن صغيرات .. ولكنها مالبثت أن شددت أصابعها التى تفرك بها فى عينيها وألقت ببديها بجانها .. وأغمضت جفنيها .. وتركزت خيالها يأخذها كلها إلى ماضيها ..

(٢)

وهامت سعاد في تكريات ماضيها ..

إنها منذ تفتح وعيها وهي تحس أنها في حيرة .. وقد أثرت هذه الحيرة
في تكوين شخصيتها .. أصبحت تتميز بقلّة الكلام .. لا تقول إلا الكلمات
الضرورية التي تعرض نفسها على لسانها .. وإن كانت أحياناً وفي فترات
معدة تقع في حالة عصبية تطلق لسانها بكلام طويل لا تدرى هي نفسها
.. قالت به .. كأنها حالة تدفعها إلى الصراخ فتصرح بالكلام .. وأصبحت
تصر أيضاً بأنها لا تحاول التنحل في حياة الناس .. ولا تهتم بمعرفة أخبار
من يحيطون بها سواء من أفراد العائلة أو من صديقاتها ولو لمجرد التسلية
بنقل الأخبار .. وهي لهذا لم تكن تبذل مجهوداً في اكتساب الصديقات
والمعارف فكان كل صديقاتها ومعارفها مجرد ناس وجدتهم في حياتها ..
.. إنها والعمر يمتد بها لم تكن تحس بأنها جميلة كل هذا الجمال .. هذه
لشرة البيضاء المضمخة بعصير الورد .. والمينان الملونتان بلون
المسك .. والشعر الناعم السواد الذي ينرلق حتى يكتفيها كأنه شلال
من الليل السعيد .. إنها أجمل من أمها ومن أختها ومن كل البنات .. وهي
تعرف أنها جميلة ولكنها لا تحس بهذا الجمال ولا تجعله محور حياتها
وتحاول استغلاله .. إنها تبدو كأنها منعزلة داخل نفسها حتى يكفيها من هذا
الجمال أن تمتع به نفسها كلما وقفت أمام المرأة .. وربما كان هذا الانعزال
هو الذي دفعها إلى إيمان الحركة .. إنها تتحرك منذ نصحوا إلى أن تمام ..
وهي لا تتحرك بالخروج خارج البيت .. إنها تكتفي أعلى أيامها ووقتها
بالحركة داخل البيت .. وربما كانت تركز حركتها في أصابعها .. إن

أصابها دائما تعمل شيئا .. لذلك عرفت من صغرها بأنها تهوى أعمال البيت .. ويبتدرون عنها بأنها ستكون نعمة على الرجل الذى يكون من بخته أن يتزوجها لأنها مدت بيت ممتازة .. كانت تجيد أعمال البيت .. وعلمت نفسها أعمال التزيكو .. بل علمت نفسها الخياطة دون أن تذهب إلى المدرسة ، إنما بمجرد مراقبة الخياطة التى كانت تسمعين بها أمها وتستدعيها إلى البيت .. إلى أن أصبحت بعد أن كبرت تصمم على أن تحيك ثيابها بنفسها ولا تعتمد على حائكة كما فعل أمها وأختها .. ولعل طبيعتها المنعزلة هى أيضا التى دفعتها إلى التعوق فى المدرسة الفرنسية التى التحقت بها وهى صغيرة .. ورغم أنها لم تتم تعليمها فى هذه المدرسة فهى اليوم تتحدث الفرنسية بطلاقة لا يصل إليها من أتمن تعليمهم .. وهى لهجتها عندما تتكلم الفرنسية رنة خاصة كأنها من بنات باريس ..

وكل تفاصيل شخصيتها كانت انمكاسا لإحساسها بالحيرة الذى بدأ مدد فتع وعبها .. حيرة تدفعها إلى محاولة الهرب منها بشغل نفسها بالحركة وتشغيل أصابعها ..

حيرتها بين أبيها وأمها ..

كان أبوها طبيباً .. طبيب أسنان .. ولعله لم يكن طبيبا مشهورا كما لم يكن أستاذًا فى كلية طب الأسنان كبقية كبار الأطباء .. ولكنه كان منفرعا لمهنته ويحقق منها دخلا إن لم يكن ضخما فهو دخل يوفر للعائلة حياة كاملة وفى مستوى راق ولا ينقصهم شيء وإن لم يستكملوا كل مظاهر الغنى .. وأول ما عرفت سعاد عن أبيها أنه صامت دائما ، وجاد فى صمته منبهى الجدية حتى يبدو كأنه يعتمد افتعال هذه الجدية .. حتى علاقته بأطفاله كانت حادة .. يقوم من النوم فى الصباح ويمر عليهم ويقول لكل منهم من بعيد .. صباح الخير .. ثم يتشعل بنفسه ويخرج من البيت دون أن يحسوا به .. ويعود من عمله ويظهر إليهم من بعيد دون أن يفكر فى تقبيل أحد منهم أو

بأحدا يقله .. ثم يجلس معهم على مائدة العشاء صامتا ويترك الحديث .. لأهم أو بين بعضهم وبعض .. وإما أن يبقى وحيدا يقرأ .. وحياته فى بيت كلها قراءة .. وإما أن تلحق به أمها ويبدأ الأولاد الأطفال فى سماع الأصوات .. وصوت أمها هو الذى يحمل كل الصباح .. إن سعاد منذ بدأت سمع وهى تسمع صباح أمها وهى فى معركة مع أبيها .. ورغم صمت أمها وحنينته الدائمة التى تبلغ حد الانعزال فقد كانت سعاد تحبه أكثر .. وهو حب يتضمن الإحساس بالشفقة عليه من أمها ..

إن أمها شيء آخر .. إنها امرأة جميلة والذكاء يطل من عينيها كأن فيها لا يتسع لكل نكاتها فينفس عن نفسه من خلال العينين .. وهى لا ترال سعاد حتى بعد أن أنجبت ثلاثة .. انتبتها الكبرى نحوى .. وابنها رشيد .. وابنتها الصغرى سعاد .. كأنها لم تصل بعد إلى الأربعين من عمرها .. هى المسيطرة سيطرة تامة على البيت كله والعائلة كلها بما فيها روحها .. هى ليست مغرطة فى حنانها كأم وإن كانت حريصة على تغطية كل حساباتهم .. وربما تميز ابنها رشيد بحسن واهتمام أكثر من حنانها واهتمامها الذى تعطيه للبنتين .. وسعاد منذ بدأت تسمع المشاجرات نصيحات التى تصبها أمها على أبيها وهى تعجب .. ولكنها لا تتدخل .. لا تحاول أن تسأل الأم ولا الأب .. لقد أخذت هذه المشاجرات على أنها محرى عادى من مجريات الحياة بين الأزواج .. ولكن لماذا يختر الرومان هذا المعرى .. وأوصلتها حيرتها إلى الاقتناع بأن أمها لا تحب أباه .. ثم بدأت تكتشف أن أمها لها حياة ثانية .. لعلها تحب رجلا آخر .. وهى لاحظت أمها وهى تحمل التليفون وتدخل به إلى حجرتها وتعلق وراءها الباب ثم تقضى وقتا طويلا فى حديث لا يسمعه أحد من أهل البيت .. ثم تراها هى تستعد للخروج وتقضى وقتا طويلا فى تزيين نفسها بعد أن تكون قد لحلت الحمام واستحمت .. إنها ليست فى كل مرة تخرج من البيت تبذل كل هذا الجهد فى إعداد نفسها أو تحل الحمام لتستحم .. لا شك أن لها

رجلا آخر .. عثيفا .. إن الأم لا يمكن أن تخفي عن ابنتها أسرارها ..
إن كلا منهن قادرة بطبيعتها على أن تكشف أسرار الأخرى .. وأختها
نجوى أيضا كشفت سر أمها .. وكانت عندما تأخذ التليفون وتدخل غرفتها
وتعلق الباب وراءها تنظر بنجوى إلى سعاد وتتسمان ساخرتين من السر
الذى اكتشفناه ..

ومضت السنوات إلى أن جاءت أيام اشتدت فيها المشاجرات
والصياحات التى تصبها الأم على الأب .. كل الأيام وكل الساعات التى
يكور فيها الأب فى البيت مشاجرات وصياحات .. إلى أن فوجئ بالأم تحمل
حقيبة وتخرج من البيت إلى بيت أهلها دون أن تنظر فى وجه أولادها أو
تقول لهم كلمة ..

إنها تريد الطلاق ..

ولكنها بعد أن وصلت إلى أهلها أرسلت تدعو إليها البنين وأجلستهما
أمامها بعد أن احتضنت كلا منهما وقبلتهما على غير عادتهما ثم بدأت تتكلم
بعد أن تركت دموعها تسيل من عينيها :

- لم أعد أستطيع الحياة مع أليكسا .. لقد تروجته وأنا لا أعرفه .. ومنذ
اليوم الأول وأنا أحاول أن أحبه .. وكنت أنتظر بعد أن أحبتكم أن يتغير
ويصبح شخصية أستطيع أن أحبها .. ولكن لم يتغير شيء فيه .. ولم أأبس
من تغييره بعد أن ولدتك يا نجوى نعمت أن أنجب مرة ثانية وجاء رشيد
ثم مرة ثالثة وجئت أنت يا سعاد .. كل ذلك على أمل أن يغير إحساسه
بالأبوة من طناعه .. ولكن لم يتغير فيه شيء .. وأنا أحمل الحياة معه
وأصعب بمسألتى وأتعذب وكل ذلك من أجلكم لا من أحله .. ولكنى لم أعد
أستطيع أن أتحمل .. لقد تركته ولن أعود إليه أبدا .. وأنا واثقة أنكما
وصلتما إلى السن الذى تستطيعان فيه أن تحققا لى راحتى وتريحانى من
العذاب ..

والحدقت بنجوى وسعاد على أمهما وهما تكيان وتتوسلان :
لا يا ماما .. ارجعى إلى بابا .. كيف نعيش بعيدا عنك أو عن بابا ..
وقالت الأم كأنها تنهرهما :

لقد عشت من أجلكما ومن أجل أحيكما رشيد ، وأصبح من حقى
نصب منكما أن تعيشا من أحدى .. واسمعى يا نجوى .. إلى أن ينتهى
وسفر كل شيء فكونى أنت المسئولة عن البيت .. وسأنتص بك فى
للمن كل صباح لأتفق معك على كل ما يحتاج إليه البيت ..

وابتعدت عنها نجوى وهى تمسح دموعها وقالت فى حدة :

- أنت تعلمين أنى لا أطيق شغل البيت ولا أفهم فيه شيئا ..

وسكنت الأم برهة .. إن نجوى دائما جريئة عليها وقادرة على
حبها .. ثم التفتت إلى سعاد وقالت وهى تبذل فيها بعينيها كأنها تريد
بطمين إلى رأى فيها وقالت :

- أنت يا سعاد معروفة بأنك ست بيت ممتازة .. تحملى أنت
مسئولية ..

وقالت سعاد فى استسلام كماداتها دون أن تفكر فى هذه المسئولية التى
حملها لها أمها رغم أنها لاتزال فى العاشرة من عمرها :
- حاصر يا ماما ..

وقالت الأم وهى تتفعل ابتسامة تحاول بها أن ترضى ابنتها :

- ربنا يفيك لى يا ابنتى .. أنا واثقة أنك شاطرة .. أشطر من
نجوى .. وهى مسئولية بسيطة .. وستحدث فى التليفون كل صباح قبل
أن تنتهى إلى المدرسة وألك على كل شيء ..

واستمر الحديث مدة والبنات لا تكلم عن الإلحاح على الأم بأن تعود
إلى أبيهما .. إلى أن قالت لهما :

— قوما أنتما إلى البيت حتى لا نتركه وحده .. وإذا سألكما أحوكما رشيد عنى قولا له ابنى سألقى مع أمى لأنها مريضة ولا تذكرنا له شيئا عن طلاقى من أبيه ..

وعانت البنات وكلتاها لا تصدق أمهما فى كل ما قالته .. ليس أبوهما هو السبب فى إصرارها على الطلاق .. السبب هو أنها لا تحبه وأن هناك رجلا آخر دخل حياتها .. من يدري .. ربما تزوجت هذا الآخر ..

وقد استطاعت سعاد أن تتحمل فعلا مسئولية البيت رغم أنها لاتزال فى العاشرة .. بل إنها كانت سعيدة فرحة بهذه المسئولية التى تشغلها عن التفكير فيما يحيرها .. بل تشغلها حتى عن الاهتمام بطلاق أمها .. وربما أضافت شيئا جديدا على حياة البيت وهو التركيز على الاهتمام بأبيها .. إنها بدأت تراعيه كأنه طفل وهى الأم التى تراعيه وتكفل له كل شيء حتى أنها عرست عليه أن قدام بجانبه إلى أن تعود إليه أمها .. ولم يرد عليها أبوها فبدأت هى تترك فراشا بالليل وتذهب إلى فراشه .. إن قلبها ينحصر إشفافا عليه حتى أنها كانت تعتمد أن تقبله كل صباح قبل أن تذهب إلى المدرسة على غير ما تعودته .. ولكنه فعلا لا يتغير .. إنه لا يزال يفضل الصمت ويكسو نفسه بالجدية ويقابل كل ما تقدمه له بهذا الصمت وهذه الجدية دون أن يحاول ولو تديليا كاسته الصغرى .. وقد كانت تحس أنه يتعذب لهجر أمها ولكنه لا يعبر عن عذابه إنما هو عذاب يكسو وجهه ويملا عينيه .. وقد عرفت أنه يسعى كثيرا لإعادة زوجته ولكنه لم يستطع أن يقبها ، بل إن عائلتها كلها كانت مصرة على الطلاق .. لايد أن هناك ما يعرى العائلة ويدفعها إلى هذا الإصرار .. لعل العائلة تفضل أكثر زوجا جديدا ..

ومضت شهور إلى أن تم الطلاق ..

وكان أبوها كريما صافيا فى إحساسه . تغلته العدالة الواقعية فترك البيت ليعود أمهم وتعيش مع أبنائه .. ولكن الأم لم ترحب وتفرح بهذا الكرم ..

• يريد أن يبقى الأولاد معه وهى ليست فى حاجة إلى البيت .. ولكنه حسا على أن يترك البيت والأبناء لها .. إنه لا يستطيع أن يتولى تربيتهم .. ، من دفع نفقات تربيتهم من قبل أن تطالب أمهم .. إنه أب راع ..

• سعاد تزداد سخطا على أمها .. إنها لا تكرها ولكنها ساخطة عليها .. بصرفاتها .. إنها لن تكون أبدا كأماها . ولن يكون لها أبدا حية ولا شخصية كحياة وشخصية أمها ..

وقد بدأت سعاد تحس منذ انعدت أمها بالحياة معها ومع أختها وأخيها .. تعيش كل أفكارها وحياتها بعيدة عنهم .. إن كل أفكارها وحياتها مع الرجل الآخر .. مع التليفون .. ومع إعداد نفسها لتكون امرأة مثيرة كلما ذهب للقاءه .. ومع مجموعة من الصناعات يبدو أنهم يشترك معها فى سر الحطط .. ولم يبق منها كأم إلا قيامها بالواجبات الروتينية بلا اهتمام بأهل وبلا عواطف الحسان التى يعيش فيها الأبناء .. بل كان يبدو أحيانا لها نحيق بمجرد حياة أبنائها معها وتتمنى لو أبعدتهم عنها ..

إلى أن دخل الرجل الآخر حياتهم .. تزوجت الأم .. وهو يبدو إنسانا محسرا هادئا وسيما .. ويبدو أنه فى منتهى الثراء .. ولكنه يبدو عجورا .. إنه أكثر سنا من أبيها .. وقد عرفوا أنه لا يزال محتفظا بزوجه الأولى .. ر زوجته الأولى هى الروجة الكاملة وهى التى يظهر بها فى المجتمعات ، ليس بينه وبين زوجته الثانية .. أمها .. إلا أنه أتى إليها ثلاث أو أربع مرات فى الأسبوع ويتناول معها طعام الغداء ثم يدخل بها إلى حجرة النوم يسرع ثم يحتفى قبل الساعة السادسة ليذهب إلى مكتبه أو إلى زوجته الأولى .. لم يقص ليلة واحدة مع زوجته .. وربما كان يحتفظ بهذا الزواج كسر فى حياته بينما أمها تعلمه وتعتمد إعلانه فى كل حياتها ..

وقد فاض ثراه عليهم كلهم منذ تم الزواج .. انتقلوا إلى شقة واسعة اتعة فى الزمالك تولت الأم تأنيثها .. كل شيء جديد .. وأصبح فى البيت

سعر حى وطباخ .. وأصبحت لهم سيارة خاصة .. إلى سعاد تعلمت قيادة السيارة وهي فى الثانية عشرة من عمرها بإلحاحها على المائق وانذاعها وراء طبيعتها التى تدفعها إلى كل نواحي الحركة التى تشغل بها وقتها لتهرب من حيرتها .. واستطاعوا أيضا أن يشتركوا فى نادى الجزيرة .. وقد بدأت سعاد تحس أكثر بجمالها منذ دخلت نادى الجزيرة .. إن كل الشبان يلاحقونها .. وهى تنبأه بهذه الملاحقة ولكنها لا تتحارب معها .. إنها كما هى تفصل الانعزال بنفسها ، ولا تحب الكلام الكثير وإن كان هناك شباب استطاع أن يرضى عينيها ، واستطاع أن يحرك شفتيها بنصع كلمات .. ولا شيء أكثر .. المهم أن حياتهم انضمت وارتفعت إلى مستوى أرقى .. وربما كان هذا هو كل ما نريده الأم .. تبحث عن الثراء الذى يوفر لها هذه الحياة الواسعة الراقية .. حتى لم تكن سعاد تعتقد أن الحب هو الذى جمع بين أمها وزوجها الجديد ..

ويبدو أن الأم قد ازدادت صيفا بأولادها بعد أن تزوجت .. إنها تحس أنهم يعرفون طريق طموحها الذى لا يصل أبدا إلى حد الاكتفاء .. وكان العريب فيها أنه فى كل يوم يكون زوجها سيتناول العداء معها تتعد أن تتخلص من الانتنين والولد وتبعدهم عن البيت .. قد ترسلهم للعداء عند عائلتها .. أو تنفق معهم أن يتناولوا العداء فى النادى .. أو تنفق مع إحدى صديقاتها على دعوتهم .. أو تعد لهم رحلة نزهة .. إنها تريد أن تنفرد بروحها عندما يأتى أو لا تريد أن تحد من متعته بها بوجود الأولاد معها .. كأنها تريد أن تقعه بأنها كلها له وليس لها أحد يشاركه فيها .. أو فى عواطفها ..

وكانت نجوى أختها الكبرى هى التى لا تحتفل أنانية أمها .. وتتجدها .. وأحيانا تصر على أن تنفى فى البيت وسقى مع روح أمها .. وتشتد الحناقات بينهما .. إلى أن قررت نجوى أن تهرب .. إنها لم تهرب من البيت ولكنها استطاعت أن تجد عملا فى مكتب إحدى الشركات ..

.. بيرة .. ولم تحاول أمها أن تمنعها من العمل ولم تبذل جهدا كبيرا فى البحث وراء هذه الشركة التى تعمل فيها إبتنتها أو التقصى عن عمل معهم .. إنها تترك لها الحرية كاملة ما دامت حرية تنعدها عنها .. ثم لم .. عدم حتى جاءت نجوى بعريس .. ولم تنهم الأم أيضا بالتقصى عن هذا العريس .. يكفى أنها عرفت أنه من عائلة من ببن عائلات أولاد النوات تحب أن ترتبط بهم .. ولو كانت قد سألت لعرفت أنه رغم أنه من عائلة معروفة إلا أنه ليس غنيا وليس له عمل أو وظيفة محترمة .. وأن .. ي احتارته لتزداد هربا من البيت .. منها .. وتم قران نجوى فى حفل .. صيق ولم يحضر روح الأم هذا الحفل .. إنها ليست ابنة ثم إنه بعد ألا يظهر كزوج للأُم .. وحضر أبوها .. إنه كما هو .. صامت .. حاد .. لا يحاول أن يفرض شخصيته ولا شخصية الأب .. وقد خرجت .. من البيت إلى بيت زوجها .. وكان شفة حلوة ولو أنها صغيرة فى .. يملكها إرثا عن عائلته فى حى شبرا .. ولم تنقص سوى أربع سنوات .. م الطلاق .. إن كلا منهما اكتشف أن هذا الرواح لم يحقق شيئا مما .. وكانت نجوى طوال سنوات رواجها تعمل فى الشركة .. لقد أصبح .. سها كبيرا .. ولعلها كانت تنفق من مرتبتها على البيت الذى يصمها مع .. حها ابن العائلة الكبيرة .. وبعد الطلاق لم تعد نجوى إلى بيت أبيها .. عاشت وحدها .. أحيانا مع صديقة وأحيانا فى بنسبون ..

وأخوها رشيد شخصية أخرى .. شخصية قوية حلوة .. وهو كأمه فى سهى الدكاء .. وقد نله نكازه على أن يعيش فيما يريد هو ولا يتدخل أو بهم بما يريده الآخرون .. سواء ما تريده أمه أو أبوه أو أختاه .. وقد كان نما منقوفا فى تحقيق إرادته .. إنه طالب منقوف فى مدرسة الحيزويت .. وهو منقوف فى كل رياضة يهواها .. وربما ساعده على الاحتفاظ بهذه شخصية أن أمه كانت تعطيه من حها وحنانها ورعايتها أكثر مما تعطى حسه .. إنها لا تتردد أبدا فى تحقيق كل ما يطلبه .. ولم يحدث أبدا بينهما

ما يؤدى إلى خلاف أو نزاع .. ورغم ذلك فهو لا يترك نصه ليكون مدلا أو يغالى فى استغلال حب أمه له .. كل ما يعتمد عليه بكتائه أنه يترك لها اختيار ما تريد حتى أنه لم يبد أى تأثير عندما تم الطلاق بينها وبين أبيه .. ولا بعد أن تم رواجها من الرجل الآخر .. وأمه كانت تعمل على أن تقربه أكثر من هذا الرجل الآخر بعكس ما كانت تعتمد من ناحية البنيتين .. ربما لأنها كانت تحطط فى استغلال زوجها لصالح ابنها .. وقد حدث بعد أن نال شهادة الجيزويت أن أقنعت زوجها بآراء شديدة إتمام تعليمه فى باريس .. دون أن يتحمل أبوه أى مسؤولية .. وقد فرح رشيد بالسفر إلى باريس .. وقد توفي زوج أمه بعد سفره بعام واحد وتولت أمه إرسال نفقاته إليه بعد أن ورثت الكثير عن زوجها .. ولكن رشيد لم يكن قد سافر إلى باريس ولكنه هاجر إليها .. إنه إلى اليوم هناك .. وقد أصبح فى غنى عن أمه بعد أن عمل ونجح وتزوج أيضا .. وشخصيته وربما نكاهه أيضا لا يدفعانه إلى زيارة مصر .. ولكن أمه تزوره هناك كل بضع سنوات دون أن تصحب إحدى ابنتيها معها .. يكفى أن تعود لهما بصور له كما حملت معها صورا لهما ..

وأصبحت سعاد وحدها مع أمها فى البيت ..

وهى فى طبيعتها صامته منعزلة تشغل نفسها عن حيرتها بالحركة وتشغل عقلها وأصابعها بأى شيء .. وأمها لم تتغير ولا ابتليها أى إحساس جديد بعد أن أصبحت تعيش وحدها مع ابنتها الصغرى .. وبعد أن مات زوجها ولم تكن قد مصت بصعة شهر من عمره على موته حتى عادت كما كانت .. تحمل التليفون إلى داخل غرفتها وتتفرد به ساعات .. وتحلل الحمام وتعود لتقف أمام المرأة طويلا وتخرج وسعاد متأكدة أنها داهية إلى لقاء رجل .. ثم بدأ يحدث ما هو أكثر .. لقد بدأ رجال يزورون أمها بحجة تناول العشاء .. وأمها تختلى بالرجل الزائر ولا تسمح لابنتها برؤيتهم .. وقد يستمر زيارة الرجل شهرا أو شهرين أو ثلاثة .. ثم تبدأ زيارة رجل آخر ..

وسعد مهم كل شيء ويتلوى قلبها فى صدرها ولكنها لا تنطق بكلمة .. أمها أصبحت مفضوحة .. ومن حق الناس أن يقولوا عنها أى شيء حتى لو .. إنها لن تكون أبدا كأمها .. بآرب لا تكتب على ما كنته ..

كانت سعاد قد بقي أمامها شهر حتى تتم السادسة عشرة من عمرها .. فاجأتها أمها وقالت وهى تحننها وتقبلها :

ميروك يا ابنتى .. جاءك عريس .. إنه عريس لقطة لم تكن نحلم به .. براء .. ومركز .. وأصل وفصل .. لقد فرحت به قبل أن تفرحى أبنته ..

وقالت سعاد فى دهشة :

كيف أتزوج الآن يا ماما .. إنى مازلت فى المدرسة ..

وقالت الأم ضاحكة :

يا ابنتى إن جمالك لا يقاوم .. إن كل رجل يريدك قبل أن يخطبك .. المهم أن يكون رجلا يستحق كل هذا الجمال .. وليس جمالك .. لا تنسى أنك ابنة دكتور .. وأمك أصبحت غنية هى عسى عن الناس ..

وقاطعتها سعاد كأنها نكاد تبكى :

- إنى يا ماما لم أتم السادسة عشرة من عمرى .. كيف أتزوج الآن ؟

وقالت الأم وهى تحتضنها كأنها تحاول إقناعها بتدليلها :

- يا ابنتى .. البنات الجميلات لا يتركن إلى ما بعد السادسة عشرة .. كانوا زمان عندما تتجاوز البنات السادسة عشرة بلا زواج تعتبر بائرة .. بهم بالقبح .. ولا تنسى أنى تزوجت فى سنك ..

وقالت سعاد ساحطة :

- إني لا أعيش أيام زمان ..

وقاطعتها الأم في حدة :

- البنت التي تتأخر في الزواج ينقصها شيء .. وأنت لا ينقصك شيء .. وقد وافقت على هذا العريس لأنه يطمئنني عليك وعلى كل مستقبلك .. وسأنتي عدا لتناول الشاي .. فاستعدى له منذ الآن ..

وأحست سعاد رأسها كأنها بدأت تتجه بتفكيرها اتجاهها جديدا .. ثم أدارت ظهرها لأُمها مبتعدة .. وصاحت أمها وراءها :

- استعدى لندهي إلى الكوافير غدا ليصع لشعرك تسريحة ملفوفة .. وافتحي دولاك وأخرجي الفنان الطويل فقد يكون في حاجة إلى مكواة ..

وابتعدت سعاد دون أن ترد عليها ثائثة مع أفكارها ..

إن أمها تريد أن تتخلص منها وتطردها بعيدا عنها كما كانت السبب في إبعاد أختها نجوى وأخيها رشيد .. ولعلها وجدت لها فعلا العريس اللقطة كما تقول .. أو ربما تريد أن تطمئن على تزويج ابنتها بعد أن عرفت أن الناس بدأوا يتحدثون عنها أحاديث محزنة .. لا شك أنها سمعت ما يقوله الناس عنها .. ولكنها تزوجها بنفس الطريقة التي تزوجت بها هي .. تزوجها رجلا لا يعرفه .. وتزوجها وهي لا تزال في هذا العمر .. رغم أن الأم عرفت فشل مثل هذا الزواج .. وما تعانيه به الزوجة من عذاب يملأ كل حياتها .. إلى أن ينتهي بالطلاق ..

وبدأت سعاد تحس كأنها تتجمع في ثورة .. لماذا لا نتزوج .. إذا كانت أمها تعتمد أن تبعدها فهي أيضا تريد الهرب منها .. ثم ما قيمة العمر في تحديد وصع الإنسان من الحياة .. قد تكون زوجة في السادسة عشرة أسعد وأنظر من زوجة في الثلاثين .. ثم لماذا تقتصرص العذاب قبل أن تتعرض

.. لماذا تقبس حياتها بحياة أمها .. إنها تختلف عن أمها في كل شيء ..
.. يقال إنها أخذت من أبيها أكثر مما أخذت من أمها .. فلماذا تربط مستقبلها بما حققته أمها من مستقبل ..

..

سنزوج ..

فتحت الدولاب وأخرجت الثوب الطويل ..

..

وأفادت سعاد من تكريراتها على دقات جرس التليفون وقالت سعاد لسمها سميرة :

- ردى على التليفون يا سميرة ..

وقالت سميرة دون أن ترفع رأسها عن الورق الذي تكتب فيه :

- لست في انتظار تليفون .. هذا الرنين ليس لى ..

وقامت سعاد إلى التليفون دون أن تهتم برفض ابنتها .. هذه هي مسعنها .. كل حركة تحسب حسابها وهل هي في حاجة إليها أم ليست في حاجة إليها .. حتى مجرد الرد على التليفون ..

وقالت سعاد في التليفون وكأنها تزفر أنفاسها المتعبة :

- آلو ..

ولم يرد أحد ثم ما لبث أن أعلق خط التليفون في وجهها .. إنها تعلم أن التليفون لا يعلق في وجهها أبدا إلا إذا كان المتحدث لا يريد الحديث .. مع ابنتها سهير .. ولدت شفيها سحطا ثم أرخت عينيها واستسلمت ليعود هائمة في تكريراتها ..

(٣)

وعادت سعاد إلى نكرياتها ..

وهي تذكر اليوم الأول الذي رأت فيه زوجها عزيز عندما جاء إلى
سب ليراها هو الآخر لأول مرة ويحيطها .. لقد جلست يومها أمامه بعد
ل قنعت بنفسها الشاي ، كما تفرض التقاليد على الفتاة وهي في جلسة
عرض فيها نفسها على من تقدم لخطبتها .. وقد جاء عزيز مع أمه ويبدو
بها صديقة لأُمها رغم أنها تبدو أكبر منها سنا .. وجاءت معها شهيرة هانم
قرب الصديقات لأُمها .. حتى أن سعاد تعتقد أنهما تتبادلان الأسرار
، مستركان في وضع الخطط .. خطط معاملة الرجال ..

وكانت سعاد في جلستها تخطف نظرات إلى عزيز .. إنه وسيم ..
سمر .. ووجهه يرسم خطوطا قوية كوجوه الفلاحين .. وهو رشيق وإن
من يميل إلى السمنة .. ولكنه يبدو أكثر منها في السن بكثير .. كانت أُمها
قد قالت لها إنه في الثامنة والعشرين ولكنها عرفت فيما بعد أنه في الخامسة
، الثلاثين .. أي أكبر منها بعشرين عاما .. إن أُمها لا تهتم بفارق السن بين
لعريس والعروس .. لقد كان زوجها الثاني أكبر منها ربما بأكثر من
عشرين سنة .. ولكنها كذبت على سعاد ربما لتخفف عنها ولا تحسر
استسلامها ..

وكانت الأمهات يتبادلن الحديث في موضوعات تخصصهن .. دون أن
تحدث إحداهن عن العروس أو العريس .. بينما عزيز جالس يخلق في
سعاد .. ويبدو أنه لم يرها من قبل .. وجاء قبل أن يقرر شيئا .. ويظهر

أن كل ما حدث هو أن شهيرة هانم صديقة أمها هي التي وصعت خطة هذا الزواج وأقنعت أم عزيز بأن تتقدم لخطبة ابنة صديقتها لابنها .. لا شك أن أمها كانت تعادى صديقتها كثيرا عن رغبتها هي تزويج ابنتها وعن قلقها في تحقيق هذا الأمل ..

وكان عزيز في جلسته يفعل حديثا مع سعاد من خلال ابتسامته مفتحة... وصوته جاف فيه خشونة وكأنه صوت عمدة .. ولكنه يستطيع أن يختار كلامه .. إنها كلمات مهذبة رفيعة .. وهي تسمع ولا ترد إلا بكلمات قليلة .. كلمة أو كلمتين .. وهو ما يضعها في صورة البنت الخجولة البريئة التي لم تتعود على التحدث مع الغرباء .. يعكس بنات هذه الأيام اللاتي يتحدثن مع رجل قريب أو غريب بجرأة ووقاحة ..

وانتهت الزيارة دون أن يعلن أي قرار .. وقالت أم سعاد وهي تحضنها وعلى وجهها فرحة :

- ما رأيك فيه .. إنني متأكدة أن الخطوبة سنتم .. نظرته إليك وكلام أمه عنك وهي تخلق فيك .. إنه هو وأمه جُنَّا بك ..

وقالت سعاد وهي في حيرة :

- ولكنه أكبر مما تصورته يا ماما ..

وقالت الأم وهي تربت على كتف ابنتها كأنها تؤاسيها :

- المفروض أن طبيعة البنت بالنسبة لعمرها تختلف عن طبيعة الرجل .. حتى يقال إن البنت تكبر أسرع مما يكبر الرجل بنسبة عشر سنوات .. فإذا كنت الآن في السادسة عشرة فأنت في سن يضاهاى سن رجل في السادسة والعشرين .. وعزيز مهما كان كبيرا لا يمكن أن يتجاوز الثانية أو الخامسة والثلاثين .. أى أن العارق بينكما لا يفرق بين تجاوب طبيعتكما .. واسأليني أنا .. لقد كان زوجي أكبر منى بأكثر من عشرين

.. ورغم ذلك عشت معه وأنا أحس بأنى أنا الكبيرة وهو الأصغر .. إن الرجال أصغر من كل النساء ..

ولم تقتنع سعاد بكلام أمها ولكن رأيها لا يزال متعلقا بالاستسلام .. وبعد ساعات دق جرس التليفون ولم تحملها الأم وتدخل إلى غرفة أمها ولكنها تتحدث وسعاد تسمعها من بعيد .. لا شك أنها تتحدث مع أم .. وقد تحدثنا طويلا .. ثم وضعت الأم سماعة التليفون والتقطت نفسها بين ذراعيها وهي تصيح كأنها تزغرد :

- ميروك يا سعاد .. عزيز وأمه سيحضان فرحا بك .. إنه يريد أن تعلن الخطوبة في هذا الأسبوع ويتم كتب الكتاب بعد أسبوعين ، ولكنى اشترطت عليه كما سمعت أن يذهب للقاء بابا ..

ولم تكد على سعاد فرحة وقالت في هدوء أقرب إلى البرود :

- هل يكفى أسبوعان لأعد نفسى لهذا الزواج ..

وقالت الأم وفرحتها تزغرد على وجهها :

- يكفى يومان ..

وقاطعتها سعاد :

- والبيت الذى سأقيم فيه .. والجهاز ..

وقالت الأم بسرعة :

- لقد قالت لى أمه إنه سيخصص الفيلا التى يملكها لك .. وهى فيلا بقم فيها وحده وليس مع أمه .. وهو مصمم على ألا يبدأ بتغيير أثاث الفيلا ، لا بعد أن نقيم فيها حتى تخترى كل شيء بنفسك .. إنها فيلا وليست شقة ..

وقالت سعاد ساهمة كأنها تحدث نفسها :

- كيف أعد نفسي للزواج في أسبوعين .. لن نستطيع أن تنتهى حتى من إعداد ثوب واحد ..

وقالت الأم كأنها تقيق ابتها من أحلامها :

- لا تتمسكى بالمظاهر .. إن المظاهر للناس ، وما نريدنه قبل الزواج يمكن أن تحققه بعد الزواج .. وعلى كل حال يمكن أن يكون الأسبوعان شهرا .. ونحن طبعاً أحرار ..

واستدارت الأم نحو التليفون وحادثت زوجها القديم والد سعاد .. وحادثته بنفس اللهجة الامرة التى كانت تحدثه بها أيام أن كانت معه .. وأبلغته أن هناك عريسا لسعاد سيورره عدا .. وحادثته قليلا عن صفات هذا العريس .. وسعاد متأكدة أن والدها سيوافق على زواجها كعادته فى الاستسلام لأوامر أمها .. وهى لن تستغيث به ليرفض .. إنها هى نفسها لا ترفض ..

ووضعت الأم سماعة التليفون والتفتت إلى سعاد وهى تقول فى عجلة :

- هيا بنا .. سنذهب الآن إلى مدام فلور الخياطة ..

واستسلمت سعاد فى صمت .. إن أمها هى التى تقوم بكل شيء من حلال أوامرها ..

وأعلنت الخطبة فعلا فى نفس الأسبوع .. وأعلنت فى حفل صغير يجمع أفرادا من العائلتين .. وسعاد مرتدية الثوب الجديد الذى كانت أمها قد أقمعت مدام فلور بالانتهاء منه فى يومين .. وأختها نجوى تنظر إليها وعلى شفيتها ابتسامة مشقة .. إنها تعلم أن سعاد استسلمت لهذا الزواج تحت سيطرة أمها .. وأحيانا تفعل كلمات كأنها نكات وتضحك ضحكات

صاحبة كأنها تهرأ من كل الحياة .. وأبوها الذى حضر الحفل يجلس صامتا .. يصحو إلا بالكلمات الرسمية كلما اضطر أن ينطق .. وخطيبها مكتف بحلق فيها كلما استطاع أن يدير وجهه لها .. وحاجباه يرتفعان أحيانا .. لا يستطيع أن يقاوم البصصة لها ..

أثناء فترة الخطوبة لم تحس سعاد بجديد ناحية خطيبها .. إن حديثها .. حثيثا بين عرييين .. وعيناه لا تكفان عن البهجة فيها وهى ترضى .. ولا تطيق هذه البهجة .. ربما كانت هذه البهجة هى كل ما يجمعه .. فقط تروح شكلها .. جمالها .. ولا يهمه أن يكتشف شيئا آخر فيها .. لا يعرفه وهو أيضا لا يعرفها .. إلا شكله وشكلها .. وكان أحيانا يمد .. يتحسس شعرها أو كتفها ولكنه لم يحاول أبدا تقبيلها .. لمعه رجل محافظ .. يؤمن بأنه لا تحق له القبل إلا بعد كتب الكتاب .. وقد دعاها مرين للعشاء فى الخارج وأمها معها .. أن أمها هى كل شيء .. إنها .. حدها التى بحادثتها هى كل التفاصيل .. بل إنه لم يدع خطيبته لترى البيت الذى ستقيم فيه .. بينهما .. ولكنه دعا الأم .. وربما لم تكن دعوة ولكن ذم هى التى طلبت أن ترى هذا البيت .. وقد عادت منه فرحة .. إنها فيلا عة وقصت ساعات تحدث ابتها عنها ونصفها لها .. ولعل خطيبها يعتبر منها هى صاحبة البيت الذى يأخذ منه فتاة بعاشرها ويمتع نفسه بها .. إن مسحبت مثل هذه البيوت من المسؤولات إلى أن يتفرد بالقناة التى يأخذها تبدأ متعته بها فوق الفراش .. ربما كان متعودا على مثل هذه البيوت ..

وقد تم الزفاف فعلا بعد ثلاثة أسابيع .. إن عزيز كان دائما منعجلا .. ولم أيضا بلا حفل .. إن عزيز نفسه لم يكن يريد حفل زفاف كاملا .. إنما .. حتى أنه لم يدع إلى هذا الحفل الضيق الصامت إلا صديقا واحدا من أصدقائه بجانب أفراد العائلة .. وسعاد كانت أمها قد أعبت لها ثوب لرفاه .. فستان العروس .. ولكنه كان ثوبا هائلا رغم القماش العالى الذى

احتارته أمها ورعم الرشافة الجميلة التى وضعتها فيه الخياطة فلور والطرحه الصفيرة التى لا تنسدل إلى ما بعد كنفها ..

وانتهى الحفل بلا زفة كالتي يقوم بها العوالم .. ووقفت أمها مع أبيها مع المدعويين يودعونها وداعا صامتا تفيض عليه الابتسامات المفتحة كأنهم يودعونها على محطة قطار ، القطار الذى يحملها إلى مصيرها .. ومن بعيد لمحت أختها نجوى وفى عينيها نموع ..

• •

وأفادت سعاد من هيامها مع ذكرياتها وباب الشقة يفتح .. لقد عادت ابنتها سامية وابستمت سعاد ابتسامة تحمل كل نبضات حبها واطمئنانها .. إن سامية لا تخلف أبدا وعدما وقد وعدت أن تعود بعد ساعة ، ولم يمض عليها فعلا أكثر من ساعة .. وصاحت سامية فى مرح :

- ماما .. انظرى إلى الساعة ..

وقالت سعاد من خلال ابتسامة حب :

- لم تمض سوى ساعة .. إنى دائما مطمئنة إلى وعودك ..

وقالت سامية ضاحكة :

- أنا لا يهمنى اطمئنانك .. ولكن أريد أن أطمئن أنا إلى أنى لم أعط أحمد أكثر من المقرر ..

وقالت سعاد :

- وكيف حال أحمد ؟

وصاحت سامية وهى تجرى إلى غرفتها :

•

مجنون .. لا يريد أن يدخل الامتحان .. يقول إن المهندسين هم .. ملاعباء الذين يبنون العمارات وهو لا يريد أن يكون عبدا ، وسيكون .. أعمال .. وقبل أن أحكى لك أريد العشاء .. كل ما أشوف أحمد .. ح ..

هالت سميرة وهى جالسة وراء المكتب الصغير بعد أن رفعت النظارة .. عينيها :

- أنا أيضا أريد العشاء .. إنى أجوع من كثرة العمل لا من كثرة .. السطيط كست سامية ..

وقالت سعاد فى رجا :

- انتظرا حتى تعود أختكما سهير ..

وقالت سميرة فى حدة :

- أنا لا أعرف متى ستعود .. ولا أنت تعرفين يا ماما مهما كانت قد .. عندك ..

وقالت سعاد وهى تحنى رأسها كأن ذكر سهير قد أنقله :

- مهما كان .. لنتنظر ساعة .. نصف ساعة ..

لوت سميرة شعنيها وعادت ووضعت نظارتها على عينيها وعادت إلى .. كنها .. وصاحت سميرة من حجرتها :

- علشان خاطرك نصف ساعة لا أكثر يا ماما ..

وقطعت سعاد حاجبيها .. إنها لا تستطيع أن تطمئن أبدا إلى ما تفعله سهير رغم أنها تدعى أنها لا تحب عنها سرا مهما كان .. وصحيح أنها تقول لها الكثير حتى عن القنلات التى تستسلم لها ورغم ذلك فهى تحس

دائما بأن هناك شيئا لم نقله .. وهى تخاف عليها أكثر مما تخاف على
أحبتها .. ترى أين هى الآن .. وماذا تفعل الآن .. لقد كانت هى نفسها
فى ماضيها تفعل .. ولكنها لم تفعل ما فعلته إلا بعد أن قاومت طويلا ..
ولكن سهير لم تصل بعد إلى العمر الذى يكفى للأنس من المقاومة ..
ووجدت نفسها تعود وتهيم فى ماضيها البعيد ..

• •

إنها تذكر ليلة رفافها إلى عزيز .. لقد وضعها فى سيارته وهى فى
ثوب العرس .. وجرى بها إلى القيلا .. إنها فيلا بعيدة قريبة من بلدة
الحرانية وقريبة من شارع الهرم .. وهى على أرض زراعية واسعة يملكها
هناك .. وقد دخلت القيلا وهى تحاول أن تكون سعيدة باسمه وحاولت أن
تبدأ بالطواف بها غرفة بعد غرفة إلا أن عزيز شدها من ذراعها وهو
يضحك ضحكة تعبر عن لهفته إلى شيء :

- دعى كل ذلك للصباح .. نحن الآن وحننا لأول مرة ..

وأخذها إلى غرفة النوم .. ووقفت سعاد تتطلع فيها .. كيف قالت لها
أما أن كل شيء فى القيلا رائع .. إنها حجرة كل شيء فيها قديم .. ليست
طرار أريفا أو فلاحيا إنها الطراز الحشنى العادى وإن كان يبدو أن طرازها
ثمين .. وكانت تتطلع حولها بيما عزيز يخلع بذلته وبك ويخلع القميص
ورباط العنق .. ثم التفت إليها وهو فى القطع الداخلية لثيابه وقال وابسمامة
نهمة تكسو شعبيه :

- ألم تخلعى بعد .. نسيت أنك لازلت صغيرة .. يجب أن أتولى أنا
خلع ملابسك عك ..

ورفع يده وجذب طرحة الزفاف عن رأسها .. ثم مد أصابعه يبحث
عن أزرار ثوبها .. وصاحت فيه :

احترس .. إنك ستزق الثوب ..

لم وجدت نفسها مضطرة لأن تمد أصابعها مع أصابعه حتى تطمئن
بسلامة الثوب وهى تخلعه .. إلى أن أصبحت بلا ثوب .. وشدها يرفدها
بأعراش .. وأصبح فوقها وهى تنظر فى وجهه بذهول كأنها تسأله ماذا
يفعل بها .. ولكنه لا يتكلم .. ثم صرخت صرخة خافته .. لقد أصبحت
أنا امرأة .. لم تعد فتاة .. هذا هو كل ما تحس به .. أنها لم تعد فتاة ..

والزواج عزيز من فوقها وهو يقول مبتسما منتشيا بمتعته :

- مبروك عليك .. مبروك عليك يا مدام .. ومبروك عليك أنا ..

ثم قام من جانبها وخرج من الغرفة ..

وهى لا تزال مذهولة كأنها فى إغماء .. هل هذا هو كل ما كانت تسمع
عنه وسوهمه .. ولكنه لم يقبلها .. لقد كانت تتصور أن القيلات هى المقدمة
كل ما يحدث .. ولكنه لم يقبلها .. وقد عاشت معه بعد ذلك وهو
لا يقبلها .. إن هذه هى طبيعته .. إنه لا يعرف القيلات .. وقد حاولت بعد
بعض بسنوات وفى ليلة أحست بالألفة بينها وبينه أن تعلمه القيلات .. إنها
هى نفسها لم تجربها ولكنها تعرف عنها .. ولكنه رفض أن يذوق ويدرب
عنه على القيلات .. وضع شفتيه على شفتيها فى فتور ثم أبعدهما وهو
يقول :

- دعينا من لعب العيال .. إنى أفضل أن أملاً بك عيني وأنا أعيش

معك متتهى المتعة ..

هذه هى طبيعته .. وكل شيء حولها يحرمها من تحقيق أحلامها
وأوهامها التى عاشت فيها كل بنت .. وليلتها ليلة الزفاف .. تركها عزيز
على الفراش وحيدة ساعات طويلة .. وهى لا تنام .. ولا تدري أين هو
خارج الغرفة ولا ماذا يفعل .. إلى أن عاد إليها .. عاد يترنح .. سكرانا ..

وألقى بنفسه على الفراش وأدار ظهره لها وعطى في النوم فوراً .. إنها لم تكن تعرف أنه يشرب الخمر .. وفي الليالي التي دعاها فيها هي وأمه إلى العشاء أيام الخطوبة لم يشرب الخمر معهما .. ربما طلب كأساً واحدة من النبيذ .. ولكنها تعرف الآن أنه سكير .. مدمن .. يشرب حتى وهو وحده دون أن يكون حوله أصدقاء يفرغونه على الشرب .. وقد عانت كثيراً من حالته عندما يشرب حتى تعودت كلما بدأ يشرب داخل البيت أن تتركه وحده وتعتبره قد خرج إلى أن يعود إليها سكران ..

ومن يومها الأول من زواجها قررت سعاد الاستسلام وإخفاء كل ما تعانیه في داخلها .. هذا هو الزواج .. وهذا هو نصيبها من الدنيا .. وتذكر في هذا اليوم الأول أن قام زوجها بعد أن تناول إفطاره وقال إنه خارج إلى العمل .. وتركته يخرج .. وتفرغت بكل عقلها وإحساسها للطواف بحجرات الفيلا وتقف طويلاً في كل غرفة لتضع تخطيطاً جديداً لها وتتفنى لها بخيالها ما تحتاجه من أثاث .. إنها تعد جهاز العروس الذي لم تحصل على شيء منه قبل الزواج .. وقد بهرت يومها بحديقة الفيلا .. إنها جنة .. وقد حرمت طول عمرها من أن يكون لها حديقة إلى أن منحها الله الحنة .. إن كل همومها تنوب تحت أشجار وزهور هذه الجنة .. وتذكر يومها .. يوم الصباحية .. بعد أن تركها زوجها عزيز وقال إنه خارج إلى عمله .. إنها تعرف أن له مكتبا في شارع سليمان باشا ولكنها لا تعرف ماذا يعمل .. كل ما تعلمه أنه يملك هذه الأرض في الحراية ويمكك أرسا أخرى في الفيوم .. ولكن ما هو العمل الهام الذي يجعله يترك عروسه في يوم الصباحية .. لا تدري .. ورغم ذلك لم تعترض على تركها وحدها .. ولم تحاول أن تغريه بالبقاء ولو بابسامة .. وقد جاءت أمها لترورها في يوم الصباحية وسألت بمجرد أن دخلت :

- أين زوجك ؟

وقالت سعاد ساخرة :

- حرج ..

وقالت الأم في دهشة ساخطة :

- كيف يترك عريس عروسه في صباحية الزفاف ..

ولكنها كأنها تنبعت إلى ضرورة مراعاة حالة ابنتها فاستطردت قائلة في صوت رؤوف :

- لابد أنه يتحمل مسؤولية أعمال كثيرة ..

ولم ترد عليها سعاد وأختها تطوب بها البيت وتحكي لها عما تريده في كل غرفة .. أن أمها يجب أن تعلم ما تريده لأنها لن تتركها أبداً تشتري شيء وحدها .. ثم إنها تعتير نفسها مسئولة عن التعامل مع عزيز ليست زوجته سعاد .. وعزيز ليس بخيلاً ولكنه أيضاً ليس كريماً .. إنه حافش كلما وجد نفسه مضطراً لأن يدفع قرشاً .. وقد عاد عزيز يومها إلى سب في أواخر ساعات العروب وكانت الأم قد انصرفت .. وبدأت سعاد تولى له ما رآته وما تريده في البيت .. وعزيز يهز رأسه مبسماً دون أن يعترض على رأى أو على فكرة ثم صاق بهذا الحديث بمجرد أن انتهى من تناول العشاء .. إنه يريد ما في عرفة اليوم .. إنها تعودت طول حياتها معه على الاستسلام لإصراره كلما أرادها وهما في غرفة النوم .. إنه معرط .. وهي تتحمل إفراطه ولكنها لم تستطع أبداً أن تحدد صورة لهذا الإفراط .. إنه قد يريد ما في كل يوم .. وقد يريد ما في الصباح والمساء .. ثم قد يتركها دون أن يريد ما أياماً .. بل خلال السنوات الطويلة كان أحياناً يتركها شهراً ثم يعود إلى إفراطه .. وهي نفسها لا تبدى أنها تريده .. إنها فعلاً لم تحس أبداً بأنها تريده على الفراش .. لقد عودته على الاستسلام الصامت .. ربما كانت طبيعتها باردة كما يقال عن بعض النساء ..

وقد فرحت فرحة تطير بها عندما اكتشفت أنها حامل .. وتكررت كلمة أمها عندما قالت لها ولأختها إنها لم تجبهم إلا ليخففوا عنها ضيقها بأبيهم

ويعيها على احتماله .. وكانت متأكدة أنها مستحبة ما يخفف عنها كل ما تعانيه من حياتها مع عزيز .. وكانت تجلس في الحديقة بعد أن تنتهي من الإشراف على البيت ويدها على نبطها المعروق وهي تبنى الأحلام من ستحيه كأنها تستطيع به إلى عالم آخر .. إلى حنة كالجنة التي تصورها هذه الحديقة .. إلى أن أصبحت سهير وهرحت بها ولكن زوجها عزيز لم يبد عليه كل هذه الفرحة .. كانت فرحته باردة ولم يحاول أن يشترك حتى في اختيار اسم ابنته .. هي التي اختارت الاسم بحرف كالحرف الذي يبدأ به اسمها هي .. س .. كما اختارت أسماء بقية البنات .. ولم يكن عزيز مفصرا ولا مصدوما بحببة الأمل لأنه كان يريد أن يحب ولدا لا بنتا .. ولكن كانت هذه طبيعته .. يعتبر إنجاب الأولاد مجرد واقع تفرضه الحياة ولا يستحق كل هذه الفرحة ولا كل هذا الاهتمام ..

وقد تعودت منذ تزوجت على أن زوجها يدعو في كل يوم جمعة أصدقاء وزوجاتهم وبيهم أصدقاء بلا روحات ونساء بلا أرواح ليقصوا اليوم في الحديقة ويتناولوا العشاء وأحيانا يستمر بهم الدعوة حتى يتناولوا العشاء .. وكانت سعاد سعيدة بهذه الدعوات .. سعيدة بانشغالها بالإعداد لها وسعيدة برؤية المدعوين وقصص الوقت بينهم .. وإن كانت قد بدأت تلاحظ أن هناك أنواعا غريبة من الشخصيات بين هؤلاء المدعوين وخصوصا أنواعا عجيبة من النساء غير المزروعات اللاتي يدعوهن زوجها .. ثم بدأت تخمن أنه قد تكون له علاقة خاصة مع هذه المرأة أو تلك .. لعل زوجها يخونها .. ثم تأكدت من هذا التخمين بعد عدة ظواهر واكتشافات .. إن زوجها يحبها .. أكثر من ذلك إنه مدمن نساء .. واعتاطت ولكنها لم تكن تغار إلى حد أن تترك العيرة تسيطر على تصرفاتها .. حتى أنها كانت تحاول أن تقع نفسها بأن النساء اللاتي على علاقة بزوجها يخفن عنها ويلهييه عن التعصب على حياتها .. ربما كانت الأيام أو الشهور التي يخفف خلالها زوجها من إفراطه في استعمال جسدها هي فترات يكون خلالها

مكثيا بامرأة أخرى .. ولم يحدث إلا مرة واحدة أن ثارت سعاد .. كان زوجها عزيز قد سافر للإشراف على أرضه في اليوم وعاد ومعه امرأة .. إنها جميلة هذا الجمال الفلاحى .. ورشيقة القوام هذه الرشاقة التي .. هر بها معظم الشابات الفلاحات .. الرشاقة التي تشد القوام بحمل الملاص فوق الرأس ..

وقال عزيز في بساطة بصوته الجاف القوي :

- مسعودة ستعمل في البيت ..

ولم ترفض سعاد وأخذت تعانث مسعودة وتحد لها ما هو مطلوب منها من أعمال البيت ثم أخذتها إلى الحجرة المحصنة لها على أرض بحيفة ملتصقة بالبيت .. ولكنها بدأت تلاحظ مع الأيام كل مسعودة تتدلل على عزيز وتتحرا عليه أكثر مما يمكن أن تتحرا أى حادمة .. وبدأ الشك يماورهم .. وفي ليلة من الليالي التي تعودت فيها سعاد أن تترك زوجها وحده يشرب الخمر في غرفة البار بينما تسبقه هي إلى غرفة النوم .. في حدى هذه الليالي كان الشك مستندا بها ووجدت نفسها تقوم من الفراش لتهدأ .. جلوس بجانب زوجها .. ولكنها لم تجده في غرفة البار يشرب كأسه .. بل أن نحت عنه في غرفة أخرى لمحتة من الشباك المطل على الحديقة خارجا من غرفة مسعودة .. وحررت عائدة إلى غرفة النوم والطعنة تحترق في صدرها .. لعل لهذا أصبح عزيز لا يسهر خارج البيت كثيرا كما تعود .. ولكنها حاولت بحكم طبيعتها أن تسمح الطعنة أو على الأقل تخفف منها .. لتفترض أنها متزوجة من رجل له زوجة ثانية تقيم في نفس البيت كما كان يحدث أيام زمان .. ولكنها لا تستطيع أن تهدأ .. ثم إن مسعودة منذ جاءت وهي تنعمها كخادمة .. إنها لا تجيد شيئا ولا تفهم شيئا علاوة على جرأتها على زوجها .. لا .. إنها لا تستطيع أن تحتملها .. ولن تحاول احتمالها .. وعندما عاد زوجها إليها بعد أن كان قد مر على غرفة البار

وشرب أكثر .. ادعت سعاد النوم وإن لم تتم حتى الصباح .. وعلى مائدة الإفطار قالت بصوت حاولت أن يكون هادئا :

- مسعودة بحب أن تعود إلى بلدها ..

وقال عزيز بدهشة المفاجأة :

« لماذا ؟

ورفعت إليه سعاد عينها بنظرة صارمة كأنها غاضبة منه وتعرف كل شيء وقالت :

- إنها ليست نافعة للنيت ولا لى .. علاوة على أنها متعبة وغنية وحمارة ..

وسكت عزيز برهة كأنه يقيس الموقف ثم كأنه قرر الاكتفاء بلياليه مع مسعودة وقال :

- غدا سأعيدها ..

وصاحت سعاد :

- نعود اليوم ..

وصاح عزيز صيحته العليظة التى كانت تنتهى أحيانا بصرب سعاد :

- كيف أعيدها اليوم .. من يحملها إلى بلدها أم أترك عملى وأسافر بها أنا ..

وسكنت سعاد برهة ثم قالت بصوت خفيض كأنها تخشى صياح عزيز :

- إذن .. عدا نعود إلى بلدها ..

وليلتها قرر عزيز أن يقضى الليلة فى البيت لتتركه سعاد وحده فى .. ليل كأنه قرر أن يقضى ليلة وداع مع مسعودة .. ولكن سعاد لم تتركه وحده فى غرفة البار وجلست بجانبه وهى تسليه بالحكايات وتفعل .. بنفسها .. إغراءه بأن يأخذها هى .. وبئس عزيز من إقاعها بأن .. إلى عرفة النوم .. وعندما قام معها إلى هناك كان باردا ساحطا ولم .. معها ..

وسافرت مسعودة فعلا فى اليوم التالي .. انتهت حكايتها ..

والمدعوون إلى أيام الجمعة عرفوا عن سعاد قلة كلامها واحتيازاها المواضيع الجادة الرقيقة كلما تحدثت .. بل عرفوا أنزواءها بنفسها وهى معهم وخصوصا أنزواءها عن الرجال .. وكانوا فى الوقت نفسه مبهورين بحملها .. ولكنه جمال يفرص الاحترام حتى لم يجرؤ أى رجل على المحاولة معها ولو بكلمة رغم أن المحاولات بين الرجال والنساء لم تكن نادرة أبدا بين هذا النوع من المدعويين .. وقد افتنعوا كلهم بأل سعاد متعلقة بعزيز كل التعلق وتحيه منتهى الحب وهو ما يغنيها عن كل الرجال وكل المغريات .. لم يكن منهم من يعرف حقيقة الواقع الذى تعيشه سعاد مع ..

وبين هؤلاء المدعويين التقت سعاد بأقرب أصدقائها إليها حتى اليوم .. وربما كانت صديقته الوحيدة .. هدى .. وكانت هدى أيامها لا تزال متزوجة .. وربما كان ما ربطها بسعاد أنها كانت كلما جلست بجانبها ، بمرت بها بدأت تشكو من زوجها .. إنها شكوى تعبر عن حالة سعاد وإن كانت قد مرت شهور وهى لا تبادل شكوى هدى بشكواها .. إن هدى كان لها التأثير الأكبر فى الماصى الذى كتنه سعاد على نفسها .. بل ربما كانت هى السبب فى كل ما حدث ..

• •

وطردت سعاد نكرياتها عن خيالها عندما خرجت سامية من عرفتها
وهي تصيح :

- النصف ساعة انتهت .. إما نجلس للعشاء أو سأنخل المطبخ
وحدى ..

وقالت سميرة وهي تجمع أوراقها وترفع نظارتها :

- وأنا أيضا .. لن أنظر الهانم سهير حتى تعود ..

وقامت سعاد صامتة إلى المطبخ .. إن كل شيء من مطالب البيت هي
التي تعده بنفسها .. بأصابعها .. هذا ما عودت عليه بناتها حتى أنها تلوم
نفسها أحيانا لأنها لم تعودهن على مسئولية البيت ونعلمهن الطبخ والكس
والمصح والخياطة .. لقد مرت فترة قصيرة في حياتهن وجدن أنفسهن
مسئولات عن البيت .. ولم يفلحن في حمل هذه المسئولية .. وربما كانت
هذه أنانية سعاد .. أنانية الأم .. إنها تحسن نفسها بكل المسئولية حتى تهرب
من حيرتها الدائمة يشغل نفسها بالعمل وتحريك أصابعها .. أى أنه ليس
فقط حبا في البنات وإصرارا على إراحتهن من أعمال البيت لينتفعرن
للمذاكرة .. ولكنها دائما في حاجة إلى شغل نفسها بعيدا عن حيرتها ..

ونقلت سعاد أطباق الطعام إلى المائدة وندت على بنتيها لتناول
العشاء .. وما كدن يبدأن حتى سمعن الباب يفتح وتدخل سهير .. وصاحت
فيها سعاد بمجرد أن نبت أمامها :

- لماذا تأخرت .. إن الساعة وصلت العاشرة ..

وقالت سهير من حلال ابتسامة واسعة :

- بونيموار أولا .. ثم إن الساعة العاشرة لا تعتبر تأجرا .. أنا بنت
عاقلة ..

وعادت سعاد تصيح :

وإن كنت حتى العاشرة ..

وقالت سهير وهي تقترب من أمها وتقبل رأسها :

كما قلت لك يا ماما .. كنت عند نيفين .. وكان أخوها ياسر وأخوها
.. ومعهما شلة من الأصدقاء .. ورقصات .. إن عندهم مجموعة من
الـ .. كنت تحزن .. آخر رقصات العالم ..

وقالت سعاد وهي تزيج بنتها من الالتصاق بها :

كان المفروض أن تذاكري لا أن ترقصى ..

وقالت سهير ضاحكة :

إن الرقص هو الذى يؤدي إلى النجاح .. النجاح في الدنيا لا في
المدرسة ..

وقالت سميرة وهي تنظر إلى أختها في ازدياء :

- الرقص ليس له علاقة بالدنيا ولا بالمدرسة .. كلامك مسموم ..

وقالت سامية ضاحكة :

- لا تنسى يا سميرة أن سهير اتفقت مع فرقة شطوط على الرقص
في الكبارية .. خلاص .. ضمنت مستقبلها ..

وقالت سعاد لابنتها سهير :

- اقعدى ..

وقالت سهير وهي ترقص في خطوات كأنها تغيط أختيها :

- آسفة .. تناولت العشاء ..

وصاحت سميرة في أمها :

- كنت تريدان أن نتنظر إلى أن تنتهى ست هائم من الرقص والعشاء ..

وقالت سهير لسميرة ردا عليها وهي تتجه إلى غرفتها :

* - من فضلك لا تقرأ في السرير وتضيئى النور .. من تريد القراءة تقرأ به ..

وسعاد الأم تسقط رأسها على صدرها كأنها تهم بالبكاء .. وتلقى من يدها الشوكة التى تأكل بها .. إنها لم تتناول العشاء .. إن ابنتها سهير تحبها .. وتثير فيها اللوعة على مستقبلها .. وإن كانت تذكرها بماضيها .

(٤)

وسعاد هائمة في ذكرياتها ..

كان قد مضى عشر سنوات على زواجها وأنجبت بناتها الثلاث وهي كما هي لم تتغير .. تسكب كل أيامها فى رعاية بناتها .. وتعيش الاستسلام من لكل منافع زوجها عزيز . وساعات تستريح فيها بين أشجار الحديقة التى تعتبرها حبة عمرها بينما تترك بناتها يلعبن أمامها .. ولكن كان قد بدأ يتحرك فيها إحساس بأنها ظلمت نفسها .. أعطت كل حياتها لهذا الزوج ولم يعد فيها شيء لها .. لماذا لا يكون لها حياة خاصة بجانب الحياة التى أعطتها لزوجها كما نسمع عما يفعله كثير من الزوجات الأقل منها من الإحساس بالحياة .. ولكنها كانت تقاوم هذه الأحاسيس التى تطرأ عليها وترفض الاستسلام لها .. يكفيها بناتها .. إنهن كل حياتها .. وهن لها وحدها .. لا تترك منهن شيئا لأبيهن .. ولن تسمح أبدا بأن يفرض نفسه عليهن كما فرض نفسه عليها .. وهو نفسه لم يكن أبيا يتفرغ للاهتمام ببناته .. والنات أنفسهن لا يشعرن بمسئولية أبيهن عنهن .. ويكاد يكون حساسهن به هو نفس إحساس أمهن .. رجل متعب فى البيت .. وإن كان هذا الرجل يثور أحيانا محاولا فرض نفسه على بناته .. قد يثور لأن أمهن حار لهن ثيابا يعتبرها خارجة ولا يوافق على أن يرتدينها .. أو لأن أمهن كتبت يوما فى ضيافة صديقتها هدى ليلعبن مع ابنتها وابنها ..

وكانت سعاد تتلقى هذه الثورة صامتة دون أن تحقق شيئا مما يريد . صه على بناته .. وهو نفسه كان ينسى ما دفعه للثورة إلى أن يعود بعد .. ويتور مرة أخرى .. وهي مصرة دائما على أن بناتها لها وحدها ..

ولكن بناتها كبرن وأصبحت مسئوليتها عنهن تترك في أيامها أوقاتا من الفراغ .. وخصوصا بعد أن أدخلتهن المدارس .. وكانت هي التي تحملهن إلى المدرسة وتعود بهن في السيارة الصغيرة التي اشتراها لها زوجها عزيز .. وكان قد وافق على أن تقوم هي بحملهن إلى المدرسة ربما لأنه راعى إحساس الأم .. أو ربما ليطمئن عليها أكثر .. أو ربما لأنه لم يستطع أن يتفق مع مدرسة لمرسل السيارة المدرسية حتى الحرائية البلدة البعيدة لحمل بناته .. وكان أبجل من أن يستأجر سائقا خاصا .. إن شراء سيارة صغيرة لروحته توصّل بها البنات أرخص وأسهل عليه من دفع مرتب سائق خاص .. وكان قيمهما بحمل البنات إلى المدرسة يتعبها ولكنها كانت تتعلمه لتكون أكثر ارتباطا ببناتها .. وكانت تأخذهن إلى المدرسة في الصباح الباكر ثم تعود بالسيارة إلى الحرائية ثم تعود مرة أخرى لتأخذهن من المدرسة .. ولكنها كانت أحيانا لا تعود إلى الحرائية وتبقى في القاهرة توفيرا من مناعب قيادة السيارة .. وتقضى الوقت تلف في الأسواق أو تزور صديقتها هدى طوال فترة المدرسة حتى تتركها وتذهب لبناتها ..

إن هدى قد أقامت لنفسها حياة خاصة تهرب بها من حياتها مع زوجها .. ولم تكن قد كشفت لها عن أسرارها داخل هذه الحياة الخاصة .. كل ما كشفت لها عنه أنها من هواة اللعب بالتليفون .. كانت تقضى وقتا طويلا وهي تتصل بالتليفون برجال لا تعرفهم وتتكلم كأنها تعارلهم وتعرض نفسها عليهم ثم تصع سماعه التليفون وتقضى فترة وهي تصحك في مرح .. وكانت هدى تلح عليها أن تشترك معها في لعبتها .. ولكن معاد ترفض وتكتفي أن تكون ممرجة تتسلى بلعبة صديقتها .. إن إحساسها لا يساعدها على الإقدام على مثل هذه اللعبة .. وإن كانت قد أقامت مرة .. طلبت هدى نعمة رشدي أباطلة وما كانت تسمع صوته حتى وصعت السماعة في يد سعيد .. وأخذت سعيد السماعة بيد ترتعش وقالت بصوت منهج وهي تحاول أن تقلد هدى :

ألو .. أنا معحنة ..

وقبل أن تسمع كلمة من رشدي أباطلة أعادت السماعه إلى هدى قائلة :

لا أستطيع .. لا أستطيع ..

وأعادت هدى سماعه التليفون إلى مكانها وهي تقول ضاحكة :

- هلى تخجلين حتى من كلام التليفون .. يا أختى عيشى الدنيا .. لا يركى نفسك مدفونة .. ثم ماذا نفعل .. إننا نتسلى بمشاهدة الدنيا من هلال نقوب القبر الذى نعيش فيه ..

وكانت تترك هدى وإحساسها بأنها تطلم نفسها يشتد .. لماذا لا تحروا على التصفيف عن نفسها ولو بمحرد التسلية باللعب البرىء .. إنها لا تلعب هدى لعبة الكوتشينة أو الطاولة لتسلى نفسها .. بل لماذا لا يكون لها رجل آخر يحجب عنها مناعبها مع زوجها كما تفعل الكثيرات من الزوجات وربما كان لهدى أيضا رجل آخر وإن كانت لا تكشف لها عنه .. وتتهد سعيد .. إنها واثقة أن كل الرجال الذين يملون بها يتمنونها ويشتهونها .. يكفى حمسها .. ولكنها تعرف أيضا أن الرجل فى المجتمع الذى يحيط بها لا يقدم إلا إذا شحنته المرأة على الإقدام .. ويكتفى بالتعبير عن أمانيه بنظرات حتى يتلقى إشارة السماح له بالانقدم .. وهى تلمح هذه النظرات فى عيون الرجال حتى فى عيون أقرب أصدقاء زوجها ولكنها لا تحاول أبدا أن عطى إشارة السماح بكلمة أو بابتسامة أو بطرة .. ولا يلبث بأس الرجل .. الوصول إليها أن ينتهى إلى احترام .. إنها زهقت من هذا الاحترام .. هفت من طبيعتها التى تعرض عليها الصمت والانعزال بنفسها والاكفاء لما بما هي فيه .. ولكنها لا تلبث أن تقاوم هذه الأحاسيس التى تشند بها حتى تتقلب عليها وترخص الاستسلام لها .. يكفيها بناتها ..

ثم حدث أن فاجأها زوجها بعد كل هذه السنوات بأنه استطاع أن

يسأحر شقة رائعة مطلة على النيل فى حى جاردن سيتى وسط القاهرة ..
وسينتقلون إليها .. كل حياتها ستتبدل إلى وسط القاهرة .. وفرحت .. إلى
متاعب حمل بناتها إلى المدرسة والعودة بهن ستخف كثيرا .. ثم إنها ستكون
قريبة من أمها وأختها وصديقتها هدى وتزاهن أكثر مما تزاهن وهى تقيم
بعيدة عنهن .. ولعل ما دفع زوجها إلى الانتقال للسكن وسط القاهرة أنه
أصبح عجوزا .. إنه الآن تعدى الخامسة والأربعين من عمره .. وأصبح
لا يحتمل المشوار الطويل حتى الحرائية ولا قضاء اليوم كله فى القاهرة
إلى أن يعود إلى بيته .. أو ربما قرر أن يبيع أرض الحرائية بعد أن ارتفع
لعمها عشرات الأضعاف .. وقد باعها فعلا بعد شهر .. وكان قد وقف
معها ليتركوا الحرائية بسرعة .. وتركته سعاد ولا يعكر فرحتها إلا أنها
ستترك الحديقة التى كانت جنة تهدأ فيها لحظات من يومها .. وستترك
هوائيتها الوحيدة وهى تربية الفراخ والبطة والديوك الرومى أيضا .. ولكن
لعلها مستترجح من لحظات إحساس غريب كانت تمر بها بسبب هذه
الهواية .. إحساسها كلما نحت فرخة أو بطّة لإعدادها للطعام بانقباض
حزين فى صدرها يكاد يدفعها للبكاء لأنها تخبخع مخلوقا قامت بتربيته
ورعايته منذ ولد .. وكأنها أم هذه الفراخ والديوك وهذا البط ..

وقد تغيرت كل حياتها منذ انتقلت لتعيش فى جاردن سيتى وسط
القاهرة .. كأن الحياة قد اتسعت .. إنها تخرج من البيت كثيرا لتقوم
بزيارات أو لتطوف بحال الشراء .. وهى ترى وتتعرف إلى ناس أكثر
يملأون حياتها بضحيق يسليها ويملأ كل أيامها .. وكان زوجها قد قرر أن
سقل دهوة أصدقائه لعداء كل يوم جمعة فى فيلا الحراية إلى دعوتهم مساء
كل يوم خميس لتناول العشاء .. ودعوات العشاء تثير ضجيجا وطلا
الساعات أكثر من دعوات العداء فى الحدائق الهائلة .. وخصوصا أن كل
صدقاء زوجها يذعنون تناول الخمر .. أصبحت هذه الدعوات ليالى
صاحبة ..

.. التفت فى إحدى هذه الدعوات لأول مرة بمحمود عبد العزيز ..
.. كان مدعوا مع زوجته ..

.. منذ اللحظة الأولى وجنت عينيها فتعلقان به .. إنه وسيم وسامة
.. ليست وسامة زائعة .. ولونه أسمر بسيط يختلط بأبيض بسيط ..
.. رشيق فى بساطة .. ليس طويلا ولا قصيرا .. ولا رفيعا
ولا سميا .. وهو بسيط حتى فى حركاته وكلامه .. إنه يتحرك كأنه ليس
.. عن الميت الذى يحمله لأول مرة .. ويتكلم فيروى حكايات أو يعرض
أراه سير اهتمام من حوله ويضحكون معه أو يحزنون معه .. كل ذلك فى
بساطة كأنه لا يحس بأن فيه شيئا يتباهى به أمام الناس ويتميز به عنهم ..
وكل ذلك بعكس ما أحست به نحو زوجته شريفة .. ليس فيها شيء بسيط ..
إنها أطول منه وأكثر امتلاء .. وهى ليست جميلة جمالا زاعقا ولكنها
مسلية .. وعيناها تتحرك كأنها تدرس كل لفظة تقع عليها فى كل لحظة ..
وسحت مع كل الناس ولكن حديثها متحفظ كأنها تفتعله لتعطى به ما تفرسه
أصون الوجود فى المجتمع .. وهى كبيرة .. لعلها فى مثل سن زوجها ..
.. وإن كان قد فقد ملامح الشباب إلا أنه يبدو أصغر من زوجها عزيز ..

ولا تدرى ما الذى جذبها إليه من النظرة الأولى .. لعله يمثل الشخصية
التي سحابت مع شخصيتها .. تتجارب حتى بمجرد لقاء صدفة .. وقد كانت
سمع عنه قبل أن يصادق زوجها .. تسمع عنه كإحدى الشخصيات التى
مس فى هذا المجتمع .. وقد لمحت صورته فى بعض المجلات التى تنشر
مسور مختلف المجتمعات .. ولم يكن ما تسمعه أو ما تراه من صورته يثير
.. أى اهتمام خاص .. كل شيء بدأ بعد اللقاء .. وقد تهبث إلى أنها تكثر
.. من نبعه بعينها .. حتى أنها أهملت فى الترحيب بزوجته فكانت تضغط
شئ نفسها وتقوم لتحاسنها وترحب بها .. إنها منذ اللقاء الأول وهى
.. تستطيع أن تكون مرتاحة معها أو إليها .. وتعود وتتبع بعينها وقد التفت
حينها مرات .. ولم تر فى عينيه هذا الانبهار الجمال الذى تعودت أن تراه

فى عيون الرجال عندما تلتقى بهم لأول مرة .. ولكنها كانت ترى تحت عينيها ابتسامة خفيفة تحس أنها لها وحدها .. كأنه يائس منذ البداية من الوصول إلى أكثر من هذه الابتسامة .. ولم يعتمد طوال السهرة أن يقترب منها ليخسبها بحديث ولكنه ساعة تناول العشاء .. وكان عشاء على بوقيه يلتف حوله المدعوون وقوفا .. وجدت نفسها تقترب منه ووجدته فى نفس اللحظة يقترب منها .. وبدأ يحدثها حديثا عاديا يروى لها فيه حكاية ذكره بها طبق الجمبرى المقدم مع العشاء .. ولعله اكتشف من ليلتها أن ليس من طبيعتها أن تتكلم طويلا أو تجيد الكلام ولكنها كانت تستمتع إليه وعلى شفيتها ابتسامة واسعة أومع من الابتسامة التى تعودتها .. وهو يحدثها مكتفيا منها بهذه الابتسامة ردا عليه ..

وبعد أن انتهت الدعوة وألقت نفسها لتنام مرت بها لحظات كانت تجد نفسها تتذكر كلمة أو حركة من كلمات وحركات محمود وتبتسم لها كأنها تبتسم له ..

وقد أصبح محمود مواظبا على تلبية دعوات زوجها مساء كل خميس من كل أسبوع .. وهو كان يدعوها إلى ولائم يقيمها فى بيته .. ولم تكن تسعد بدعواته رغم حرص زوجها على تليبيتها .. إلى روجته وهي صاحبة الدعوة تكون أقوى فى شخصيتها .. شخصية ست البيت .. حتى أنها كانت تحاب هذه الشخصية وتعتمد الابتعاد عنها وتعود إلى طبيعتها المرورية الصامتة .. وتجد نفسها حتى كأنها تخاف تتبع محمود بعينها كما تعودت منذ التقت به .. إنها تحس بأنها لن تكون أبدا صديقة لشريفة صداقة حلوة كاملة .. بل إنها بدأت تفكر أنه حتى صداقة زوجها عزيز مع محمود ليست صداقة حلوة كاملة .. إنها تحس رغم كثرة الدعوات المتبادلة أن زوجها لا ينطلق مع محمود انطلاقا مع بقية أصدقائه .. لم يكن بينهما نور أو تحفظ ولكن ليس بينهما إطلاق .. حتى بعد أن يشربا الكؤوس لا يستطيع أن نصل بهما إلى الانطلاق .. وربما كان حرص كل منهما على دعوة

الإله .. هو مجرد اعتراف بقيمة كل منهما فى هذا المجتمع الذى يضمهما ..
قد مر عام وإحساس سعاد بمحمود لا يتغير وخصوصا عندما يكون معه إلى بيتها .. وإن كان هذا الإحساس يشتد فى لحظات تتمنى خلالها أن ..
لكن لا شيء أكثر من هذا اللقاء المتباعد خلال الدعوات ..
لأنها تحس بإحساسها نحوه فهم لا تعرف إحساسه هو نحوه .. إنه دائم مكعب بانقسامها الواسعة التى يثيرها على شفيتها ودون أن يحاول ..
سعال هذه الابتسامة ..

كانت صديقتها هدى قد استطاعت أن تحصل على الطلاق وتعيش وحدها فى البيت مع ابنها وابتنتها .. استراحت من زوجها وبدأت تتمتع بكل حريتها .. وهى تعرف أن صديقتها سعت إلى الطلاق دون أن يكون لها من آخر تفزوجه ويعوصها عن الزوج الذى طلقته .. كل ما كانت تريده هو أن ترتاح من متاعب هذا الزوج وتطلق حرة .. وهى تحسدها .. كيف استطعت هى الأخرى أن تستريح وتطلق .. إنها لم تحاول حتى الآن .. إنها لا تستطيع أن تتصور نفسها بعيدة عن متاعب زوجها ولا كيف تنفرد بحسبها وتتحمل مسؤولية نفسها وحدها .. إن هذه هى الحياة .. حياتها .. ليس لها نصيب فى حياة بلا متاعب ..

وفى يوم كانت سعاد عند صديقتها وبدأت وهى تفعل حديثا عاديا تسألها محمود دون أن تتركها تلمح ولو من بعيد إحساسها به ..

وقالت لها هدى ومن عاندتها أن تتطلق دائما عندما نتحدث عن « حال »

— معروف عنه أنه مهذب .. ولا يعتمد البصيرة .. ولا يغازل ..
لكن له حكايات .. لعلها حكاية واحدة كانت يوما ما حديث كل الناس ..
وقع فى حب واحدة واستسلم لهذا الحب سنوات .. وأصبحت هذه الواحدة

تعرف به وهو يعرف بها .. ثم انتهى كل شيء وعرف الناس أن هذه
الواحدة قد تزوجت غيره ..

وقالت سعاد وكأنها ليست راضية عن هذه النهاية بين محمود وحبيبته :
- ولماذا لم يتزوجها هو ..

وقالت هدى ضاحكة :

■ لا أدري لماذا .. ربما لأنه رجل عاقل يغلبه عقله على عواطفه ..
اسمعى .. سأحدثه فى التليفون .. إنى محبة به .. إن دمه خفيف وكلامه
عسل .. وقد حاولت مرات أن أعريه بإعجابى عندما كنت أراه عنكم ..
ولكنه كان يكتفى بكلامه اللينز المسلى .. وكنت أنساه إلى أن ذكرتى به ..
إنى أعرف نمرة تليفونه .. لقد بحثت عنها يوما ثم عدت ونسيت أن أطلبه ..
وشئت هدى فوراً من جانب التليفون « بلوك نوت » تزجهم أوراقه
بعشرات الأوراق كلها مسحلة بخط يدها .. وأخذت تقلب فى الأوراق إلى
أن وضعت أصبعها على رقم ثم رفعت سماعة التليفون وأدارت الرقم ..
ثم قالت وقد رد عليها :

- أنا هدى .. لعلك تعرفنى .. إننا نلتقى عند صديقتى .. و ..

لقد قالت له اسمها .. وليس كما تعودت أن تقول اسما كانا كلما لعبت
بالتليفون .. لعلها جادة هذه المرة وتريد محمود فعلا ..

- ووجدت سعاد نفسها وبلا وعى منها تخطف سماعة التليفون من يد
هدى وتقول فيها كأنها تشخط فيه وتثير خناقة :

- من فضلك .. إذا كنت تريد التحدث فى التليفون فحدثنى أنا ..

وسمعت صوته كأنه يصيح مبهوراً :

أنت .. سعاد .. مستحيل .. غير معقول .. لقد كنت دائما أبعد من
أمالى ..

بعد عرفها من صوتها دون أن تقول له اسمها .. كأنه كان يعيش هذا
الصوت .. وهو بعيد عنها .. وقالت وقد أفاق من إحساسها وبدأ صوتها يهدأ
الهدج :

ما الذى جعلك تبعدنى كل هذا البعد ..

وقال بصوته المبهور :

منذ رأيتك وأنا أحس بك فى قمة المستحيل وكنت أقاوم أى لمحة
أمل بخطر على بالى ..

وارتبكت كيف ترد عليه ثم قالت كأنها تهرب من أن تعترف له :

- إنى أتكلم جادة يا محمود .. إذا أردت أن نتحدث فى التليفون حدثنى

أنا

وقال وكأنه يتعلق بها قبل أن تهرب منه :

- كيف أتصل بك ؟

وقالت بعد برهة فكر :

- سأتصل بك أنا .. أوروفوار ..

وسمعه يرد كأنه يتنهد :

- أوروفوار .. ولو أنى لا أصدق أننى ولا أصدق نفسى .. كأنى
حفت فى أوهام ..

وعادت تكرر :

= أورو فور ..

ثم ألقت سماعة التليفون والتفتت إلى هدى وعيناها مرخيتان وقالت بصوت مرتعش خجول :

- اتركي لى محمود يا هدى ..

وقالت هدى وهي تصحك صيحة مفتعلة والدهشة تكسو وجهها منذ بدأت سعاد تتكلم فى التليفون :

- وقعت .. مبروك يا عروسة .. يا عروسة الحب .. ولكن اسمعى .. أنت عبيطة .. وهذه أول مرة يجذبك الحب .. ولا تعرفين ولا تفهمين منه شيئا .. أريدك أن تقولى لى أولا بأول ما جرى بينك وبين محمود ..

وقالت سعاد وهي تصحك صيحة خافتة مفتعلة :

- ماذا سيكون بينى وبينه .. إنها مجرد تسلية كما تتسلين أنت بحديث التليفونات .. وكل ما جذبنى إلى محمود هو التسلية ..

وقالت هدى وهي تنظر إلى سعاد بعينين مشفقين كأنها تخاف عليها فعلا :

- حتى التسلية .. أبلغنى عنها أولا بأول ..

وقالت سعاد من خلال صحتها المفتعلة :

لا تحافى على .. أنا لست مجبونة .. وقد اخترت محمود لأنه لم يبدأ وأنا التى بدأت .. ولأنى بدأت قلن أخرج عن حدود التسلية .. اطمئنى ..

وتركت سعاد بيت صديققتها وعادت إلى بيتها ووجدت نفسها تجلس مباشرة بجانب التليفون .. لا .. لا يصح أن تتحدث محمود الآن .. سوفى النفل يا بيت ولا تنهاوى عليه .. وقامت من جانب التليفون تدور وتلف فى

اليد .. سعل عقلها وأصابعها بكل ما يخطر لها .. ولكنها تعاني من مقاومة التليفون .. إنها ليست مجبونة .. إنما تحس بأنها مجبونة فعلا .. ولكنها تقاوم حبائها .. وقد طلت تقاوم حتى أخذت المقاومة قدرتها على النوم .. لم تسم

وهى اليوم القالى حادثته فى التليفون .. إنها تحس كأنها تطير معه فوق السحاب .. تحس أنها وحدث حياتها وبدأت تعيش .. وحديثه حلو لا يريد أبدا أن ينتهى .. وقد كانت تتحدثه مرة فى اليوم .. وأصبحت تتحدثه مر .. ثم ثلاثا .. ثم أربعاً .. وكانت تتحدثه وزوجها خارج البيت وبناتها فى المدرسة فأصبحت تتحدثه حتى وزوجها وبناتها فى البيت .. وحدث الوسوسة التى تستطيع بها أن تختلئ به وبالتليفون .. وقد أعطاهما كل أرقام بطوابعه وكانت تحفظها دون أن تكتيبها .. حتى وهو فى بيته ومع زوجته طاب استطاع أن تتحدثه .. حتى عندما كان يدعى فى الخارج كان يعطيها معه التليفون الذى يذهب إليه لعلها تريد التحدث إليه .. ولكنه كان فى كل مرة يريد لقاءها .. معظم الحديث ينصب على الإلحاح فى طلب لقاء .. وهو مترددة .. وترددها يصعب .. ورغبتها فى لقائه تعصرها .. أين يذهب .. إن كلا منهما متزوج ولا يستطيعان اللقاء فى مكان عام أو تحت شجرة فى شارع هادئ .. ليس لهما إلا أن يلتقيا فى بيت لتستتر عليهما الجدران .. وهو يقول إن لديه البيت الذى يلتقيان فيه .. لديه شقة فى الومالك .. وقد قالت لها صديققتها وهي تستغيث بها لتزيحها من ترددتها :

إن اللقاء سيتم مهما حاولت المقاومة .. وما يحدث خلال اللقاء هو ما يريد به أنت لا ما يريد به هو .. إن المرأة أقوى من الرجل ولا يستطيع أن يحد منها أكثر مما تعطيه .. وأسألينى أنا ..

كان قد مضى شهران فى حديث التليفونات إلى أن خرجت للقاءه .. وحلت الشقة ..

وقبل أن ترد الأم كانت سامية قد خرجت من عرفتها وهجعت على سهير وأمسكت بذراعها تضغط عليها بعنف وهي تصيح :

- كيف تتصلين بأحمد دون أن أسمع لك ..

ونطرت سهير في عيني أختها كأنها تهددها وقالت هي تحد :

- اتركي ذراعى أولاً وإلا فلن يحدث طيب ..

ورفعت سامية يدها عن ذراع أختها كأنها حافتها فعلاً واستمرت نصيح :

- تكلمى .. لماذا تحادثين أحمد في التليفون ..

وقالت سهير في بساطة وهي تبتسم ساحرة :

- وماذا فيها .. صديق أحتي هو صديق العائلة ..

وصرخت سامية :

- لا .. صديق أحتك يكون صديقها وحدها ..

وقالت سهير وهي أكثر سخرية :

- خلاص .. اطمنى .. سأتركه لك لتشربيه وحده ..

وتركتها سهير بإهمال ودخلت عرفتها .. وسقطت سامية حالمة بجانب أمها قائلة :

- أيعحك هذا يا ماما ..

وقالت الأم وهي تتنهد :

- ماذا أفعل يا ابنتى .. إنى منكوبة بأحتك سهير ..

وساد الصمت بينهما فترة إلى أن قالت الأم وقد هدأت تهداتها :

فولى لى ياسامية .. ألم يحدث بينك وبين أحمد جديد ..

وقالت سامية وقد هدأت هي الأخرى :

ماذا تقصدين يا ماما ..

وقالت الأم بسرعة :

لم يبدأ ببيكما كلام عن المستقبل ..

وقالت سامية وهي تبتسم ابتسامة صغيرة كأنها فهمت ما تقصده أمها :

ى مستقبل ؟

وقالت الأم ملهوفة :

مستقبلكما معا .. إلى أين سينتهى حبكما ..

وقالت سامية وهي تصحك :

تقصدين الرواح .. لم يحن الوقت بعد يا ماما .. ولا أنا ولا هو يهبط على بالنا موضوع الزواج ..

وقالت الأم في دهشة مرة :

كيف يا ابنتى .. إبه سيتخرج هذا العام ويصبح مهندساً ويصبح فى حاجة إلى الزواج ..

وقالت سامية من حلال ابتسامتها :

ولكنى سأخرج بعد أربع سنوات .. وسأكون مهندسة أنا أيضاً ..

وقالت الأم فى صوت عاضب :

- هل تنتظرين كل هذه المدة ..

وعانت سعاد الأم إلى حيرتها وقد سقط رأسها على صدرها .. متى
«روح بناتها .. وكيف .. ومتى تطمئن إلى أن ماضيها لن يعرف
طريقهن ..

وقالت سامية كأنها تحدث نفسها :

- إنى قد لا أكون فى انتظار التعرح ولكنى أنتظر أن أكون أنا وأحمد
فى حاجة إلى الزواج ..

وصاحت الأم :

« إن الرجل لا يحسن أبدا بحاحته إلى الزواج مادامت البنت معه بلا
زواج ..

وقالت سامية فى رقة كأنها تشفق على أمها :

- هذا كلام زمان .. أو كلام يطبق على البنت الهائفة المجنونة التى
تعطى كل شيء بلا زواج .. اطمئنى يا ماما .. إن ابنتك عاقلة وتعلم كل
شيء .. وأنا واثقة أنى سأسأل بأحمد إلى حالة احتياجه للزواج مادمت قد
أصبحت أنا أيضا فى حاجة إليه ..

وقالت الأم وكأنها معاتبة من ابنتها :

- قد يتركك قبل أن يصل إلى هذه الحالة ..

وقالت سامية وهى تنهض :

- إن الطلاق فى الحب أرحم من الطلاق فى الزواج .. على الأقل
لا يكون طلاقا ينصب على أدمغة أبناء .. وأنت تعرفين يا ماما ..

وأحست سامية قورا بأنها أمانت أمها بكلمتها الأخيرة فقامت تقبّلها على
رأسها وهى تقول :

- اطمئنى يا ماما .. مستغلى مصمون ولا تشغلى بالك به ..

ثم جرت من أمامها ودخلت غرفتها وراء سفير .. إنها غرفة واحدة
نصم البيات الثلاث ..

(٥)

وكانت سعاد أحيانا تنثور على اتهامها لنفسها بأن لها ماضيا يصعب
مستقبل بناتها .. أى ماضى هذا الذى تحافه .. إنها لم تكن امرأة من نساء
الشارع .. ولم تكن ملكا لكل الرجال .. كل ماضيها لم يشهد إلا رجلا واحدا
بعد زواجها .. لم يشهد سوى محمود .. ومحمود لم يكن مجرد رجل ..
إبه المعيب المجير الذى أرسله الله لها لإنقاذها من زوجها .. ولو لم يكن
هو محمود لكان رجلا آخر فقد كانت قد وصلت إلى الحالة التى لا يستطيع
فيها مزيدا من احتمال زوجها .. ولكن الحمد لله أنه محمود .. إنه فعلا
ملك .. لم يكن أبدا مجرد رجل يشتهى امرأة .. ولم يقم على معازلتها
كما يقدم بقية الرجال .. إنها هى التى بدأت .. حتى القبلة الأولى لم تكن
قبلته وكانت قبلتها هى ..

وطافت على شفتيها ابتسامة وهى تتذكر القبلة الأولى ..

كانت ذاهنة إلى الشقة التى يلتقيان فيها لأول مرة .. وكانت طول
الطريق ترسم ما يمكن أن يجرى بينهما داخل هذه الشقة .. فقد قالت لها
صديقتها هدى إن المرأة هى التى تقرر ما يجرى لا الرجل .. وقد قررت
ألا يجرى بينها وبين محمود سوى الكلام .. وقد كان كلاما طويلا حلوا كأنه
كلام يرسم لكل الدنيا صورة جديدة رائعة هائلة لم ترها من قبل .. وكانا
سكلمان وهما جالسان على أريكة واحدة ويده تحنصن يدها وإن كانا
متناعدين .. إلى أن قال لها فى صوت يهبط بصوت عواطفه :

قال بنفس البساطة :

- كانت فى حاجة لأن تتزوج ..

وعائلته فى غيظ أشد :

- ولماذا لم تتزوجها أنت مادمت كنت تحبها ..

"وقال وهو يفتح دكان سيحارته :

- الزواج حالة والحب حالة أخرى .. الزواج حالة تشمل المجتمع كله

الذى أعيش فيه .. وتشمل التفاصيل الدقيقة لكل ما يعيشه الإنسان ..

والحب حالة تجمع بين اثنين . رجل وامرأة .. وهى حال تجعلهما يكتفيان

هما الاثنان أحدهما بالآخر دور أن يحتاجا إلى شيء آخر مما تقوم عليه

الحياة .. ولم أكن أستطيع أن أستغنى عن حالة الزواج التى أعيشها

ولا أستطيع أن أعيش بلا حالة حب .. فكنت أجمع بينهما .. ولكنها لم

تستطع أن تستغنى عن حالة الزواج فانقلت إليها وهجرت حالة الحب ..

وقالت من خلال عيظها :

- ولماذا لم تحاول منذ البداية أن تجمع بين الحب والزواج فى حالة

واحدة ..

وقال كأنه يتحسر :

- هذا ما فعلته .. لقد كنت فى حالة حب مع زوجتى منذ كانت طالبة

معى فى الجامعة .. ولم أتركها تتم تعليمها لأتزوجها .. ولكنها بعد ذلك

بدأت تفصل حالة الزواج عن حالة الحب .. وقد عشت طويلا .. أكثر من

خمسة عشر عاما دائما أعانى فيها تباعد الحالتين يوما بعد يوم .. إلى أن

القيت بالحب الذى سبق حبك ..

وصبحت سعيد يوما :

مادمت قد احتملت حالة الزواج كل هذه المدة فلا شك أنك سعيد

ونظر إليها كأنه يلومها على صيحتها وقال :

بها ليست سعادة ولكنها مسئولية .. وهى مسئولية تؤكد رصائي عن

.. لا يمكن أن أتحدى عبها أو أفرط فيها .. وكذلك الحب .. إنه ليس

.. هاء عاطفى وممتعة .. إنه مسئولية .. وأنا لأنى أحبك فإنى أحس

بمسئوليتى عنك .. وهو إحساس يعوصنى عن المريد الذى أتمناه ولعلك أنت

أبضا تمنينيه ..

وقد فهمت من كل هذا الحديث أنه لن يتزوجها .. وربما احتملته يوما

.. هى الأخرى كانت فى حالة رواح من عرير .. كلاهما فى حالة

واحدة .. أو فى حالتين متساويتين .. حالة رواح وحالة حب .. ولكنها بعد

ت تفكر فى الطلاق .. بدأ يخطر على بالها .. إذا كانت من سبقها

فى حب محمود لم تستطع أن تتزوجه فلماذا تفرص أنها هى الأخرى

لا تستطيع .. ولعله يحبها أكثر منها .. إنها لا تستطيع أن تتصور حباً أكبر

من هذا الحب الذى يصفيه عليها . ولا تستطيع أن تتصور أن كل هذا

الحب كان يمكن أن يصفيه على امرأة قبلها حتى على زوجته التى يقول

أنه بروحها عن حب .. إنه لن يخلدها أبدا إذا أرايت منه الرواح .. إنه

بها .. إن الحب مسئولية والمسئولية ستدفعه إلى الجمع بين الحالتين إذا وحد

بهم مضطرا .. حالة الحب وحالة الزواج ..

وفى يوم جمعت ثيابها فى حقيبة وخرجت من بيتها إلى بيت أمها ..

.. مها لم تعاجب بها .. كانت قد بدأت الشكوى لها منذ شهور .. وهى نفسها

.. ذات منذ سنوات وهى لا ترتاح لعزير زوج ابنتها .. تكرهه وتسخط عليه

.. أنه لا يستسلم لها ولا يحترمها ولا يهيمه أن تعيب عنه مهما عانت ..

استمعت لسعاد ابتسامة حزينة وهى تدخل بيت أمها .. لقد كانت دائما تمنى

ألا تكون حياتها كحياة أمها .. ولكن ها هي تعيش نفس الحياة .. تجد رجلا آخر غير زوجها وتطلب الطلاق كما فعلت أمها ..

وكانت قبل أن تخرج من بيتها قد جمعت بناتها وقالت لهن بصراحة إنها ستترك أباهن .. ولن تعود إليه .. ووافقت البنات فوراً رغم أنهن كن لا يزلن صغيرات .. لم تكن ابنتها الكبرى سهير قد تجاوزت الثالثة عشرة .. ربما أحسس يومها أنها مقلات على لعبة حديدية .. كأن حياهن لعبة .. أو ربما كن يعثرن أمهن فهن يشعرن بأن أباهن لا يطلق .. لا هن يطقنه ولا أمهن .. وقد قالت لهن سعاد يومها نفس ما قالته لها أمها عندما تركت بناتها تطلب الطلاق من أبيها .. إنها ستصل بهن كل صباح بالتليفون لتعد معهن ما يحتجنه وما يحتاجه البيت .. وهي لا تستطيع أن تعتمد على ابنتها سهير لأنها لاهية عن كل شيء وتكره حمل أى مسؤولية .. وابنتها الثانية سميرة حادة ولا تقبل أن يجرح عن اهتمامها بعلومها .. واختارت ابنتها سامية لتعتمد عليها رغم أنها لم تكن تحاور العاشرة من عمرها .. كما اعتمدت عليها أمها هي رغم أنها هي الأخرى كانت في العاشرة .. أما حبيبها محمود فقد ثار .. إنه لا يريد أن يترك بيتها أو تطلب الطلاق .. وقالت له وهي تحاول أن يراجعه ثورته في هدوء :

لا تخف .. إنك لن تتحمل أى مسؤولية ..

وصاح محمود :

- أنا لا أخاف المسؤولية .. ولكني أخاف على حينا .. لقد بدأنا الحب وعشناه وأنت وأنا في حالة واحدة .. أنت متزوجة من غبرى وأنا متزوج من غيرك .. ولكن الآن .. عندما تصبحين أنت مطلقة وأنا متزوج فكيف يعيش حينا .. وأنت تعلمين أنى لا يمكن أن أطلق يوماً لأكون في حالتك ..

وصرحت سعاد :

أنا لم أطالبك بطلاق زوجتك .. وأعلم أنك تحتمل الزواج .. ولكنى أيا لا أحتمله فدعنى أطلق ..

وقد ظل محمود رافضاً .. ولكن بعد أيام استسلم لكل ما تتخذ من إجراءات الطلاق .. لقد أصبحت وهي في بيت أمها أكثر حرية وتعطيه الآن.

ولكن زوجها عزيز ليس كريماً مهذباً كأبيها عندما طلق أمها لمجرد أنها تريد الطلاق حتى لو كان هو لا يريده .. إن عزيز يصبر إصراراً عنيقاً على عدم الطلاق .. ربما لأنه ليس من طبيعته أن يعطى ويحس بالمهانة بسبب تعرضه عليه أحد العطاء .. إنه لا يحبها ولكنه لا يقبل منها أن .. كه .. هو وحده صاحب الحق في أن يتركها .. حتى بعد أن عرف أن هناك رجلاً دخل حياتها .. إنه من هذا النوع العريب من الرجال .. يقبل أن يكون زوجته لرجل آخر وهي تحمل اسمه دون أن يصون كرامته ويبرع اسمه عنها ويطلقها .. ولكن .. ربما كان عزيز معزوراً في الإصرار على عدم الطلاق .. إنه يخاف على بناته دون أمهن .. من يتولى قريبتهم .. سبهن .. أو ربما يخاف أن يتحمل مسؤوليتهن وحده .. كما يخاف أن .. كهن لأمهن وحدها وقد فقد ثقته فيها وفي شرفها .. ثم كيف تستمر حياة هذا البيت .. لعل الحل الوحيد هو أن تعود زوجته إلى بناتها وإلى البيت حتى لو اضطر أن يتحمل الغفران عن خطيئتها ..

ولكنها لن تعود أبداً .. إن الزوجة التي خانت إذا عادت إلى زوجها فكأنها تلقى بنفسها في الجحيم ..

وظل زوجها عزيز مصراً على عدم الطلاق ..

حتى بعد أن لجأت إلى المحاكم لم تستطع أن تحصل على الطلاق .. وهي تعيش سنوات غريبة ..

• •

ودق جرس التليفون فخرجت سعاد من ذكرياتها ورفعت السماعة .. إنه رجل يطلب الحديث إلى ابنتها سميرة .. ابنتها الحادة العيفة في حديثها والمنعزلة داخل كتبها .. يطلبها رجل .. إنها المرة الأولى التي يطلبها فيها رجل ، بل إن التليفون لم يكن يطلبها إلا نادرا حتى من صديقات بنات .. وقال الرجل اسمه .. عمر بليغ حشمت .. والتفتت سعاد إلى ابنتها والدهشة في عينيها :

- سميرة .. واحد يريذك .. اسمه عمر ..

وقفرت سميرة نحو التليفون والتقطت السماعة من يد أمها كأنها تخطفها .. وأمها تراقبها .. إن ابنتها تتكلم في التليفون بلهجتها الجادة ولكن على شفتيها ابتسامة صعيقة كأنها تقاوم حتى لا تكون ابتسامة واسعة .. وتكلمت قليلا ثم التفتت إلى أمها وهي تعيد السماعة قائلة :

- واحد سيأتى لزيارتي الآن يا ماما ..

وقالت الأم بدهشة :

- واحد .. من يكون ؟

وقالت سميرة بصوتها الجاد القاطع :

- معيد عندنا في الكلية .. الأستاذ عمر بليغ حشمت .. كنت قد طلبت منه مذكرات فانتنتي وسيمهلها إلى ..

وقالت الأم كأنها تتجراً على مناقشة ابنتها بعد أن عودتها على ألا تناقشها :

- ولماذا لا يعطيها لك وأنتما في الجامعة ..

وقالت سميرة وهي تنظر إلى أمها كأنها تأمرها بأن تكف عن المناقشة :

إني متعلقة عليها .. وغدا الجمعة إذا كنت تذكرين .. وأفضل .. يستقبله أحد منا معي .. إنها زيارة عمل .. شغل .. دراسة ..

صاحت الأم ولعلها المرة الأولى التي تصيح فيها في وجه ابنتها ..

مستحيل .. مادام هناك رجل يدخل البيت فيجب أن أكون أنا ..

وقالت سميرة في سخط متأف :
هذه مظاهر .. ولكن لا مانع .. ولا تحاولي أن تسأليه عن أصله

وفصله كعادتك وأتركينا نعمل .. ثم لا أريد أن نظهر أختاى حتى لا تكون هفلة نحفل فيها بصيف ..

وقالت الأم في استسلام :

سأنبه عليهما ..

وتركتها سميرة وحلت العرفة .. غرفة البنات .. ولم تسمع سعاد ماذا قالت لأختيها فقد كانت تعد لاستقبال الضيف .. ولكن لاحظت عندما عادت إليها سميرة أنها اهتمت أكثر من عادتها باختيار ثوبها وتلوين وجهها ..

وحلمت سعاد تنتظر الرجل القادم بلهفة .. لا يمكن أن يكون قائما لمجرد تسليم أوراق .. لابد أن هناك شيئا أقوى يدفعه إلى المجيء ويدفع سميرة أن تقول أن يحىء .. حتى لو كان شيئا لم يتصارحا به بعد .. إنه أول رجل تصمع عنه في حياة سميرة ..

وجاء .. والألم تشربه بعينيها وهي تصافحه .. إن شكله مقبول .. ويسدو على وجهه ملامح الحدية .. ليس بكيفية الشبان الذين تغفر على

ساعاهم اسامات جريئة وتطل من عيوبهم بطرات وقحة .. وحتى الذي
الذي جاء به .. إنه بئلة كاملة وقميص وكرافت كأنه جاء في مهمة
سمية .. ليس كأحمد صديق سامية الذي جاء لزيارتها بالقميص والبنطلون
وصدره يكاد يكون عاريا .. ولا تدرى لم يكرها وجهه بعلامح روحها القديم
سوى السات .. لعله هو الآخر من أصل فلاحى .. وربما كانت هذه الملامح
لفلاحى هي التي جذبت سميرة إليه ، فكل ست تتأثر في احببار رجها
بعلامح أبيها .. وقد لاحظت وهو بصافحها ورعم جدية ملامحه أن هذه
العلامح نهز كأنه مرتبك .. ولعل في هذا ما يطمئنها فهو ارتباك يدل على
أنه مهذب ولم يتعود زيارة النساء .. ولكن من يدرى .. لعله ارتبك لأنه
لم يكن ينتظر أن يلتقى سميرة وأمها معها .. إنه جاء لها وحدها .. ليبرد
سها .. من يدرى ..

واحتارت سميرة أن يجلسا خلف المكتب وفتح الأوراق وبدأ يتحدثان
حديثا لا تفهم منه أمها شيئا .. حديث حول ما يدرسه .. وقامت الأم
وتركتها لتعد الشاي للصيف .. ولمحت وهي في طريقها إلى المطبخ استها
سهير وهي تطل من ثقب الباب .. إنها لا تستطيع أن تنتظر حتى تراه في
مناسبة عادية .. تريد أن تكتشف بسرعة هل يستحق إغراءه
ولا يسحق ..

وعادت إليهما وقامت الشاي ثم جلست على مقعد مريح في آخر العرفة
والثقلت خيوط التريكو وبدأت تشعل أصابعها به .. ولم تحاول أن تتابع
ما يدور بينهما من كلام .. ولكنها كانت ترفع عينيها بين كل حين لتعود
وتتفحصه أكثر ..

ولم تدوم الريادة طويلا .. حوالى ساعة .. وقامت سميرة تودعه حتى
لرب بعد أن صافح أمها في أدب كبير .. كادب أيام رمان .. وقد لمحت
الأم ابتسامة ابتها تنمغ أكثر .. وأغلقت الباب وراءه ثم عادت تجلس إلى
مكسها .. وخرجت سهير من غرفها وقالت لأختها :

.. بنته .. إنه في درجة مقبول ..

وبطرت إليها سميرة في احتقار دون أن ترد عليها .. والفتت سهير
إلى أمها قائلة :

إني خارجة يا ماما .. لقد كنت حابسة نفسي في العرفة بناء على
مليمات ست سميرة حتى لا يرانى صبيها .. تخاف عليه هي الأخرى ..
فـ سـ سـ

وتركتها أمها تحرج دون أن تقول كلمة .. بينما ابتها سامية في غرفة
.. ولم تحاول أن ترح إلى حديث مع أختها وكأنه لم يحدث ما يمكن
أن يشير اهتمامها .. وقالت الأم وهي تحفص انتها سميرة بابتسامة كبيرة :

حديثي يا ابنتي عن الأستاذ عمر ..

وقالبت سميرة كأنها تنهم أمها بالجهل :

إن اسمه الأستاذ بليغ .. وصحيح أن أول اسمه عمر ولكنه معروف
سم الأستاذ بليغ ..

وقالت الأم كأنها تستجدي ابنتها :

- وماذا تعرفين عنه ..

وقالت سميرة في زهق :

- أعرف أنه معيد في الكلية يدرس لنا علم الاقتصاد السياسي ..
وأعرف أنه يعد لنيل الماجستير ..

وقالت الأم في إلحاح :

- وماذا تعرفين عن عائلته ؟

وصاحت سميرة كأنها جرحت :

- مالى ومال عائلته حتى أعرف عنها شيئا ..

وقالت الأم بإلحاحها :

- أقصد ما تعرفينه عن حالته ..

وعادت سميرة تصيح :

- لا أعرف عنه إلا أنه معيد فى الكلية .. وهو معروف بين الطلبة ومحترم .. واسكنى يا ماما .. اعفينى من فضلك من أسئلتك .. إني أعرف هوياتك لمثل هذه الأسئلة وكنت أخشى أن نوجهها له شخصيا وهو ها .. ولكن الحمد لله .. كنت عند وعذك .. كفى يا ماما .. دعينى أذكر ..

وسكتت الأم .. وهى كأنها تلوم نفسها .. لماذا فعلا تسأل كل هذه الأسئلة .. إنها تعرف لماذا تسأل .. إنها صديقة خيالها الذى يوحى إليها بأى كل رجل يتقرب من إحدى بناتها سيتزوجها أو يجب أن يتزوجها .. ولكن لماذا تتحيل أن الأستاذ بليغ يمكن أن يتزوج سميرة .. لماذا لا تصدقها وتعتبر أن كل ما بينهما هو حلة تلميذة إلى الأستاذ وتطوع الأستاذ لخدمة تلميذته .. وسكتت .. لم تعد تسألها عنه ..

وكانت قد مرت ثلاثة أسابيع عندما جاءت إليها سميرة تقول لها فى لهجة مهذبة لم تتعودها منها :

- اتفقت مع الأستاذ بليغ .. أن يمر علينا ليساعدنى فى دروسى .. إني نائية فى علم الاقتصاد السياسى والامتحان قرب .. وميأتى يوم الخميس ..

وذهلت الأم ووجدت نفسها تعيد ما سبق أن قالت لابنتها سامية عندما فكرت أن تكرر دعوة صديقها أحمد .. وقالت وهى تحاول أن تكون هائلة :

- اجلسى بجانبى يا ابنتى .. إنا نعيش وحدنا .. ثلاث بنات وأم ليس بيننا رجل .. لا أب ولا زوج ولا أخ .. وزيارة غريب لنا أكثر من مرة

.. سلام الناس وتشهيرهم بنا .. ويقولون إني فتحت البيت للرجال لأتركهم لىابى .. لا يا ابنتى .. اعملى معروف ..

وصاحت سميرة بصوتها العنيف :

لا يهمنى كلام الناس .. إنهم يتكلمون لمجرد شهوة الكلام .. وقد علمت عا وعك كثيرا وأنت تعرفين ، ثم إن ريارة لبنت وسط عائلتها أرحم .. يلقاها خارج البيت حتى لو كان يلقاها فى الشارع أو تحت شجرة .. هـ .. رسيه أن أذهب أنا إليه بدلا من أن يأتى إلينا .. إنه يقيم وحده فى شقة فى الحيزة .. هل تريدان أن أتلقى دروسى فى شقته .. واسمعى يا ماما .. اى مصرة على دعوته ، وتستطيعين أن تطرديه ولكنك منطردينى معه ..

واتحدت سميرة عن أمها ودخلت عرفتها ورزعت الباب وراءها فى

سب ..

وسقطت الأم فى أعماق الذهول وأمواج الحيرة تتلاطم بها .. ماذا .. هل كنت عليها أن تستسلم لابنتها .. ورفعت سماعة التليفون ستعيث بصديقها الوحيدة هدى .. وأخذت تروى لها الموضوع الذى بحيرها وهى تكاد تبكى .. وقالت هدى فى بساطة :

ومادا فيها .. أستاذ يدرس لتلميذة .. كل البنات يتردد عليهن الأساتذة فى بيوتهن .. وإذا لم يكن لك رجل فليس هذا ذنب ابنتك .. وحرام أن تكون سحرة لوضع كتب عليها .. ولكن يجب أن تفصحى عيبك على أحدهما .. سمعة أساتذة الجامعة كسمعة الأطباء .. هذا له التلميذات وهذا له مر بصات ..

وطال الحديث حتى اقتنعت سعاد بالاستسلام لابنتها .. وحلست فى انتظاره وهى تتسائل : لماذا يزورهم دائما يوم الخميس ، لقد دانت زيارته السابقة فى يوم خميس أيضا .. كأنه يقضى سهرة نهاية

الأسبوع عندهم بعد أن ينتهى من عمله وبذلا من أن يذهب إلى سينما ..
.. به .. ولكن الزيارة لم تعد قاصرة على يوم الخميس .. إنه يأتى
مرتين فى الأسبوع .. وأحيانا ثلاث مرات .. لم يبق على الانتخاب سوى
.. سن ..

والواقع أن العائلة كلها بدأت ترتاح لتبليغ .. إنه مهندس .. يراعى كل
.. وكال الأصول .. وحديثه فى الفترات القصيرة التى يحدث فيها إلى
أفراد العائلة حديث ممنوع .. يفكر سعاد بأحاديث حبيبها محمود .. لقد كان
أروع ما فيه اختياره لموضوع حديثه أو الموضوع الذى يرد به على
سؤال .. وابنتها سهير لم تحاول أبدا تمليط إغرائها عليه .. لا لأنها تعيرت
.. لا لأنه لا يستحق محاولة الإغراء ولكن خوفا من أختها سامية .. إنها تعلم
.. لو نسكت على أى كلمة نقولها أو أى حركة تعرض نفسها بها ..
.. اسمها سامية تعامله كأستاذ .. لا أستاذ فى العلم بل كأنه أستاذ فى كل
.. مواهى الحياة ..

ولم تكن الفترات التى يجتمع فيها بأفراد العائلة إلا لحظات ثم يتفرغ
هو وسميرة للعلم .. والأم سعاد دائما معها تشعل أصابعها بأشغال
.. وكانت تصيق وترهق فهي ليست فى حاجة إلى ما تطرزه
.. ولكنها تحتمل فى سبيل ابنتها ولدى سبيل المحافظة على مطهر
.. وكأنها تقول لبليغ .. هكذا نحن لا نترك رجلا يعرد سنت من
.. بل إنها كانت تتنوع طريقا لمقاومة الإشاعات .. كانت تتعمد كلما
.. على السلم أو صديقة فى الشارع أو كانت فى زيارة أن
.. عن إنك لقد حان وقت وصول الأستاذ للتدريس لابتدى سامية ..
أن يقول لكل الناس إن الرجل الذى يدخل بيتها هو أستاذ يدرس لابنتها
.. بأنها سعى ما يمكن أن يطلق من إشاعات ..

.. كل تنهاتها تفرح الأمل الذى يعيش معها .. الأمل فى أن يتزوج

.. .. أن يتزوج بليغ من سميرة رغم أنها لا تعرف عنه بعد ما يكفى
لفرح به كزوج ..

الأمل فى أن يتزوج بناتها الثلاث حتى تعيق من عقدة إحسانها بأن
مأصياها قد تحول دون زواجهن .. المأصى الذى لم تنس منه يوما واحدا
عم كل هذا العمر الذى فات ..

(٦)

وابتسمت سعاد ابتسامة مسكينة وهي تعود إلى تكرياتها التي لا تزال تعيش فيها يوما بيوم ..

إنها عندما تركت بيتها وبدأت تعيش في بيت أمها أحست أنها انفردت بشخصيتها وأصبحت في منتهى الحرية .. بلا زوج .. وبلا مسئولية .. هذا النوع من المسئوليات الذي كان يشغلها طول النهار وطول الليل .. مسئوليات لا تريحها حتى يعد أن تمام .. فهي تحلم بها .. مسئوليات الأم .. بيت البيت .. أما اليوم فهي بعيدة عن بيتها وليست ست البيت .. إنها حرة .. طليقة .. إنها تقوم كل صباح وتتصل ببناتها بالتليفون لتتفق معهن على إعداد ما يحتاجونه وما يحتاجه البيت .. إن انتهى الصغرى سامية التي يعتمد عليها قد أثبتت أن نكائها وشخصيتها أكبر من عمرها .. وتستطيع أن تحقق كل ما يحتاجه البيت وما يحتاجه أنها .. وبعد ذلك كانت تتصل بالمحامي الذي اختارته .. أو اختارته أمها .. ليحصل لها على الطلاق .. بل كلامه كثير ولا تحرج بشيء .. إنها لا تستطيع أن تطعن إلى أنها مستحقة على الطلاق .. ولا تستطيع أن تياس من الأمل في الطلاق .. ثم فما عدا ذلك فكل بهارها وليلها لحبيبها محمود .. إنها معه دائما في التليفون أو في لقاء أو في إحساسها به كأن كل دنياها أصبحت دنيا محمود .. وكان محمود يتجاوز معها في إحساسها كأن دنياه هو الآخر أصبحت دنيا سعاد .. وكان يتحارب على مسئوليات عمله وعلى مسئولياته تجاه زوجته سلفاها كثيرا .. كلما أرادت وكلما استنطاع .. حتى أصبح في كثير من الأيام يتناولان الغداء سويا في الشقة .. وأحيانا العشاء .. وكانت هي التي تقوم

بعداد هذا العداء والعشاء ولكنها لم تكن نحس وهي تقوم بالإعداد أنها ست
البيت داخل هذه الشقة التي يلتقيان فيها .. إنها فقط تحس بأنها تخدم حبيبها
لتهنأ به أكثر .. بل إنها مرة قررا أن يقضيا الليل كله معا .. واستطاع
محمود أن يبعج روحه بأنه مسافر إلى الإسكندرية بحكم العمل وسيفضي
الليلة هناك .. استطاعت هي أن تقع أمها بأنها ستقضي الليل مع أختها
بحوى .. استطاعت أن تقع أختها بالكذب معها .. وقضيا الليلة معا ..
وكانت الليلة الأولى التي تحس فيها أنها تنام نوما طبيعيا وعبوبها معمصة
فوق صدر محمود .. النوم الذي تنامه كل امرأة كاملة في عباصر طبيعتها
كامرأة .. وإن كان نوما لم يسمر سوى ساعات قليلة .. ساعتين أو ثلاثا ..
فهما في حاجة كل منهما إلى الآخر لا يستطيعان أن يصلا إليها بالنوم ..
إن مجرد تبادل الكلام يعنيهما عن النوم .. وكانت تمر لحظات حلال هذا
الكلام يحار فيها إحساس سعاد بين النوم والاستسلام .. إن محمود لا يحب
أن يسمع منها إلى تفصيل ما وصلت إليه من إجراءات الطلاق .. بل
لا يحب أن تفتح له سيرة الطلاق فإذا فتحته استمع في إهمال وكأنه
لا يسمع .. أو تعتمد أن يحول الكلام إلى موضوع آخر .. ونحس كأنه
لا يرس لها الطلاق .. إنه لا يزال بعد كل ما حدث يريد لها زوجة رجل آخر
كما أنه زوج لامرأة أخرى .. وكل ما يقوله هو أن تفصل حياتها عن هذا
الرجل الآخر لتعطيه أكثر دون أن تطلب الطلاق .. إنه هو له حياة يفصلها
عن حياته مع زوجته رغم ذلك فهو لا يطلب ولا يفكر في الطلاق .. وليس
معنى ذلك أنه يختلف في نسبة حبه لها عن حبه له .. إنه كما قال لها مرة
بحلف عنها في نسبة تحمل المسؤولية .. فالزوج مسؤولية كما أن الحب
مسئولة وتمر بخاطرها كل هذه الحواطر وهما يعيشان الكلام معا ولا تلبث
أن تطرد حواطرها وتستسلم له .. تستسلم لما يريد .. ولكن مهما كان
ما يريد في مصممة على الطلاق .. كيف تعود إلى زوجها عزيز حتى
لو ادعى أنه غفر لها .. فالزوج الذي يفرق أفسى وأبشع من الزوج الذي
لا يعبر .. إنه يعيش مع الزوجة التي أعادها إليه بدافع الانتقام منها ..

.. سلا من أن يقتلها بالطلاق .. ثم كيف تعود إليه وتطل على علاقتها
.. العلاقة التي يفرصها الحب .. لا .. مستحيل .. إن مسؤولية
الحب ليست كما يقول محمود .. مسؤولية تفرص عليهما حالتين .. حالة
.. وحالة الحب .. إن الحب الكامل لا يفرص إلا حالة واحدة ..
.. لينته تفرص التفرغ له .. أي تفرص التخلص من مسؤولية الحالة
.. حالة الزواج .. تفرص الطلاق من هذه الحالة .. ولذلك فهي
مستمرة على الطلاق لأنها تحب الرجل الآخر .. وهي واثقة عندما يتم هذا
.. أن أن محمود سيقع هو الآخر بأنه لا يستطيع أن يعيش إلا حالة
.. حالة الحب .. وهو يحبها وتعطى حبه كل ما تتيحه لها حريتها ..

ولكن هذه الحرية المطلقة لم تستمر سوى أيام أو أسابيع .. ثم بدأت
ألمها تتدخل في الحد من هذه الحرية .. إنها تعلم أن ابنتها على علاقة برجل
.. إنها تسميها علاقة لأنها لا تستطيع أن تعرف بأن ما بينهما حب ..
فالحب لا يستطيع الإحساس به والاعتراف به إلا طرفاه .. وهي لا تفرص
.. هذه العلاقة .. فهي نفسها في شبابه اربطت بمثل هذه العلاقة وهي
وحي .. واستطاعت أن تطلق زوجها الرجل الأول وتزوج الرجل
.. وهي تتدل كل نكتتها وكل شطارتها للحصول على الطلاق لاسنها
كما حصلت عليه هي .. وكل دوافعها أن تتزوج ابنتها من الرجل الثاني
كما تزوجت هي .. ولكن الأم بدأت تلاحظ أن استنها منهارة على هذا الرجل
.. وتعطيه بإفراط .. وهذا الإفراط لا يمكن أن يؤدي إلى الزواج ..
.. أن يطل هذا الرجل الذي محروما إلى أن يضطر للزواج .. ثم ..
.. الآن عجوز وتجاربها في شبابه أصبحت تتخذ صورا وتفسيرات غير
.. كنت عندما كانت تعيش فيها .. إن عقول العواجر تختلف عن عقول
.. حتى بعد أن يصبح الشباب نفسه عجورا .. وأقوى ما يسيطر
.. في فكر العواجر هو أنهم أصبح لهم حق القيادة .. فيدنة كل شيء بدور
دوبهم بحكم تجاربهم وبحكم احترام عمرهم .. لذلك قررت أم سعاد أن

.. فبدلتها .. فكل علاقتها بالرجل الذى اختارته بل قيادة كل كلمة
بسلطانها معه .. ورهصت سعاد هذه القيادة .. إنها تريد حريتها .. ومهما
بدلت فى هذه الحرية فلن تحرج عن الحرية التى كانت لأمرها وهى فى
سبيلها .. وقد كانت يوما تتمنى ألا تكون كأمرها حتى فى حريتها .. حتى
جيب نفسه .. به الفصائح التى عرفت بها أمها .. حتى لو تبارلت عن
حريتها .. ما وقع قد وقع .. وأصحت كأمرها لها رجل آخر يحارب
زوجها .. فلماذا تفقد لقيادة أمها وهى صورة منها .. واشتدت الخناقات
بينها .. أمها .. حتى بدأت تفكر أن تهجرها كما هجرت أمها .. إن نحوى
منذ البداية .. ولكن أين نذهب وكيف تعيش إذا هجرت أمها .. إن نحوى
كان .. أقوى منها وقد بركت بيت أمها وحررت تعمل وتكسب ما يوفر
لها ما تهب الحياة .. أما هى فإنها لا تتصور أنها تستطيع أن تعمل .. ليس
.. أو مؤهلات ولا حتى شهادة دراسية يمكن أن تعتمد عليها فى البحث
.. عمل .. ليس لها إلا جمالها .. وقد تعودت وأصبح من طبيعتها أن
.. لا بحمالها وتعجز عن استغلاله .. إنها لم تعط جمالها أبدا حتى ولو
جهد النظر إلا لحبيبها محمود .. وحتى وهى مع محمود لا تحس
بجمال جمالها .. إنها تحس بحبيبها هو وهى دون استغلال .. ولكن لماذا
.. هجر أمها ونذهب ونقيم فى شقة محمود التى تلتقى فيها معه .. إبه
.. لا يرغب بإقامتها فى الشقة .. ويفرح .. ستكون له أكثر .. وقبل أن
تد قرارها النهائي استشارت أختها نحوى .. وصرخت نحوى فورا :

- إياك .. إنها شقة لقاء ليست شقة حياة .. وإذا أقمت فيها فكأنك تعطيه
حق اللقاء بلا موعد ودون أن يكلف نفسه الجرى وراءك .. وستفتدين كل
بمنك العائلية .. لن يكون لك أى مطهر من المظاهر التى تؤكد أنك امرأة
محترمة لها عائلة تصوبه ونوفر لها تكاليف الحياة .. وسعطه كل حقوق
الروح بلا زواج .. فلماذا يزوجك وخصوصا أنك أصبحت بلا عائلة ..
إيك ستكونين إذا أقمت فى شقته كأنك تحفة عثر عليها واحتفظ بها فى

.. .. ويفتح الدولاب كلما أراد أن يتمتع بنفسه بالتحفة التى عثر عليها ..
.. إيك بذلك تضحين حتى بمجرد الأمل فى أن تكونى زوجة محترمة ..
.. لا روحه له ولا لغيره .. وتعيشين تائهة فى الحياة وبناك تائهات معك ..
وتأثرت سعاد بكلام أختها نحوى .. كل ما قالته مقنع وصحيح ..
.. شبح حاولت أن تقدم اقتناعها فسألت صديقها الوحيدة هدى .. وقالت
هدى من خلال انتسامتها اللاهية الحبيبة :

- كل شيء وله ثمن .. وأنت إذا أقمت فى الشقة فلن تكون شقة لقاء
.. ما يطلبه منك أحاديث وقيلات .. بل ستكون شقة حياة تفرض عليك كل
.. سطره الحياة .. وستحملين كل مسئوليتها .. الطبخ والغسيل والكس
والمسح .. ثم كل ما يحتاجه الرجل الذى يدخل عليك .. ويجب أن تقدمى
له أكثر مما يجده فى بيته .. إنك لن تكونى زوجة ولكنك ستحملين أكثر
من متاعب الزوجة .. فما هو ثمن كل ذلك .. يجب أن تتفقى معه مقدما
على ما يدقعة ليوفر لك الحياة التى تعوضك عما تتحملينه ..

هذا ما قالته هدى .. ولكن لا .. لا .. إنها لا يمكن أن تطالب محمود
بشئ .. وإلا كانت عاهرة تباع ما تعطيه .. لا .. لا يمكن .. وعدلت نهائيا
عن فكرة الفرار من أمها والالتجاء إلى الإقامة فى الشقة .. واستمرت تعاني
لحسوت مع أمها .. حباقات تصل إلى الصراح .. ولكنها تستطيع دائما أن
تصل إلى محمود كلما أراسته ..

إلى أن حدثت المعاجزة ..

لقد فوجئت فى صباح بكر ببيتها الثلاث يدخلن إليها فى بيت أمها وقد
حملت كل مهن حقبة كبيرة ..

لقد طردهن أبوهن وأمرهن بأن يذهبن إلى أمهن ..

وتشتت عقلها وهن واقفات أمامها صامئات .. ليس فى عيونهن دموع

بل ليس باثرات أو عاصيات وكأنهن يجهن فرحنهن بالعودة إلى أمهن ..
 .. هي سبها وهي تحتصهن وتقتلن .. أن أباهن لم يطر دهر قطعا .. ولكنه
 عدا عن حمل مسئوليتن .. وبناتها متعبات .. كل البنات هي هذه السن
 ممر .. وكانت هي نفسها وهي تحادثن في التليفون تحرضهن على
 بعد .. من أبيهن .. لأنها كانت شفق على بناتها من هذه الأوامر أو كانت
 .. مشفوعة بها أو لمجرد إزعاج أبيهن الذي أصبحت تكرهه وهو يرفض
 .. وكان أبوهن قد حاول أن يستعين بأخته على تحمل مسئولية
 .. وسدعاها لتقيم معهن .. وهي امرأة عجوز عانس قاربت السنين من
 عمرها .. ولكن متاعبه زادت .. إن البنات يسخرن من هذه الأخت
 .. عانس بها .. وهي تعلم كل ذلك .. إنها لم تكن تكتفي بحديث التليفون
 معهن كل صباح بل كانت تحادثن في كل ساعات اليوم ، تستطيع أن تتفرغ
 بهن ويطعنن إلى استطاعتهن سماع أصواتهن .. بل إنها لم تكن تطيق البعد
 عنهن فكانت تذهب كلما استطاعت لتراهن في المدرسة .. وكانت تراهن
 عم أن أباهن كان قد طلب من ناطرة المدرسة ألا تسمح بزيارة أي مخلوق
 للمدرسة لرؤية بناته حتى لو كانت أمهن .. فبينه وبين الأم فضائيا في
 المحاكم .. ولعل الناطرة كانت مضطرة إلى الخضوع لمطالب الأب
 باعتباره ولي الأمر ولكنها كانت من الرقة والحنان بحيث تسمح للأم
 برؤيتهن كلما جاءت إليهن في المدرسة .. وقد كانت سعاد تكتشف في
 حديث التليفون أو في زيارات المدرسة أن بناتها ينقصن شيء يرفض
 أبوهن أن يشتريه لهن .. قطع من الثياب أو أشياء تحتاجها البنات
 ولا يعرف عنها الرجل شيئا ويخجل من أن يصارحنه بها .. كما لا يكفي
 ما يعطيه لهن من نقود أن يشتري .. فكانت تتجامل على أمها حتى تأخذ
 منها ما تعطيه لبناتها .. إن أمها بحيلة ولا تحس بأن انتهت لها حق عليها ..
 إنها ليست كريمة إلا مع ابنها رشيد أحى سعاد المقيم في باريس .. وقد
 كان أبو البنات يلحظ أحيانا شيئا جديدا مع البنات فيسألن من أين حنن به ..

فهمان إلى أمهن أرسلته إليهن عن طريق بواب العمارة .. ممنوع أن يلتقي
 بأبهن أو يحادثها في التليفون .

.. كانت سعاد قد تركت بيت زوجها .. وهي تتمنى أن نصحب بناتها
 .. حتى لو احتفظن .. ولكنها كانت تحشى أمها .. إنها تعرف أن أمها
 لن يطيق البنات ولن تتحملن في بيتها .. إنها كما كانت دائما امرأة أنانية
 .. ن تحصر كل ما في الحياة على ذاتها .. هي وحدها .. وسبق أن
 بعصت من بناتها .. دفعت نحوى إلى هجرها وتعمدت تزويج سعاد قبل
 أن يتم السادسة عشرة لمجرد التخلص منها .. حتى ابنها رشيد رغم أنه
 حبيب على مريد من حبا أكثر من حبا لأخته نعمت أن تدفعه لاستكمال
 سنه في باريس ولم تحل دور هجرته للإقامة هناك .. فكيف يمكن أن
 يحمل هذه الأم وجود حفيداتها في بيتها .. لا يمكن ..

ولكن .. جاءت البنات سواء أرادت أم سعاد أم لم ترد نتيجة عجز
 أبهن عزيز عن حمل مسئوليتن .. إنه قدر مفروض قد يكون في صالح
 .. فإن تخلى عزيز عن بناتها قد يكون توطئة لمواقفه على الطلاق
 الذي عجزت حتى اليوم عن أن تناله حتى من خلال المحاكم ..

وسيطرت الفرحة على سعاد بعودة بناتها إليها .. وأخذت تعد لهن
 حجرة في البيت وترتب كل شيء دور الاهتمام باستشارة أمها صاحبة البيت
 .. سبة أوامرها .. إنها تتحدا .. ولكن هذا التحدى أصبح مع الأيام
 .. صق .. وسعاد تحتله وتحفف عن بناتها احتماله .. دور أن تطلب من
 أمها أو حتى تعرض عليها حلا يريح كليهما .. ولكن الأم هي التي وجدت
 حل .. ستخصص لسعاد وبناتها شقة في عمارة قديمة كانت قد ورثتها عن
 زوجها الثاني الثرى .. وهي شقة لا يقل إيجارها رغم قدم العمارة عن
 شرين جنتها .. وإذا أحرقتها مفروشة تصل إلى مائة وخمسين جنتها ..
 .. سحمل الأم هذه النصحية حتى تخلص من استها وحفيداتها .. وإن كانت

تعمد تسحيل إبحار قدرته للشقة المعروضة وتجعلها توقع على هذا التسحيل حتى إذا تزوجت أو تزوجت إحدى بناتها رجلا ثريا أخذت مالها من ديون .. ويجانب هذا رفضت الأم أن تعطى ابنتها سعاد أى مليم للإتفاق على حياتها .. إن روحها عزيز أصبح يدفع لها مبلغا شهريا للإتفاق على بناته .. وهو مبلغ يكفى لتغطية احتياجاتها هى الأخرى ..

وفرحت سعاد بهذا الحل مستهينة بكل ما قد يصادفها من متاعب .. وانتقلت هى وبناتها إلى شقة العمارة القسيمة وبدنهن الثلاث أكثر فرحة منها ..

ولكن قبل أن تمر شهور على انتقالهن إلى الشقة اكتشفت سعاد أن المبلغ الذى يرسله لها زوجها عزيز فى أول كل شهر لا يكفى للإتفاق على بناتها وعليها .. وخصوصا أنها تعتمد أن تحتفظ لهن ولنفسها بالمطهر الذى كانت توفره لهن البينة التى شأل فيها .. وكان لا يمكن أن تطلب من زوجها عزيز أن يرفع من قيمة المبلغ الذى يدفعه .. سيكون رده الوحيد هو أن تعود إليه هى وبناتها .. بل ربما تعمد أن يخلع عليهن حتى يحرقهن على هذه العودة .. وهى لا يمكن أن تعود ..

وبدأت تعاني من القلق .. إنها لا تستطيع اعتمادا على نفسها أن تصل إلى مليم واحد .. وكل ما يصلها هو هذا المبلغ المحدود الذى يدفعه زوجها عزيز للإتفاق على بناته والذى فرصت على نفسها أن تعيش به هى الأخرى رغم أنه مبلغ لا يكفى لتغطية احتياجات البنات وحدهن .. ماذا تفعل .. وبدأت تفكر فى الاعتماد على محمود .. إنه يقول إن الحب مسئولية .. وهو يحبها فيجب أن يتحمل مسئولية إعانتها على الحياة ويوفر ما تطلعه احتياجاتها لتعيش .. ومحمود لم يحاول أبدا أن يعدها بأى مبلغ من المال .. ربما لأنه يتصور أنها من عائلة قادرة وليست فى حاجة إليه ليمدها بالمال .. أو ربما لأنه حريص على ألا يجرح إحساسها بمد يد له إليها محملة بالفقود .. كأنها امرأة تنيع نفسها وأحد ثمن ما تعطيه .. ولكنه فى الوقت نفسه كس

.. ب فى هداياها لها .. لقد أهداها قطعة من الذهب بعضها محلى بالماس .. وصنع فى أصبعها خاتما ذا فص ماسى صغير وهو يزوجها ألا تخلعه دائما ليحس أنه دائما معها .. وقد اعتبرت هى هذا الخاتم هو خاتم الخطوبة وبعثت أن تنقله إلى أصبع يدها اليسرى ليكون خاتم زواج .. وهى لا تستطيع أبدا أن تبدأ بأن تطلب منه .. إنها هى الأخرى حريصة على أن تبقى صورتها فى عينيه دون أن تتعير .. صورة ابنة عائلة ليست محسنة .. وقد فكرت فى الحالات التى كانت الأرملة تصعق عليها فيها أن تسع من الهدايا التى أهداها إليها .. إن ثمنها يكفى لحل أرمنها وملء بئرها بمارغتين .. ولكن مستحيل .. إنها تعيش داخل هذه الهدايا .. وتحسن أنها بعثت منها فكأنها تباع من حياتها .. إن أمنع الساعات التى تصيبها وحدها هى أن تحرق هذه الهدايا وتقلب هب وبكاد تنقل كل قطعة منها .. بل تتحيل هذه الهدايا علامات الطريق الذى يرسم مستقبلها إلى أن تصل إلى اليوم الذى يجمعها بمحمود .. يوم أن تتزوجه .. ماذا لو جاء محمود وقلب فى هداياها ووجد إحتاها ناقصة .. كأنه مرت أيام باعته فيها .. لا يمكن أن تصحى محمود ولا بهداياها ..

إلى أن جاء يوم وقعت فيه ابنتها سهير مريضة مرضا خطيرا .. حمى فى المصابير .. واضطرت أن تدعو الطبيب إلى البيت بدلا من أن تحمل بنتها إليه .. إن الطبيب الذى يأتي بنفسه تصل أتعابه إلى ثلاثين جنيهًا .. لقد تعمدت أن تدعو الطبيب الغالى الذى تعودت أن تدعوه لبنتها منذ كانت مع زوجها حتى تطمئن .. والأدوية التى أوصى بها يصل ثمنها إلى أربعين جنيها .. وقد أفلست تمام .. ليس معها ما يكفى حتى لشراء الطعام لأهل بيت .. وحررت إلى أمها وبكت بين يديها مستحدية .. ولم تعطها أمها سوى عشرة جنيهات مع مجموعة من الأوامر والنصائح العبيقة يسقطها عليها كأنها بصرتها بالسياط .. وفكرت أن تنصل بروحها عزيز لتستعيب به حتى بعد أسه .. ولكنها لو أنلغته بحظورة المرض فقد يصمم على أن ينسى نفسه

إليها ليطمنن عليها .. وهى لا تدري كيف تستطيع أن تواجهه وهى وحدها فى البيت مع بناتها وربما يتعود زوجها على مثل هذه العادة فيتردد كل يوم بحجة رؤية بناته .. إنه إلى اليوم لم يأت إليها وكانت ترسل بناته إليه كلما طلب أن يراها .. ولم يكن يشاق كثيرا إلى رؤيتهن .. ولكنها كانت مضطرة إلى الاستعانة به فأرسلت إليه ابنتها الصغرى سامية .. إنها أقرب بناته إلى قلبه .. وأوصيها قبل أن تذهب ألا تحدثه عن حظيرة مرص أختها وألا تدفعه إلى المجيء لزيارتها .. وقد عانت من عنده ابنتها بعد أن انتظرناها طويلا فى قلق ودعاء أن يرسل إليها زوجها ما يكفيها من نقود .. وقد عانت ابنتها وهى لا تحمل منه سوى عشرين جنينها .. كل ما أصبح فى يده .. يكفى لإبعاد استه .. واندفعت كأنها حبت وفتحت درج الهدايا وأخذت من بينها إلى أن اختارت حلبة ما شاء الله مطررة بعصوص صمير من الماس وأسرت تحرى إلى حى المصاعة .. وباعتها .. أصبح فى يده ما يكفيها .. إن محمود هو الذى أهد ابنتها سهير ولو أنه لا بدى ..

م بدا الإفلاس يزحف عليها من جديد .. وكانت هناك حطة تقيها « السات » وهى حريصة على أن تظهر بناتها فى الحفلات بأرقى مستوى المظاهر .. إنها تريد أن تقول لغيرها إنها وبناتها لا يعانون شيئا .. لا يفتقر شيء .. وقررت أن يذهبن إلى الحفل مرتديات فساتين تهرى .. ولم تكن دائما تشتري فساتين جديدة .. إن لها من المهارة فى تعاطيه ما تستطيع به أن تقلب الفستان القديم إلى فستان جديد .. ولكنها .. حذت أن الزى الذى اختارته لتقلب إليه فساتين اللوات يحتاح إلى أن يسرى بطمه فماتش أخرى ومجموعة من « كليمات » الزينة .. وهى فى آخر الشهر وما معها من نقود لا يكفى لشراء شيء .. وفكرت أن تقتصر من صممها هدى .. ولكن فجأة طرأ على فكرها أن تأخذ ما تحتاحه من محمود .. إن ما تحتاحه مبلغ صغير لا يمكن أن يؤثر فى تقديرو محمود

لشخصيتها أو يجعله يتصور أنها بدأت تستغله .. وتمكنت الفكرة من قلبها .. وكانت على موعد مع محمود فى ذلك اليوم .. لقاء فى الشقة .. وقد بعوت رغم كل متاعبها أن تذهب إلى محمود دائما وهى مستكملة كل مظاهر العز .. عز ابنة العائلة المحترمة .. وثوبها وحداؤها وتسريحة شعرها .. والمكياج .. الذى تزين به وجهها .. لا يبدو فى كل ذلك شيء بافص أو شيء هبط مستواه .. إنها عبقرية بمهارتها فى التغلب على الإفلاس .. وقد جلست إليه فى هذا اللقاء وسط الكلام الذى يجمعهما ولا ينتهى أبدا إلى أن قالت صاحكة :

- إننى اليوم فى حاجة إليك .. فقد نسيت قبل أن أنزل من البيت أن .. كيس النقود لأطمنن إلى أن فيه ما أحتاج إليه .. وأنا سأتركك وأطوف .. السوق لأشتري قماشا يحتاج إليه البنات .. وسأضطر إلى أن أعتبرك .. لك الحاص وأقترض منك .. عشرون جنينها فقط ..

ونظر إليها محمود وابتناسه ترغرد بحنه ثم قال صاحكا وهو يمد يده ويلقط محفظة نقوده :

- لن أعطيك عشرين جنينها وسأعطيك مائة حتى أطمنن إلى أنك سميدى إلى العشرين ..

ومد يده إليها بالمائة حنيه .. وانزوت تخنى عنه وجهها وقد بدأت حلة خلل صادق قوى تنابها وقالت فى صوت خافت منهج :

- لا .. لست فى حاجة إلى كل هذا المبلغ .. ماذا أفعل به .. والنقط محمود حقيبتها وفتحها ووضع فيها المائة حنيه .. وقال فى صوت حاد بعد أن أنهى صحكته :

- لقد قلت لك إن الحب مسئولية .. وقد كنت حائرا فى تحديد وتوسيع .. تولية حتى لك .. كنت أحيانا أحاف منك أو أخجل منك لأصارك بمزيد

من مسئوليتي .. ولكنى اليوم أخاف ولا أخل .. أنا المسئول عنك فى كل ما تتطلبه حياتك .. مسئولية شاملة .. مسئولية يفرضها على الحب .. ويفرض عليك حبك قولها ..

وتغيرت حياة سعاد منذ ذلك اليوم ..

أصبح محمود يعطيها كل شهر مبلغا كبيرا .. أكثر من المبلغ الذى يدفعه زوجها عزيز لسانه .. ولكنها إلى اليوم لا تستطيع أبدا أن تأخذ هذا المبلغ كأنه من حقها .. لا تستطيع أن تمد يدها إليه كما كانت تمدها إلى زوجها .. ولا تستطيع أن تطالبه كما كانت تطالب وتحاسب زوجها .. إنها قد لا تستطيع أن تمد يدها إلى القود التى يقدمها لها وتتركه يفتح حقيبتها ويضعها فيها بنصفه .. أو أن تأخذها من يده دون أن تنظر فيها كأنها تحطمها ووجعنا دائما تحمران خجلا .. إن مسئولية الحبيب لا يمكن أن تحس بها كما تحس بمسئولية الزوج .. بل إن مسئولية الحبيب عندما تصل إلى هذا الحد يصبح الحبيب يحمل صفة العشيق وليس مجرد صفة الحبيب ..

ولم يتوقف محمود عن تقديم هداياه مع حرصه على المرتبة أو المصروف الذى يقدمه لها كل شهر .. بل إنه وصل هداياه إلى أن اشترى لها سيارة صغيرة هى سيارة العائلة كلها حتى اليوم .. إنه كريم كريما طبعيا لا يفعله ولا يتظاهر أو يتباهى به .. ليس كزوجها عزيز .. وإن كان عزيز كريما أيضا ولكنه صنيى بكرمه ويحتاج إلى جهد كبير لإقناعه بأن يكون كريما .. وقد قصت كل حياتها وهى تعانى النحail على إقناعه بأن يكون كريما .. أما محمود فهو ليس محتاجا إلى هذا الجهد لإقناعه بالكرم .. إنه كريم تلقائيا دون أن يطلب الاقتناع ..

وأصبح محمود هو المسئول عنها فى كل دنياها .. لم يكن يحس بمسئولية تجاه بناتها .. ولكنه كان مسئولاً عن مسئوليتها تجاه بناتها .. وحتى اليوم هو المسئول رغم كل ما حدث بينه وبينها ..

• •

وأفادت سعاد من ذكرياتها كأنها تهرب من حياتها التى انتهت .. على باب البيت يفتح وتدخل ابنتها سميرة .. وكانت سميرة قد انتهت من محاضراتها منذ أيام وخرجت اليوم لتذهب إلى الجامعة لتعرف النتيجة .. ولحبت سعاد على وجه ابنتها عندما عادت ما يطمئنها ولكنها عاجلتها

• •

خيرا .. النتيجة ؟

وقالت سميرة وفرحتها هائلة وابتهامتها ضيقة :

- طبعاً نجاح .. وامتنان ..

وقفزت سعاد من حلستها واحتضنت ابنتها وأخذت تقلبها وهى تقول فرحة :

- إنى دائما مطمئنة إليك .. متأكدة منك .. ربنا يتم حياتك كلها بالنجاح .. (ثم قالت صاحكة وهى تتركها من بين ذراعيها) .. والآن لنفكر فى الهدية .. هدية النجاح ..

وقالت سميرة وابتهامتها تنسع :

- لنؤجل البحث عن الهدية .. إن يبلغ سيأتى إلينا هذا المساء ..

وقالت سعاد بدهشة وقد هدأت فرحتها :

- ولكن المذاكرة انتهت ..

وقالت سميرة صاحكة على غير عاداتها :

- أليس فى الحياة شيء غير المذاكرة .. ربما كان هناك موضوع آخر يحى ببلوغ إلينا .. وهو يريد أن يجادتك ..

واشدت دهشة الأم وقالت :

هم يريد أن يحادثنى ..

وقالت سميرة من خلال صحتها :

إنى أتركه ليقول ما يريد .. ومن حقك أن تصبى عليه كل هوائيك
فى إلقاء الأسئلة والمناقشة ..

وقالت سعاد وقد بدأت ابتسامة تطوف على شفتيها كأنها بدأت تمهم :

- قل أن أباقته أحتاج إلى مفاقتك ..

وقالت سميرة فى مرح :

- لا .. أفصل أن أتركه يعتدب بالمناقشة وحده .. ثم إنك قد تفهمين
من مفاقتنه غير ما فهمت أنا .. بل إنى ساترككما وحدكما وأحرم نفسى
مكما لأنك لك حرية الفهم وحرية القرار .. عن أدك ..

وحررت من أممها إلى عرفها . عرفة السنت .. وبسامة سعاد
سبع .. إنها لا تلج فى أن تمهد لها ابنتها فى تفسير الموضوع الذى جاء
لمع من أجله .. فهذه هى طبيعتها .. لا تحاول أن تريخ أحدا وكأنه يكفى
وحدوها لراحة الجميع .. ولكن لا شك أن بليغ يحى ليطلب سميرة ..
عزبت قرحة سعاد فى صدرها .. ولكنها عادت مع فكرها وكبت
أرجحها .. إنها لا تعلم عنه شيئا حتى تعرف به .. كل ما تعلمه أنه أستاذ
مهدب مؤدب يعطى الدروس لابنته .. ثم لعله جاء لموضوع آخر لا تريد
سها أن تفصح عنه ..

فصت الساعات وهى تعد البيت لاستقبال بليغ .. وكانت سور
بما لمجره اندفاع تدفع إليه تعدد إعدادا خاصا كأنها تستعد لحفلة ..
وقت نفسه لا يتوقف تكبرها .. ماذا سيقول بليغ ومدا سيقول هى ..
ت ابنتيها سهير وسامية وقالت لهما فى جدية :

- إن الأستاذ بليغ سيزورنا ولا أريدكما أن تجلسا معه .. وإذا كان لدى
كل مكما مشوار فلنقم به وتترك البيت ..

وقالت سامية ضاحكة :

- ما سر هذه الزيارة .. لا يمكن أن نكون زيارة مذاكرة فموسم
لمذاكرة قد انتهى ..

وقالت الأم فى جدية تحاول أن تعرض بها هدوءا على البنتين :

- ليس لها سر .. إنها زيارة .. لعله جاء يهينى سميرة بالساح ..

وقالت سامية من خلال صحتها :

- أو لعله جاء ليطلب يد سميرة .. لماذا لا .. إنى أراه متيما ..

وقالت سهير وهى تدعى البراءة :

- إنى أريد أن أراه لأناقشه فى موضوع يهمنى ويتعلق به كل
مستقبلى .. لا تحكمى على بأن أصحى بمستقبلى ..

وارتفع صوت الأم سعاد قائلة :

- أريد من كل مكما أن تتحدث لنفسها عن مشوار .. وهذا آخر كلام ..

وقالت سامية ضاحكة وهى تمثل انحناءة :

- سمعا وطاعة سينتى ..

وقالت سهير وهى تلوى شفتيها :

- إذا خرجنا ثرت علينا وإذا جلسنا فى البيت طردتنا منه لنقوم
بالمشاوير .. غريبة .. ولكن اطمئنى .. لن أترك بليغ يتمتع برويتى
ولا بلعة ..

وتركتنا الأم وحدها وفكرها يصبح بالتساؤل .. لماذا يحيى بليغ .. ماذا
يريد ؟ لماذا لا تريحها ابنتها سميرة وتقول لها كل شيء ..

(٧)

بقيت سعاد فى انتظار عمر بليغ حشمت أستاذ ابنتها وهى لا تستطيع
تهدأ أو تستقر .. أحيانا تنطلق كل أحاسيسها مع فرحتها ثم تعود وتحذر
نفسها من هذه العثرة .. إنها لا تعرف شيئا عنه .. وأحيانا يأخذها خيالها
بلى تصور كل الأيام المقبلة حتى تبدأ فى تصور حفل الفرح الذى تقيمه
لابنتها .. إلى بيتها صيق لإقامة فرح ولا حتى حفل لإعلان الخطوبة .. من
الأفضل أن يقام الفرح فى بيت أبى البنات .. إنه شقة واسعة مشرقة تطل
على النيل ، وهى التى احنارت كل قطع أثاثها قبل أن تتركها ولم يحاول
وجها تغيير شيء من هذا الأثاث أو شراء شيء جديد .. ومن يدرى ..
س وافق الأب على إقامة الفرح فى فندق هيلتون تأكيدا لمطهر العائلة
وتباهيا أمام أصدقائه .. ولكن من يدرى أيضا .. ربما قصت الأقدار على
سها ألا يكون لها حفل ولا فرح .. وكل ذلك وأكثر يتصارب فى تفكير
سعاد وهى تروح وتحى فى البيت وتشعل أفكارها وأصابعها فى أى شيء
سحبه أمامها حتى تشعل نفسها عن أفكارها .. إنها أول مرة تجد نفسها نعاى
من هذه الأفكار .. أفكار أم العروس ..

إلى أن جاء بليغ .. وقد فحنت له سميرة الباب بعد أن كانت قد بالغت
فى الاهتمام باختيار ثوبها وتزيين نفسها على غير عادتها .. بل إنها رفعت
نظارة من عينيها كأنها تصرح بليغ بأنها فى الواقع ليست فى حاجة إلى
هذه النظارة ولكنها تضعها تظاهرا بمطهر العلم .. وكأن العلم يستهلك
عينيها .. ورأت سعاد بليغ كما رآته أول مرة .. إنه يرتدى بدلة كاملة
القميص والكرافت .. رغم شدة الحر .. بل إنها نفس البدلة كأنه لا يملك

بدلة أخرى يحتفظ بها لتمثل هذه المناسبات .. وكان يتسم ابتساماً رعم
وقارها إلا أنها تبدو كأنها ابتسامة مرتعشة ..

وقالت سميرة كأنها تعلن قراراً سبق أن اتفق عليه :

- بليغ يريد أن يتحدث إليك يا ماما .. وسأترككما ..

وقالت الأم كأنها تستغيث بها :

- لا يا ابنتي .. ابقى معنا .. ليس هناك أمرار أو حديث يحفى
عك ..

وقالت سميرة مبتسمة :

- لا يا ماما .. ليست أسراراً .. ولكنى أريدك حرة فى كلامك دون
أن أتدخل فيه ..

وقالت الأم وهى تتنهد مستسلمة دون أن تعترض :

- إذن .. تولى أنت إعداد الشاى ..

واحتفت سميرة عنهما وجلست الأم وبجانبتها بليغ يتسم ابتسامته
الوقور التى ترتعش مترددة فوق شففيه .. إن سعاد معجبة بهذه الابتسامة ..
بل معجبة ببلوغ كله رغم هذه البدة الكاملة التى يلبسها فى عز الحر .. إنه
إعجاب يجعله مختلفاً عن كل الشباب الذين رأتهم .. ربما لأنه إعجاب
ينص بالاحترام ..

وقال بليغ بصوته المهدب بعد أن تنحج كأنه يسلك زوره بالنحنة :

- إننا نعتزف .. سميرة وأنا .. بأنك صاحبة الفصل فيما انتهى إليه
رأينا .. لقد كان سماحك لى بأن أدخل البيت لمساعد سميرة فى دروسها
هو ما قرب بينى وبينها .. وعرفتها كلها وعرفتنى كلى .. وقد كنت أخجل

.. عن عليك وبحر بصطرك للجلوس معنا تشعلين بالترىكو .. إلى أن نفقد
.. أى أن نريحك من شغل التريكو .. لقد جئت لأطلب يد سميرة ..

وقالت سعاد وهى تحد من فرحتها وترخى عينيها كأنها خجله أمام
مريس ابنتها :

- ولكن سميرة لا تزال فى الجامعة وأعتقد أنها مصممة على استكمال
متها .. إلا إذا كانت قد عبرت رأيها ..

وقال بليغ فى هدوء ومن خلال ابتسامته :

- لا .. لم تعبر رأيها .. وأنا أيضاً أفصل أن تتم دراستها .. وقد نفقت
على أن نبقى كخطيين إلى أن تحصل هى على الدكتورىوس ..، أحصل
على الدكتوراه ..

وقالت سعاد كأنها تعلن اعتراضها :

- ولكن سميرة لا تزال أمامها سنتان أو ثلاث حتى تحصل على
لدكتورىوس .. ولستم فى حاجة إلى كل هذه السنوات قبل الزواج
.. كخطيين ..

وقال بليغ فوراً وبأكيد وكأنه يدافع عن نفسه :

- إنا فى حاجة لنجاهر كل الناس بأننا ارتبطنا كل منا بالآخر ..
وبإعلان الحب والمجاهرة به لا تكفى .. فالتناس يطلقون لأنفسهم حرية
مسير هذا الحب .. وهم أرحم بأنفسهم فى تفسير الخطوبة .. وأنت نفسك
سب تخرجين من السماح لى بدحول البيت خوفاً من كلام الناس حتى كأسناد
ور تليمنه .. وقد قالت لى سميرة إنك فعلاً بدأت برفض زيارتى .. أما
.. إعلان الخطوبة فلن يتكلم الناس ولن تصطرى إلى أشغال التريكو ..
قد ناقشنا .. سميرة وأنا .. كل احتمالات هذه السنوات التى سنقضيها
كخطيين .. قد أحصل على الدكتوراه قبل تخرجها من الجامعة فتزوج

وتستكمل هي دراستها وهي زوجة .. بل إننا ناقشنا احتمال أن يغير كل منا رؤية في الآخر ويتخلى عن حبه لا سمح الله .. حتى هذا الاحتمال -فتساه وانتهدبا إلى الرأي بأن العراق قبل الرواح أرحم من العراق بعد لرواح .. كما يعرفين .. ولو أني واثق ومطمئن إلى أن ما يبني وبين سمرة هو العمر كله ..

وسكنت سعاد برهة كأنها نهضم هذا الكلام ثم قالت في صوت حابر :

- إذا كانت سميرة قد وافقت وأحسن مقدما أنها موافقة فلأنها تعرفك ست .. أما أنا فلنني في الواقع لا أعرف عنك شيئا حتى أوافق .. وسميرة حسسه في التحديث إلى عنك .. وأريد أنا الأخرى أن أوافق وأنا أعرف كل شيء ..

واعتدل بليغ في جلسته وقال منتسما ابتسامه صميعة كأنه يسخر من نفسه وفي الوقت نفسه مزهوا بها :

- أيا من طبطا وكل عائلتي لا تزال تقيم هناك .. وأنا الوحيد من أحويني بل من كل أفراد العائلة الذي وصلت إلى الجامعة .. وقد تخرجت من الأوائل وعينت معيدا .. وأنا منذ البداية وأنا أريد أن أكون معيدا ثم سادنا في الجامعة .. ومنتهى من تقديم الماجستير هذا العام .. ومررتي لأن سنون جنينا في الشهر (وصحك مستطردا) وأسمع أن هناك علاوات قد تصل بمرتبي إلى خمسة وستين أو سبعين جنينا .. وأقيم وحدي في شقة صغيرة بالحيزة .. شقة في حارة ..

فبص صدر سعاد .. إن مرتته لا يكفى لفتح بيت الروحية .. وحتى صبرا على الزواج سنوات فلن يزيد مرتته عن ثمانين أو تسعين أو حتى مائه جنيه .. لم تعد المائة جنيه تكفى هذه الأيام لفتح بيت ولا في أبنني مسوي لمظاهر المجتمع الذي تعيش فيه ابنتها .. إن روحها عزيز يعطى لها مائة وخمسين جنينا في الشهر للإتفاق على بناته .. ولا تكفى .. لولا

ما تأخذه من محمود لكانت قد اضطرت لثقل هذا البيت والعودة إلى زوجها إبقدا لنفاتها .. وقالت لبليغ متلجلجة :

- لا شك أن العائلة ترمي إليك ما يساعدك على استكمال احتياجاتك .. الدنيا أصبحت غالبية ..

وقال بليغ من خلال ابتسامته :

- ابدا .. إن كل العائلة لا تملك سوى سبعة أفنة من أرض القرية .. والذى موطف صغير في محاكم طبطا .. (واتسعت ابتسامته الساحرة) حطيعين أن نقول إنه كبير السعادة .. والعائلة تعتبرني كأنني أصبحت من كبار رجال الدولة وفي منتهى الثراء حتى أنني أتعمد أن أجعل لهم الهدايا لصغيرة حتى لا أحيب رأيهم في ..

وسكنت سعاد برهة طويلة كأنها تفكر بينما تنتهد كأنها تزفر حيرتها .. لي أن قالت كأنها تحدث نفسها :

- إنني متأكدة أن سميرة موافقة .. وأنا واثقة مطمئنة لكل ما تقرره سميرة .. فأنا أيضا موافقة .. مبروك .. مبروك عليك وعليها .. وربنا يعم بحير ..

واتسعت ابتسامه بليغ وعمت الفرحة كل وجهه وقال مرحا :

- لقد كان الفصل لك في البداية وسبقني الفصل لك دائما طول عمري وعمر سميرة .. لن تستطيع أبدا أن تستغني عن فضلك .. أبفلك الله لنا .. ثم هدأ صوته قليلا وقال مستطردا وكأنه كان قد أحسن بحيرة سعاد عندما أعلن لها حالته :

- وأحب أن أقول لحصرتك إن سميرة لا تفهم الزواج على أنه رجل ، امرأة وشقة وأكل وشرب .. ولكن الزواج هو مشروع بناء .. بناء الحياة

كلها .. وأنا واثق أننا بإذن الله سننقى الحياة فى أعلى مستوياتها .. إن سميرة إنسانه هائلة وتقى فى ..

ومد يده إليها قائلا من خلال فرحه :

- لنقرأ الفاتحة ..

وابتعدت برأسها عنه أكثر كأنها خشيت أن تتبادل معه القيلة التى تعرضها مثل هذه المناسبات . إنها أم صغيرة شابة ولا يمكن أن نسمح لأحد بتقبلها حتى لو كانت قبيلة على خدها ومن عريس ابنتها .. وقالت :

- إن قراءة الفاتحة معي لا تكفى .. يجب أن نقرأ الفاتحة مع أبيها ..

وقال بليغ وقد انكمشت ابتسامته كأنه صدم بمسئولية جديدة :

- إنى لا أستطيع أن ألتقى بالأب إلا بعد أن تبلغنى موافقته .. فإنى لا أستطيع إذا كان لديه أى اعتراض أن أحادثه كما حدثتك مطمئنا إلى موافقته ..

وفى هذه اللحظة دخلت سميرة عليهما وهى تحمل صينية الشاي .. وتركنها أمها تضع الصينية ثم جثنتها وقلتها قائلة :

- مبروك يا ابنتى .. ألف مبروك .. لقد وافقت لأننى قدرت أنك مراعاة . ليس هذا بحسب .. فأبى مطمئنة إلى بليغ كل الاطمئنان .. ولكنه لا يريد أن يذهب إلى أبيك إلا بعد أن يوافق مقدما ..

وقالت سميرة منتبسة ابتسامة صغيرة :

سمعت ..

وكأنها تعترف بأنها سمعت كل كلمة تبادلتها أمها مع خطيبها .

وقالت الأم بسرعة :

لا أنرى كيف نبليغ أبك ونحصل على موافقته .. أنت تعلمين العطسة بينى وبينه ولن يحتفل منى كلمة لو حاشته .. فمن يحادثه ؟

وقالت سميرة فى لهجة جادة وإصرار :

أأ التى ستحادثه .. اتركى المسئولية على ..

وبصرت إليها أمها فى دهشة كأنها لا تصدق أن استها سيكون لها الحرّة لباحاث أناها .. بينما قالت سميرة لبليغ كأنها تعتبر أن الموضوع قد انتهى :

- لقد قرأت أمس فى كتاب الإحصاء .. تعال نجلس على المكتب لأعيد قراءته معك .. إنه يحيرنى ..

وقالت الأم مبتسمة :

- يا ابنتى ليس هذا وقت مذاكرة ..

وقالت سميرة فى لهجة أستاذة :

- المذاكرة ليس لها وقت .. إنها حرة ..

وقام بليغ واقفا قائلا فى ابتسامة كبيرة :

- سأقرأ الفاتحة مع ماما أولا .. إنها الأهم ..

وقالت سميرة صاحكة :

- لا تقل ماما .. إن أمى أصغر منك ..

وقال بليغ صاحكا :

- إن كل ما هو بالنسبة لك هو نفسه بالنسبة لى ..

ومدت سعاد يدها إلى بليغ منتبسة قائلة :

- الفاتحة ..

ووصعت يدها فى يد بليغ وإذا بسميرة تمد يدها وتضعها فوق يديهما
قائلة صاحكة :

- يجب أن أقرأها معكما .. هذه هى الأصول من حقوق المرأة .. حتى
القانحة يجب أن تشترك فى قراءتها .. إنها فاتحة لها ..

وقرأ الثلاثة القانحة وهم فى قمة السعادة .. ثم شددت سميرة بليغ إلى
المكتب .. ولم تحاول سعاد أن تجلس أمامهما وتبدأ فى تطوير التريكو ..
تركتهما وحدهما ودخلت غرفتها ..

وقد جاءت سهير وسامية بعد أن كان بليغ قد خرج .. وقيل لهما
الحبر .. وفرضت سامية وأخذت تنتشط حول أختها وتشيع النكات
والضحكات .. أما سهير فقد كانت تفعل الفرحة .. إنها الأخت الكبرى
وكان يجب أن تكون أول من يفرحوا بها .. ولكن أختها الأصغر سقتها ..
لا يهم .. ستتزوج ..

وفى اليوم التالى اتصلت سميرة بأبيها فى التليفون وانفتحت على أن
تذهب إليه .. وخرجت .. وأما تلف وتدور فى البيت وتشغل عقلها
وأصابعها فى أى شيء منطرة عودة أسناتها .. وقد عادت دور أن تدور عليها
فرحة وقالت فى سخط :

- لقد طلب أن أعطيه فرصة ليسأل عنه .. ويتأكد من أنه يصلح لى ..
لابنته ..

وقالت الأم فى دهشة :

- ألم تقولى له كل شيء عن بليغ ..

وقالت سميرة من حلال سخطها :

- قلت له أكثر مما قاله بليغ لك عن نفسه .. ولكنه أصر على أن أترك
له مهلة يسأل فيها عنه .. وانفتحا على ثلاثة أيام ..

وتركت أمها وهى تنق الأرض بخطوات غاضبة .. والأم تبذل بعينها
فى العشاء واليأس يزحف عليها ..

وقصيا الأيام الثلاثة والبيت كله لا يتكلم إلا فى موضوع واحد ..
سميرة لبليغ .. وبليغ لم يحاول أن يروى هذه الأيام .. كأنه فى
اسطار موافقة الأب مراعاة للتقاليد .. ولكنه يتكلم مع سميرة فى التليفون ..
لى أن عادت سميرة إلى زيارة أبيها .. والأم تتعذب بتصوراتها كأنها
داخل دار تشوى كل ما فيها .. إلى أن عادت انتنها .. عادت واجمة وفى
عينها دموع مكنونة .. وقالت كأنها تهم البكاء :

- لقد رفض أبى .. وقال كلاما قترا سحيبا .. أنت تعرفين ما يمكن
عوله ..

وأمسكت سعاد بكتفى ابنتها تهزها وهى تصرخ :

- ماذا قال .. فولى ماذا قال ..

وقالت سميرة وقد بدأت دموعها تنزف من عينها :

- قال إنك تتركيننا نرحف فى الشارع لنصطاد أى رجل .. ولانصطاد
الطامعين فيه هو .. فى ثروته وفى الإنفاق عليهم .. وبليغ واحد منهم ..
وسكنت سعاد برهة وهى تولى ثم قالت لابنتها :

- اسمعى .. إن الخطوبة قد تمت .. ومن حقنا أن نعلنها حتى ولو
أوافق أبوك فأنت بلعت سس الرشد ولست فى حاجة إلى ولى أمر .. لست
فى حاجة إلى موافقة أبيك ولا موافقتى .. وسأبدأ أنا فى إعلان الخطوبة ..

وقل أن تحببها ابنتها رفعت سعاد سماعة التليفون واتصلت بأمرها
وقالت لها وهى تفعل منتهى الفرحة إن ابنتها سميرة قد حطبت للاستاذ عمر
بليغ حشمت .. المعيد بالجامعة .. يكفى فخرا به أنه معيد بالجامعة .. ثم

اتصلت سعاد بأختها نحوى لتبذلها الجبر .. ثم بصديقتها هدى .. ثم بمن
يعرفهم من الصديقات والجارات .. ثم قالت لابنتها وهى تلهث :

- إذا اتصل بليغ فاطمى منه أن يأتى إلينا ..

ثم دخلت عرفة وألقت نفسها على سريرها كأنها بهارت .. إن
روحها عزيز لا يمكن أن يفهم كيف يحقق سعادة ابنته .. ولتشتغل وجوده
من كل مستقبل بناتها .. إنها لا يمكن أن تعرض عليها أن تنزوح كما
تنزحته هى . أى تترك الأب أو الأم تعرض رايها .. كل بنت من حفيها
إن تختار من تنزوجه حتى لو رفض الأب والأم .. ثم أكثر من ذلك ..
إن زواج سميرة يحررها من العقدة التى تعيقها .. عقدة إحساسها بأن
مصيبها تحول دون تقدم أحد بنو زوجها من بناتها .. لقد حلت هذه العقدة وعدم
بليغ يتوسل ويستحذى يد ابنتها ..

• •

وعادت سعاد كما تعودت تستسلم لصور ماضيها تمر فى وعيها كأنها
شريط سينمائى حبيبت أمامه ..

لماذا تعتقد أن هذا الماضى يمكن أن يكون عقدة فى حياتها .. إنه ماضى
عدى . لقد أحببت محمود كما تحب أى امرأة رجلاً .. ولكنه رجل متزوج
من غيرها .. وماذا فيها .. كأنها تزوجت رجلاً متزوجاً من أخرى .. إن
من حق النساء أن يستجن لحق الرجال فى الزواج مثلى وثلاث ورباع ..
ولولا أن زوجها عزيز يرفض أن يطلقها لتزوجت محمود فعلاً . أو ربما
استطاعت وهى حرة أن تقطع علاقتها به ونعقد عنه .. ولكنها بقيت معه
بلا زواج لأنه لم يكن لها حق الزواج .. فزوجها لم يطلقها .. وكأن هذا
الزوج كان يهدم محمود بإعاقته من مسئولية الزواج التى يرفضها الحب ..
إلى أن حدثت المفاجأة الثانية .. بعد المفاجأة الأولى التى أطلقها زوجها

عزيز بإرسال بناتها ليقمن معها .. لقد اتصل بها محاميتها وقال لها وهو يهلل
بفرح :

مديوك .. لقد كان عندى فى مكتبى زوجك عزيز بك .. وقد كتب
ورقه الطلاق ووقعها .. وهى عدى .. أرجو أن تمرى على لتأخدى
مديوك يا هدى . إبنى مضطر أن أقول مديوك على الطلاق بعد
أن يعسا أكثر من أربع سنوات ..

عطت دهشة المفاجأة على فرحة سعاد بحصولها على الطلاق ..
لماذا طلقها بعد كل هذا العناد والإصرار على عدم منحها الطلاق .. هل
حد جديد فى حياته يدفعه إلى قبول الطلاق .. ربما قرر أن يتزوج من
جدة .. أو ربما يمشى من عودتها إليه بعد كل هذه السنوات الطوال ..
و ربما قصى هذه السنوات وهو يقنع نفسه بأنه يهين نفسه ويهين كرامته
طالما تركها تحمل اسمه وهى مع رجل آخر .. وهى تعلم أنه يحتاج إلى
وقت طويل حتى يقتنع بأى شيء .. المهم .. الحمد لله .. لقد استراحت ..
استراحت على الأقل من ثقل دم هذا المحامى واستنزافه لأموالها حتى يحقق
لها الطلاق ..

وقد ذهبت للقاء محمود وهى فرحة وقالت له كأنها تزغرد لنفسها :
- لقد حصلت على الطلاق ..

ولم يتحارب محمود مع فرحتها .. بل تجمعت عيابه وهو ينظر إليها
كأنه صدم .. ثم قال وبين شهيقه ابتسامة تقطر مرارة :

- ابنتى منذ اليوم فى العذ التنازلى .. أى عشرة .. فتسعة .. ثمانية ..
سبعة .. إلى أن تصلى إلى الصفر ..

وقالت فى دهشة :

- أعد على ماذا ؟

وقال هو ينتهد فى استسلام :

- على الحياة التى يعطيها لنا حننا ..

وقالت تتسائل ثائرة :

- ما دخل طلاقى من عزيز بحبى لك ..

وقال فى هدوء بعد أن أشعل سيجارته :

- قد يستمر حبك كما يستمر حبى إلى الأبد .. ولكنه لن يكون حيا
يجمع بينا ..

وصرخت بحيرتها :

- لماذا

وقال وهو يبعث الدخان :

- لقد جمعا الحب كما سبق أن قلت لك ونحن الاثنان فى حالة
واحدة .. أنت متزوجة من رجل آخر وأنا متزوج من امرأة أخرى .. والآن
أصبحا فى حالين مختلفين . أنا متزوج من الأخرى وأنت لست
متزوجة . والحب مهما طلع يعجز عن أن يستمر فى الجمع بين هاتين
الحالتين المختلفتين ..

وقالت وهى تنظر إليه فى لوم :

- إننى خنيت معك إلى نفس حالتك .. تزوجنى .. أم أنك تريدنى أن
أتزوج رجلا غيرك حتى أصمن استقرارنا معا ..

وقال فى هدوء وهو يخفى عنها عينيه كأنه خجل منها :

- أنت تعرفين منذ يوم الأول أنى لا أستطيع أن أتزوج .. ولأن أزوج
مهما عابيت .. ولا أتمنى أن تتزوجى رجلا آخر .. ولكنى أحشى اليوم

الذى تتمنين فيه أنت الزواج من آخر ..

وقالت صارخة وصرحتها تنص بصديقها :

- لا .. أبدا .. إنى لن أكون أبدا لرجل آخر غيرك .. حتى لو عشت
وحيدة العمر كله ..

ثم قامت وجلست على ساقيه واحتصننه قائلة بكل حبها :

- دعك من هذه التوهّمات .. وتأكد أن حصولى على الطلاق ميفلنا
لى سعادة أكبر من السعادة التى نعيشها اليوم ..

ولكنها وجدت نفسها بعد حصولها على الطلاق وكأنها قد أصبحت
محبوبة .. جنت بغرابة ما فعلت حتى يتزوجها محمود ..

* *

وتخلّت ابنتها سامية عليها تشدها من ذكرياتها .. لقد جاء بليغ ..
وقامت وهى منهكة بأعصابها وفكرها وخرجت إليه ..

إن بليغ ليس سعيدا برفض الأب لزوجاه من سميرة حتى لو تم الزواج
عم هذا الرقص .. إن هذا الرقص لا يمس الزواج وحده ولكنه يمس
كرامته واعتزازه بنفسه بعد أن أصبح رجلا مرفوضا .. تعدى عليه أحد
ناس ورفضه زوجا لابنته كأنه يقول له أنت أحقر من أن تصل إلينا وتحل
بيوثنا ونصاهرنا .. وهى العالحين يكفى مثل هذا الرقص لتقوم مذابيح ..
فهل يذهب إلى أنى سميرة ويقتله لأنه أهانه ..

ولكن سعاد استطاعت أن تهدئ من سخطه .. هذه هى طبيعة زوجها
عير .. إنه لا يفتنع إلا إذا عاش الواقع الذى يقعه .. وقد كان مثلا يرفض
سبعف أن يترك بناته ليعشن مع أمهن .. وكان يقول كلاما جارحا كأنه
لا يطمئن على شرف البنات إذا عشن مع أمهن .. ولكن بعد فترة واحه

الواقع الذي أقفحه بأنه لا يستطيع تحمل مسؤولية تربية البنات فغير رأيهِ وأرسلهن إلى أمهن .. وكذلك زواج ابنه من بليغ .. إنه يرفضه لأنه ليس هناك واقع يقف به .. وسيفتنع عندما يواجه هذا الواقع .. واقع سعادة ابنه بهذا الزواج ..

ثم قالت سعاد لبليغ وهي تحتضنه بائسامة :
٢

لقد أعلنت الخطوبة من ناحيتي لكل أفراد عائلتي وصديقتي ..

وقالت ابنتها سامية في حماس :

- وهل يلسان الدبل رغم عدم موافقة بابا ؟

وقالت الأم كأنها تعلن تحديقها لزوجها :

- هذا من حقهما ..

وقالت سهير في فرحة كأنها وجدت مناسبة تقترح بها :

- ونقيم حفلا لإعلان الخطوبة ..

وردت سميرة في حدة :

- أنا لا أريد حفلات ..

وقالت الأم سعاد في فرح هادئ :

- لن نقيم حفلا .. ولكننا سندعو العائلة .. أمي وأختي وصديقتي هدى

فهى أيضا أختي ..

وقالت سهير في حدة :

- ألا أدعو صديقتي نبين وبقيّة الشلة ..

وقالت الأم في عف :

لا .. وإن أنيت بهم سأطردهم ..

ولوت سهير شفتيها قرّانة ساحطة وكأنها قررت بينها وبين نفسها
الأب حصر الحفل ..

والتفتت الأم إلى بليغ قائلة :

وأنت من تدعو من أفراد العائلة ؟

وقال بليغ وهو يبتسم :

- أعتقد أنني مضطر أن أدعو أبي وأمي وإخوتي .. إن عندهم كبير
سمه ..

وقالت الأم صاحكة :

- البيت ينسع للترحيب بهم ..

وقد أقيمت الحفلة فعلا .. واهتمت سعاد بها إلى أعلى درجات الاهتمام
سمع الناس بها حتى لو كانوا لم يدعوا إليها .. ولم يحضر أبو بليغ
الحفل .. وقال بليغ أنه قال له أن أبا العروس ليس موافقا ولن يحضر لقاء
العائلتين فرفض أبوه أن يحضر هو الآخر .. إذا كان أبو العروس يرفضه
فهو أيضا يرفضه .. ولكن جاءت مع بليغ أمه في زى فلاحى كامل ..
معها أحواله البنات الثلاث في رى من أرياء المدينة ولكنه بسيط
ومتأخر .. وجاء معه أيضا أخوه الأصغر .. وقد أخذ يتقرب من البنات كأنه
هو الآخر يريد أختا منهن .. والبناتان تصحكان .. لقد تقاربت العائلتان رغم
انفراق الشاسع بينهما ..

لا شك أن الحفل العائلى كان ساحا .. ودخلت الأم سعاد لتنام وهي
سعيدة فرحة .. ولكن فجأة بدأت تشعر كأنها تخاف المستقبل .. لقد حقق
نمّه أهلها وبدأت بزواج سميرة وستزوج بعدها سهير وسامية فكيف تعيش

هى .. هل تعيش وحدها أم تعيش وهى تلقى نفسها فى كل بيت من بيوت
بناتها .. كأنها تشحذ منهم الرحمة ..

وطردت هذا الحاطر من رأسها بسرعة .. يكفى أن الله يساعدها على
زواج البنات الثلاث ويرحمهن من أن يؤثر ماضيها على مستقبلهن .. كأن
الله غفر لها ماضيها ..

وانفادت بخيالها إلى ذكريات ماضيها الذى لا تزال تعيشه يوما بيوم ..

(٨)

وعادت معاد تهيم فى ذكرياتها .. عادت إلى أيام الجنون الذى انطلقت
به بعد أن حصلت على الطلاق .. لقد كانت تعيش قبل الطلاق وهى زوجة
وليس زوجة .. وتعطى حبيبها محمود كل شيء ولا تستطيع أن
تزوج .. وهى معنورة .. ولا تحس بخطيئة .. ولا تحس بنأييب
صبرها .. فالفان لا يسمح لها بأن تتزوج وهى زوجة رجل آخر لا يريد
أن يطلقها .. وحبيبها معنور هو الآخر .. فهو أيضا لا يستطيع أن
يسرحها .. رغم أنه لا ينمى هذا الزواج ولا يريده حتى يمده .. لقد قل
لها صراحة وأكثر من مرة إنه لا يستطيع أن يترك المرأة الأخرى التى
بروحها ولا أن يتزوج عليها مهما وصل به حبه لها .. إنه يريد أن يبقى
هكذا طول عمره .. له زوجة وله عشيقة .. وربما كان مكتوبا عليها أن
ستسلم لأن تعيش حياتها وهى عشيقة .. مجرد عشيقة .. ولها العذر فى
وحها لا يطلقها .. ولكنه طلقها أخيرا .. لم يعد لها عذر فى أن ترصى
على نفسها أن تكون عشيقة ..

وهى لا تستطيع أن تفقد الأمل .. إن حبها وتعلقها بمحمود أقوى من
س .. ولكنها بدأت تفكر تفكيرا جديدا محصورا فى موضوع واحد ..
شع تزوج محمود .. إن الطريق الوحيد هو أن تصعه داخل واقع يقعه
بالزواج .. أو يعرض عليه الزواج حتى لو كان لا يريده .. نفس ما تعودت
أن تقع به زوجها السابق الذى كان لا يقتنع إلا بعد أن يواحه واقعا يعرض
عليه الاقتناع ..

وكانها أقامت مع صديقته هدى مجلس تخطيط .. إن هدى تعرف أكثر منها عن طبيعة الرجال ووسائل التغلب والسيطرة على هذه الطبيعة .. ولم يعد بينهما موضوع يجمعهما في حديث إلا هذا الموضوع .. كيف تنزوح محمود .. وتكاؤما يلف وينور إلى أن اتفقتا على أن الطريق الوحيد هو أن تعرض عليه المجتمع كله .. أن يصلا إلى أن يدفعوا الناس كلهم وكأنهم صيحيون في وجهه .. تزوجها وإلا حكمنا عليك بأنك ساهل .. إنه تحطيط أقرب إلى أن يكون تهديدا له بالتضحية إن لم ينزوح .. ولكن سعاد لم يكن يحظر على بالها تهديده بالصيحة .. كان لا يخطر على بالها إلا الزواج .

وبدأت تكثر من اللقاءات التي تجمعها بمحمود .. ومحمود يستجيب إلى اللقاء بسهولة .. إنه يحبها .. ثم أخذت تذهب إلى الشقة وحدها .. إن محمود كان قد ترك لها مفتاحا .. وكانت تعتمد وهي تدخل العمارة أن تحس نوب من يحدث وتعرف بالحيران ليس ينبغي لهم داخل المصعد .. بعد ذلك كنت يهر من الباب وسداه الحيران حتى لا يواجه ما يمكن أن يعرفه عنها كمرأة عرود على شقة عاشق .. ولكنها الآن تسعد أن تكون بينهم امرأة عادية لا تهرب ولا تحنىء منهم .. كأنها تريد أن يقتنعوا بأنها لم تأت للقاء عاشق بل تأتى للقاء زوج .. وهذه الشقة أصبحت شقة زوجية .. وتركهم يقتنعون أو لا يقتنعون بأنها زوجة وتترك لهم حرية تفسير هذا النوع من الزواج .. المهم أن يعاملوها كزوجة لا كعشيقة وأن يواجها محمود بأنه أصبح زوجها لهذه السيدة وليس مجرد عشيق يستغلها تحقيق مفعته ..

ووصلت إلى أن بدأت تنقل كثيرا من ثيابها واحتياجاتها وتحفظ بها داخل الشقة .. وبدأت تغير أثاثها وترفع منه وتصيب إليه .. كأنها تؤثثها بحمار العروس .. ولكنها لم تحاول أن تقيم في هذه الشقة .. إنها لن تقيم فيها أو في أى مكان مع محمود إلا بعد الزواج .. ومحمود مستسلم لكل ما يفعله .. إنها حرة فيما تتخذة لإسعاد نفسها .. وسعادته لا تتغير ..

لا بد ولا تزيد .. ولا يحظر على باله أن هناك هدفا تسعى سعاد لفرصه .. وبكيفية كل الكفاءة أن يلقى بحبه .

لنى أن بدأت سعاد خطوة أخرى .. إنها تريد أن يرفه عنها بأن يصحبها خارج الشقة .. إنها زهقانه .. وهى مطلومة بين كل نساء العالم .. نساء يمتصن بشعرهن فى المحرمات وفى ليالى الحفلات وفى الطواب بالمحال العامة مع أزواجهن ليرين الناس ويستمعن إلى الموسيقى ويرقصن .. وهى كأنها محكوم عليها بالسجن المؤبد .. لا تخرج من بيتها إلا إلى الشقة .. ولا تعيش إلا فى خدمة بناتها أو خدمة حبيبها .. حرام .. لقد رقت من هذه الحياة .. حرام عليه أن يتركها وكأنها محكوم عليها بالسجن المؤبد .. داخل جدران البيت والشقة ..

واقف محمود .. إنها فعلا محرومة ومظلومة فى حين أنه هو شخصيا ليس محروما ولا مظلوما ويعيش الحياة كلها .. وهو يؤمن بأن الحب عرض المساواة بين الاثنين .. إنه يتعمد أن يكون سخيا فى إمدادها بالمال حتى يحقق المساواة بينهما .. لا يمكن أن يستقر الحب والحبيب ترى ، حبيبة فقيرة شحدة .. إن أرفع ما يحققه الحب هو تحقيق المساواة سواء .. راح أو بلا رواح .. بما فقط بالحب .. ولكن المساواة بإمدادها بالمال ، تكفى .. إنه هو نفسه كان يحس أنها محرومة من بهجة الحياة .. كى عندما يخرج مع زوجته إلى حفل يتذكرها ويشق عليها .. إنه يمنع بالحفل ، يتركها وحدها تنقلب على فراشها بين أربعة جدران .. وفتح أحبر ' بأن حررها من بين الجدران بأن يصحبها إلى الخارج .. ولكنه كان يحار محال البعيدة الصيقة التى لا ترحم بالناس حتى لا يثير كلام الناس حولهما .. وصل إلى حد أن بدأ يسافر معها إلى الإسكندرية بعد التحايل على زوجته .. بل إنه كان فى مرة مسافرا إلى أوروبا .. وألحت عليه .. ماذا تعيش محرومة من السفر إلى الخارج وكل النساء اللاتى تعرفهن مسافرن .. وسافر بها فعلا وإن كان قد اختار أن يسافر كل منهما فى طائرة

وحده حتى لا يراهما الناس فى المطار يركبان طائرة واحدة ..

وكل ذلك أطلق كلام الناس حولها .. والإشاعات .. إن بعض الناس يؤكدون أنهما قد تزوجا .. حتى أنها حلت مرة تشتري من محل فى شارع قصر النيل وتقدم منها صاحب المحل قافلا فى احترام كبير :

- هل حصرتك مدام محمود عبد الرحمن ؟

وابتسمت سعاد دون أن ترد عليه بغير هذه الابتسامة ..

وقال صاحب المحل :

- لقد رأيتهما معا فى مطعم خريستو بشارع الهرم ..

ولم ترد عليه سعاد أيضا بغير ابتسامة .. لا تنفى ولا تؤيد .. إنها تجد هذه الإشاعات فى صالحها .. على الأقل تنفى عنها أنها مجرد عشيقه ..

ولاشك أن هذه الإشاعات وصلت إلى روحه ولكنها امرأة تنق فى نفسها إلى حد المرور .. إنها واثقة أن زوجها لن يتزوج عليها .. كل ما هناك أنه من هواة اللعب بالنساء وهى تتركه يلعب .. ومحمود نفسه كأنه لا يسمع هذه الإشاعات .. حتى عندما تحدثه عنها لا يهتم .. إنه لا يهتم مدام مطمئنا على الناحيتين من حياته .. ناحية الزوج وناحية العشيق ..

وكل هذه التطورات فى علاقة سعاد بمحمود لا تتم إلا وفقا للتخطيط الذى تناقشته كل يوم مع صديقتها هدى .. إن هدى متحمسة كل الحماس لتزويج سعاد من محمود .. كأنها تلعب لعبة قمار تريد أن تكسبها .. أو كأنها تريد أن ينامى بنكائها الذى يستطيع به أن تحقق المستحيل .. وقد كانت تساعد سعاد وتحمل معها مسئولية كل شيء .. حتى مسئولية السبت .. فقد كانت هدى تشرف على السات فى عينة أمهر وهى مع محمود أو كنت تذهبن إلى بيتها ليلعب مع ابنتها إذا كانت تعرف أن العيبة سنطول ..

وقد عرصت عليها هدى خطوة جديدة .. لنقوم بدعوة صديقاتها إلى الشقة .. فهذا يصعب محمود أمام واقع أن هذه الشقة شقة زوجية وليست مجرد شقة لقاء بين حبيبين .. وقالت هدى إنها ستكون أول مدعوة إلى هذه الشقة .. إن مجرد زيارتها للشقة سيفرض على محمود إحساسه بأنه يجب أن يتزوجها .. وبدأت الخطوة الجديدة .. دعت هدى إلى الشقة .. ثم دعت أهدى بنجوى .. ثم بدأت تدعو صديقات لم يكن محمود يعرفهن .. بل إن بعض الصديقات كن يصحن معهن أزواجهن فى الدعوة .. ربما لأنهن يصدقن إشاعة أنها قد تزوجت محمود أو ربما لمجرد الفرجة .. وكانت سعاد تدعو إلى الغداء أو العشاء وحسب ما تضمن به أن محمود سيكون موجودا معها .. وكانت تعد للدعوة إعدادا فخما وتسرف فى إعدادها .. شعرت للناس أن زوجها محمود كريم معها حتى يسمح لها بكل هذا الإسراف ..

ومحمود يجلس بين المدعويين دون أن يحس بالهتف وراء هذه الدعوات .. لا يحس بما يقصمه حتى يغطى به الوضوء .. وكأن من العادى الذى يقبله المجتمع أن تدعو العشيقه أصدقاءها إلى بيت اللقاء بعشيقها .. إلى المجتمع يقبل الاعتراف بدعوات فى بيت الزوجية حتى لو كان للروح عشيقه وللزوجة عشيق ولكنه لا يقبل دعوات فى بيوت العشاق .. ولكن محمود لا يحس بكل هذا .. إنه يستقبل المدعويين استقبالا طبعيا .. كأنه يعرض على الجميع الاعتراف به كحبيب لا كزوج .. ولم يكن المدعويون طبعيا يثيرون أى تساؤل عن الزواج .. ما عدا أهدى بنجوى فقد قالت لمحمود يوم ذهبت إلى الشقة وهى تبسم كأنها فى انتظار رد يرحمها :

- متى يتم زواجك من سعاد ؟

ورد محمود صاحكا فى هدوء :

- إنى أحب سعاد إلى حد أنى لا يمكن أن أعرض هذا الحب للزواج ..

وصمعت نجوى بهذا الرد .. وطالت المناقشة بينها وبين محمود .. إنه يقول لها نفس الكلام الذى قاله مرارا لسعاد .. وخرجت نجوى غاصسة وهى نصيح :

- لن أعود إلى هذه الشقة إلا إذا كنتما متزوجين فيها ..

وقد استمرت سعاد تحاول تنفيذ الحطة التى اتفقت عليها مع صديقتها هدى ..

كم مضى .. ؟

عامان ..

وبدأت سعاد تئأس .. وطرأ على خاطر هدى طريق آخر .. لتترك سعاد نفسها تحمل من محمود .. ثم تترك الحنين فى بطنها ولا تسقطه .. إلى أن يكون من المستحيل التخلص من هذا الجنين وبصطر محمود إلى الاعتراف به ويتزوجها .. حتى وإن كان لا يريد الزواج فهو بصطر أن يتزوج حتى لا يلقي بابه فى الشارع ويتركه ابن حرام .. إن كثرات من النساء اتعن هذه الحطة .. ولكن لا .. لا يمكن .. إن سعاد سبق أن حملت من محمود دون تعدد وجرت إلى الطبيب لتسقط هذا الحمل .. إنها لا يمكن أن تعرض وليدها للضياع وعذاب الحياة لمجرد أن تستغله فى تحقيق غرض خاص من أغراضها .. ثم كيف تواجه بناتها وهى حامل دون رواح .. مهما قالت لهن فستكون كأنها تنتههن داخل فضيحة .. وتتركهن يشربن الفصائح حتى يتعودن عليها ويعشنها .. وتخاف كل مهن لنفسها فصيحة .. لا .. لا يمكن .. إنها لا يمكن أن تلد إلا وهى مطمئنة إلى أن سعاد ابن حلال وأن الدنيا كلها بالنسبة له سعاد كاملة طبيعية .. لتتزوج محمود ولا ثم تلد له .. وربما كان ابن محمود سيكون أعز عليها من بناتها اللاتي يحبتهن من روحها السابق عزيز .. سيكون وليد محمود هو وليد الحب .. يستطيع أن تجاهر بناتها بالحب .. حب بلا فصائح ..

ورقصت سعاد هذه الحطة ..

وبدا التئأس يزحف عليها أكثر .. حتى أن صديقتها هدى بدأت تئأس من تكالها .. ووجدت نفسها تحس أنها لم تعد تحتل .. ولا يمكن أن سمر .. وكانت تذهب إلى لقاء محمود فتجد أعصابها تتمزق فى داخلها .. وهى سطر إليه .. ولم يعد تستطيع أن يطلق معه فى حديث مرح .. أو حديث الحب .. بل تتعبد الصمت الطويل لعله يفهمها من صمتها أكثر مما يفهمها من حديثها .. ولعله يفهم ولكنه لا يريد أن يتحدث عن موضوع ما يفهمه .. ثم تستسلم له .. تتركه يقبلها دون أن تذوب فى قبلته كما تعودت تذوب .. وتتركه يأخذها وهى باردة كما كانت طبيعتها مع زوجها السابق ..

بعد ذلك فكر هدى بطور لى ن صبح محصور فى مسوسها عن .. به .. إلى النيات يكرن .. أصبحت سهر فى الساعة عشرة .. وسمرت فى لحامسة عشرة .. وسامية فى الثالثة عشره بهن بقرب من س .. سكمال الشحصية ومن الزواج .. كيف تكون عليه شخصيتهن وكيف يتزوجن والمجتمع كله والناس كلهم يعلمون عنهن أنهن بنات أم تعيش مع حل فى الحرام .. إنها لن تكون وحدها ضحية حبها لمحمود ، سيكون سعاد ضحايا معها .. قد بعشن حياتهن بلا رواج كما تعيش هى .. والناس دائما يريدون كل بنت بأمرها .. واكفى القدرة على فهمها تطلع الليت لأمرها ..

وكانت منذ سنوات قد صارت بناتها بما بينها وبين محمود .. ولكنها لم تكن به حطها ولكنه سطر أن يحل بعض المشاكل قبل الزواج .. ل أنها بدأت تصحبهن إلى شقة لقائهما لمحمود وهى تحاول أن تحيطه بحو عائلى لإقناعه بالزواج .. وقد أحببت البنات محمود .. فهو يبدلهن ويعرفهن بالهدايا ويفرح برؤيتهن .. أو ربما أحببه مسيرة لأمنه فى حبه .. وكس محمود يفرح برؤيتهن فعلا .. ولكنه لا يكرهن إلا عندما يراهن فهذا كس عيدات لا يحس بوحدهن .. إلا إذا نعمت سعاد أن تبليه بأن اليوم يوم

عيد ميلاد إحداهن فيسرع بدفع ثمن هدية غالية احتفالاً بهذا العيد ميلاد ..
والبنات أيضاً لا يشعرن بوجود محمود إلا إذا أخذتهن إليه أمهن .. أو إذا
تلقوا منه هدية .. أو إذا ردت عليه إحداهن في التليفون وهو يطلب أمهن ..
إنه ليس أباهن .. وهن لسن بناته ..

ومند بدأ اليأس يرحف عليها امتعت عن صحبة بناتها إلى شقة
محمود .. ليس هذا في صالح تربيتهن . كما قد .. سمعتهن .. ماذا يقول
الناس عندما يرين بنات داخلات في شقة لقاء .. وعندما اشتد بها اليأس
بدأت تقع بنفسها بأنه لا يكفي تربية البنات والحرص على سمعتهن بل يجب
أن تبدأ بتربية نفسها هي من جديد وتقيم لنفسها سمعة جديدة بين الناس ..
سمعة أم شريفة .. أى يجب أن تترك محمود وتقطع كل ما بينها وبينه ..
ولكن .. كيف تترك محمود .. إنها رغم كل شيء لا تزال تحبه ..
إنه الرجل الوحيد في حياتها وفي فكرها وهي كل أحاسيسها .. ثم إنها في
حاجة إليه .. إن كل حياتها أصبحت تعتمد عليه .. بل إن اعتمادها عليه
هو الذى يوهز لبساتها احتياحات ومظاهر لا يكفي لتوفيرها ما يمدن به
أبوهن .. مها كان .. يجب أن تترك محمود وتستسلم للقدر .. إن حياتها
مند ولدت كانت في يد القدر ..

وقد قررت أن تفتح محمود بصراحة .. من الأفضل أن تبعد عنه بأن
تتفق معه على أن تهجره .. وقالت له في لقاء الشقة وهي تحاول أن تكون
هادئة :

- محمود .. إذا كنت تحبني فتحمل أن أتركك .. أن تنتهي من كل
ما بينا ..

وقال محمود في دهشة وجزع :

- لماذا ؟

وقالت وهي تخفف من عذابها بطل ابتسامه على شفيتها :

- لأنى لا أستطيع أن أستمع معك بلا زواج ..

وقال ورموشه ترتعش فوق عينيه :

- وهل تتزوجين بعد أن تتركينى .. هل اتفقت مع رجل آخر على
الزواج ..

وابتسمت وهي تستعرض نفسها بين الرجال بخيالها .. إنها منذ تركت
سب الروحية والرجال أصبحوا أكثر حراً عليها .. حراً تجردت من هذا
الاحرام الذى كانوا يعاملونها به .. وربما بعد أن عرفت واشتهرت علاقتها
بمحمود أصبح كل رجل يحاول معها أن يحل محل محمود .. لم يتقدم إليها
حد طالع الزواج .. من يتزوج امرأة مطلق لها ثلاث بنات ولها عشيق ..
وكانت تواجه أى رجل يحاول معها بجفاء صارخ .. إنها لا تطيق النظر
لى أى رجل سوى محمود .. وقد تعمدت أن تقيم كل حياتها دون أن يكون
فيها رجال من قريب أو من بعيد إلا محمود ..

وقالت لمحمود كأنها تلومه :

- أنت تعرف أن ليس في حياتى أى رجل إلا أنت .. ولو كان قد تقدم
لى رجل لأبلغتك قبل أن تسألنى ..

وقال محمود وهو يحاول أن يكون هادئاً :

- إني أعرف وأحس بما تعابى .. وأنا معترف بأنك تحملت وصحيت
عالم أحملة أو أصحى به أنا .. وأعترف أنى مهما بذلت فلن أعوضك عما
ضحيبت به .. ولكن ما نحن فيه أصبح قدراً مكتوباً علينا .. وهو قدر يسعدنا
قدر ما يعطينا .. وقد مصت عشر سنوات ونحن على هذا الحال ..
ولا يمكن أن نغير هذا الحال إلا إذا كانت هناك حطة لحال أحر حديد ..
أى أن كل ما ينقصك منى هو الزواج فلا تتركينى إلا للزواج .. وأنا

مصطر أن أحتمل يوم تنزوجين غيرى مهما تعذبت لأنك على حق .. ولو أنه حق مظهرك أمام الناس وليس حَقُّك فى إسعاد نفسك ..

وقالت سعاد فى عصبية وسخط :

- لعلك توافق على أن أتزوج غيرك مع استمرار علاقتي بك .. لا .. مسحيل .. لا يمكن أن أكرر الخطأ الذى وقعت فيه .. إني لم أحتمل هذا الخطأ عندما عرفتك فتركت زوجي لأكون لك .. ومادمت لن أكون لك إذا تزوجت فلن أكون لك حتى دون أن أتزوج ..

وقال محمود وهو يتنهد مبتسما ابتسامة مسكينة :

- ربما أحتمل عنك لآتي رجل أعمال .. لا يمكن أن أشطب عملية إلا بعد أن أخطط لعملية أخرى .. وأنت تريد أن تشطب كل حسا دون أن يكون لديك تخطيط لما يعوصك عن هذا الحب ..

وصاحت سعاد بحدّة :

- إنك تختلف عني لأنك تتصور أن كل ما يتقصنى هو الزواج .. لا .. ليس الزواج .. بل إني لا أعتقد أنى أستطيع الزواج برجل غيرك .. ولكن ما يتقصنى هو اطمئناتى على مستقبل بناتى .. لقد كبرن وأصحرن قريبا من سن الزواج .. كيف تنزوج بنت وأمها أصبحت معروفة بأنها عشيقه رجل وليست زوجة .. إن الأم التى تخاف على مستقبل بناتها إما أن تكون روجه أو تكون بلا رجل ..

وقال محمود فى صعب كأنه يستجديها :

- إننا نستطيع أن نغير أسلوب حياتنا .. فلتلقى سرا كما بدأنا عندما دلفرنا .. حتى يسكت الناس عبا ويعتقدوا أننا انفصلنا ولم يعد بيننا لقاء .. ست أنا الذى أشهر حبنا أمام الناس .. أنت من كنت السبب بالحاحك أن تخرج معا إلى الشارع ومسافر معا وتقومين بدعوة الناس إلى غشبا .. وكل

هملى هو أنى طاوعتك واستسلمت لك .. ولكن .. لنعد ونخبىء حبنا عن الناس ونحميه ونحمي بناتك ..

واستمر النقاش طويلا دون أن يتفقا على قرار أو على حياة جديدة .. به اقترب منها واحتصنها وقبئها .. بها لا تستطيع أن تقوم قبلائه ..

ولكنها فى اليوم التالى كانت أشد تصميما على أن تهجر حبها .. أن يقطع كل ما بينها وبينه .. وذهبت وحدها إلى شقة اللقاء وهى تجرى د مجبونة وفحت الدواليب وأخرجت كل ما كانت تحتفظ به هناك من قطع الثياب وجمعنها وأخرجت بها إلى بيتها .. وتعمدت ألا تتصل به بالتليفون .. وبين .. وهى تقارم عذابها كلما وقعت عيناها على التليفون .. وكانت قد ركة آخر مرة وهما على موعد لقاء .. ولم تذهب إلى الموعد .. وبقيت فى بيتها تنقلب على سريرها ولا تطيق نفسها ولا حتى بناتها .. إنها تعذب .. ولكن إصرارها أقوى من العذاب وتحمله .. وبعد ساعة من موعد اللقاء دى حارس التليفون وانطلق منه صوت محمود يقول فى دهشة :

- ماذا حدث .. لماذا لم تأتى ؟

وقالت ودموعها ترفع صوت بكائها :

- بحق حبنا يا محمود .. تحمل ما يفرضه على عقلى وإحساسى .. نى لم أعد أستطيع أن أستمع .. ويجب أن أقاوم حتى ..

وسكت محمود برهة ثم قال فى صوت حزين كأنه يرثى نفسه :

إني لا أستطيع أن أقاوم حتى لك .. ولن أحاول مقاومته .. ولكنى سأقاوم لقاءك ولن أحاول أن أفرص نفسى عليك .. بل إني حتى سأعذك عنى تحقيق ما يمكن من عقبك وإحساسك فلن انفصل بك مره ثانية بالتليفون .. ولو أنى سأعيش العمر كله فى انتظار أن يحمل لى التليفون صوتك .. كان الله معك ..

وأسقط سماعه التليفون ..

وسقطت سعاد تبكى كأنها تتزف كل دمائها .. إنها تحب محمود وإن تستطيع أبدا أن تتجرد من حبه .. وهو طوال العمر الذى قصته معه لم يدفعها يوما إلى العضب منه ولا إلى مجرد لومه .. بل إنها لا تستطيع أن تجعله أية مسئولية .. إنها هى التى أخذته وليس هو الذى أخذها .. وهى التى هزكت بيت زوجها إلى أن حصلت على الطلاق وليس هو الذى حرصها .. وهو لم يعدها يوما بالزواج وخان وعده .. بل قال لها منذ اليوم الأول إنه لن يتزوج ورغم ذلك قلته بلا رواج .. ثم إنها لن تحد أبدا رجلا آخر مثله .. وإن تحب أبدا كما لا تزال تحبه .. كل ما هنالك أنها سيدة فاشلة .. فشلت فى أن تصل بحبها إلى الزواج .. إن بدايتها بعد أن كرر وهن يعرف كل قصنها يعتبرنها أما فاشلة وربما لذلك لا يعتمد عليها فى البحث عن زوج .

وقد وجدت نفسها وهى فى عذابها تفكر كيف يمكنها تدبير حياتها بعد أن تنقطع عنها إمدادات محمود .. لقد كان يعدها بمبلغ كبير أكبر من المبلغ الذى يمد به زوجها السابق بنائه .. لقد كانت تعيش هى وبناتها فى المستوى الذى توفره لهن إمدادات محمود .. فكيف تدبر حياتها بعد أن تنقطع هذه الإمدادات .. لتترك نفسها للقدر ..

إلى أن فوجئت فى أوائل الشهر الجديد بسائق سيارة محمود يأتى إليها فى البيت ويسلمها مطروفا مقفولا .. إنه نفس المبلغ الذى تعود أن يعطيه لها أول كل شهر .. يجب أن تحادثه فى التليفون وتشكره .. ولكن لا .. لعله أرسل إليها مجرد تعويض عن نفسه .. عن خسارتها له .. وقد يكون هذا آخر شهر يرسل إليها فيه قيمة التعويض ..

ولكن فى الشهر التالى جاء السائق يحمل نفس المظروف وفيه المبلغ الذى كان يسميه مصروف الشهر .. يجب أن تشكره هذه المرة .. ورفعت

سماعة التليفون بيد ترتعش . وارتعشت كلها عندما سمعت صوته .. وقالت صوت مبهج :

- لا أدرى كيف أشكرك .. بل إنى أحس كأننا لازلنا معا فلا أستطيع أشكرك ..

وقال فى صوت رصين :

- إنى أحبك يا سعاد .. وقد قلت لك إن الحب مسئولية .. سابقى مسئولا عنك مادام لم يدخل حياتك رجل آخر .. أقصد مادمت بلا رواج ..

وقالت من خلال تنهيدة مرتعشة :

- لا أظن أنى سأزوجه .. بل إنى لا أريد أن أتزوج ..

قال فى رجاء :

-موهل نلتقى ..

قالت وقد عاودها تصميمها فجأة :

-دعنا نستمر فى المقاومة ..

وقال فى استسلام :

- كما تريد ..

ومن يومها صعدت مقاومتها لسماع صوته فى التليفون .. وأخذت تحادثه مرة أو مرتين كل شهر .. وتقاوم أمينتها فى أن تحادثه كل يوم .. ولا تطلب منه ولا تطلب منها .. يكفي أن يطمئن كل منهما على الآخر ..

ودخلت عليها ابنتها الصغرى سامية واحتفظتها من ديباها .. ديبا دكرياتها .. كانت سامية قد نجحت فى الثانوية العامة بمجموع مشرف ..

وكان صديقها أحمد قد تخرج في كلية الهندسة وبال البكالوريوس وبدأ يعمل في مكاتب شركة أبيه .. ولأن سامية مصممة على أن تفهم كل ما يفهم صديقها .. ويكون في عقلها كل ما في عقله .. فقد التحقت هي الأخرى بكلية الهندسة ..

وكانت سامية عندما دخلت تبسم ابتسامة كبيرة .. انعكست على شفتي الأم وقالت لها :

- ما أحبارك ؟

وقالت سامية وهي تدور حولها كأنها ترقص :

- أحمد لم يعد يطبق وجودي في كلية الهندسة .. إنه يغار من كل من حولي من الطلبة ومن كل من يقول لي كلمة واحدة .. حتى أنه يأتي إلى في الكلية كل يوم كأنه لا يزال طالبا معي ..

وقالت الأم في منتهى العرحة ومنتهى الأمل :

- وماذا فعلت به غيرته .. أو ماذا قرر أن يفعل ..

وقالت سامية ضاحكة :

- لا أدرى فيم يفكر .. ولا بهمني ما يقرره .. تكفيني فرحتي بغيرته سي .. إنه يغار كالمجانين ربما لأنه كان في نفس الكلية ويعرف ما يحدث فيها ..

وتركتها سامية لتجرب في مرح ..

وسعاد تتسع ابتسامتها .. إن صديق انتها لا يمكن أن يقاوم غيرته لا بالزواج .. وتزوج الابن الثانية من بناتها ..

الحمد لله .. ألف شكر يارب ..

(٩)

كانت قد مرت أسابيع عندما جاءت الأبنة الصغرى سامية إلى أمها سعد وجذبتها من يدها ودخلت بها إلى عرقها تريد أن تختلي بها بعيدا عن أحسها .. وكانت سامية تبسم ابتسامة سعيدة ولكنها ابتسامة تبدو أنها تنطلق من وراء فكر مشغول حائر .. وقالت وهي تبعد عينيها عن عيني أمها :

- أحمد يريد أن يعلن خطوبتنا ..

وانطلقت العرحة من كل خلجات الأم .. لقد كانت متأكدة أنه سينقدم إلى الخطوبة .. كان في حاجة إلى ما يؤكد له أن سامية ستقبي له .. وليس أمه ما يطمئنه إلا بأن يبدأ بالخطوبة .. وقالت كأنها ترغرد بفرحتها :

- مبروك يا ابنتي .. ألف مبروك ..

وقالت سامية وقد بدأت ابتسامتها تنكمش :

- لقد مضت أسابيع وأنا أحاول أن أقنعه بتأجيل إعلان خطوبتنا ولكنه مصر ..

وقالت الأم في دهشة :

- لماذا تريدان التأجيل ؟

وقالت سامية في صوت هادئ دون أن تكون نائبة أو ساخطة ولكنها ناقش رأيا لها :

- إنني مارلت في سنة أولى جامعة .. ولا أريد أن أضع نفسي في حالة

رسمية أمام رملاني الطلبة لأعيش حياتي الجامعية وأنا حرة .. حتى إذا وصلت إلى السنة الثالثة مثلاً أكون قد زهقت من الجامعة وأبدأ في الارتباط بمسئلي .. ثم ما هي الخطوبة .. إنها فتح مجال الصداقة وتأكيد الحب بين اثنين .. وأنا وأحمد نعيش هذا المجال بلا خطوبة .. إنني أصبحت مرتبطة بصداقة وحب أحمد إلى الأبد فما حاجتنا إلى إعلان الخطوبة ..

وقالت سامية كأنها تنهر ابنتها :

- إن الخطوبة هي الصداقة الشرعية والحب الشرعي ..

وقالت سامية وهي تنسم :

- أعتقد أن هذا هو ما يريده أحمد .. الشرعية .. وقد قلت له إنه يفار من التفاف الطلبة حولي ، وتدفعه غيرته إلى التردد على في الجامعة كل يوم .. ولعله بدأ يحجل أمام الطلبة من كثرة تردده فأراد أن يحوله إلى تردد شرعي ..

وقالت الأم في لهفة :

- وعلى ماذا انتهيتما ..

وقالت سامية وابتسامتها تتسع :

- طبعاً استسلمت لإصراره .. أنت تعلمين أنني أحبه ولا أتمنى رجلاً آخر هي حياتي غيره رغم كل مناعيه .. واتفقنا على أن نبقى مخطوبين إلى أن تنتهي من الجامعة وأصبح مهندسة مثله .. ويكون هو قد أعد مستقبله واشترى الشقة التي ننزح فيها .. أي كلها ثلاث سنوات وننزوج ..

وقالت الأم صاحكة :

- من أدراك .. ربما كما فاجأك بطلب إعلان الخطبة بفاجئك بعد شهرين بطلب الزواج ..

وقالت سامية وهي تضحك في مرج :

- حرام عليك يا ماما .. إنه لو طلب أن يتم الزواج في أي يوم فأخشى أن أصعب أمامه وأستسلم له كما استسلمت لإصراره على إعلان الخطوبة .. وسأفقد بعض حريتي بعد أن تعلن الخطوبة ولكن يبقى لي ما يكفي لحياتي الجامعية وإتمام دراستي .. أما إذا تزوجنا فسأفقد حريتي كلها ولن أكون أندا مهندسة ..

وقالت سعاد وقد هدأت ابتسامتها على شفيتها :

- إن الحرية هي طريق الإنسان لإسعاد نفسه .. فإذا دفعتك حريتك إلى الزواج فلأنك مقتنعة بأنك ستكونين سعيدة حتى دون أن تكوني مهسة .. والنبت غير الولد .. تصل إلى ذروة سعادتها بأن تكون روجة ناححة لا بأن تكون مهندسة .. أو طبيبة .. أو محامية ..

وقاطعتها سميرة دون أن تبالى بما تقوله أمها :

- أحمد سيأتي لزيارتك غدا ..

وقالت الأم من خلال فرحتها :

- هل يأتي ليطلبك مني .. ؟

وقالت سامية صاحكة :

- هذا هو المفروض ..

وقالت الأم :

- وهل يأتي وحده .. ؟

ونظرت سامية إلى أمها كأنها تلومها على هذا السؤال وقالت :

- لماذا لا يأتي وحده .. ؟

وقالت الأم في لهجة حادة :

لأنى لست فى حاجة إلى لقائه وحده .. فأنا أعرفه جدا .. وهو يعلم
أنى موافقة مفنما على إعلان خطوبتكما .. فإذا جاء ليطلبك رسميا فيحب
أن يأتي مع أمه أو مع أبيه أو مع كليهما .. حتى تكون الزيادة كاملة ويسع
الأصول ..

وصاحت سامية معترضة :

- لقد جاء بليغ ليطلب يد أختي سميرة وهو وحده .. فلماذا لا يأتي
أحمد ليطلبني وهو وحده أيضا ..

وقالت الأم فى حدة :

- لقد كان أهل بليغ بعيدا عنه ولا يقيمون فى القاهرة .. ثم إنى لم
أعرف بليغ كما أعرف أحمد .. لقد وضعت بليغ تحت عشرات الأسئلة كأنى
أحكمه قبل أن أوافق على أن أعطيه ابنتى .. ولست فى حاجة إلى أى سؤال
أوجهه لأحمد .. ثم إن أهل أحمد معنا ونعرفهم ويعرفوننا وإن كنا نعرفهم
من بعيد ..

وقالت سامية وهى تدير ظهرها لأمها :

- إن أم أحمد لن تأتى معه ..

وقالت الأم فى صوت عال محتد :

- لماذا .. ؟

وقالت سامية فى صوت متهدج بعد أن زفرت أنفاس الصيق :

- إنها ليست موافقة على الزواج ولا على إعلان الخطوبة ..

وصاحت الأم فى جزع :

- لماذا .. هل تعتقد أن ابنها لم يصل إلى سن الزواج بعد .. أم هل
ن تزوجه من أخرى أو من إحدى قريباتها ..

وقالت سامية وهى تنتهد :

- لا .. إنها ترفصنى أنا ..

وقالت الأم وعيناها مفتوحتان فاغربتان كأنها مقفلة على مصيبة :

- لماذا .. إننى أعرف أنك تزورينهم فى البيت .. ولم تقولى لى مرة
إبه وقعت حفاقة أو مشادة ببيك وبين أم أحمد ..

وقالت سامية وكأنها معطاة :

- لم يحدث أبدا شىء بيننا .. ولكنها كانت تستقبلنى دائما فى برود ..
وبعاملتى فى ترفع كأنها تعتربنى مجرد لعبة يلعب بها ابنها أحمد وتتركه
لعب ويضطى بي .. حتى ابنتها درية أخت أحمد التى كانت زميلة لى فى
لمدرسة الثانوية .. لقد حاولت أن تكون صديقة لى ، وتذكرين لى دعوتها
لى بيتنا عدة مرات ولكنها دائما باردة متعالية على ، علاوة على نقل
سما .. وقد كنت أحتملها من أجل خاطر أحمد ولكنى منذ مدة شطبتها بعيدا
عى .. وأحمد يعرف شعور أمه وأخته نحوى .. وتصارحنا وانفعا على
ن نتجاهل وجودهما .. يكفينا وجودنا معا ..

وقالت الأم والدهشة من كلام تسمعه لأول مرة تفرى أعصابها :

- لماذا كان هذا شعور الأم نحوك .. ماذا حدث يمكن أن يمسك ؟

وقالت سامية فى صوت خفيض كأنها تهتمر لنفسها :

- لأنها تعرفك ..

وصرخت الأم :

- ماذا نقصدين .. ؟

واستدارت سامية لتواجه بعيبيها عيني أمها وقالت كأنها تسعين بقوة تحمي بها نفسها :

- إنها تعرف كل حكايتك وتعتقد أنها حكاية لا تشرقها إذا ناسيتك .. وقد قلت أنا هذه الحكاية لأحمد قبل أن تقولها له أمه .. وكان يجب أن أقولها له .. حبه لن يكون كاملا إلا إذا عرّضني كلي بأمي وأني وبكل ما في حياتي .. قلت له إنك وأنت زوجة أحببت رجلا آخر .. ولكنك قاومت الحب حتى أصبحت لا تتحملين معاهة العذاب الذي يصبه عليك نانا هجرته لتعيشي الحب .. ولكنه لم يبتعد إلى رواح فصحبت به وعشت بعيدا عنه بلا حب وبلا رجل .. إن أحمد مقتنع بأنك لم تخطئي كما تقول أمه وأنت مطلومة مع حظك وقدرك ..

وسكت الأم ساهمة كأنها تبكي نفسها .. ثم قالت في صوت خفيض كأنها تحدث نفسها :

- إن حكايات أم أحمد أشجع من حكاياتي .. بل وحكايات أبيه أيضا .. لقد قيل عنهم إن الأب كان يسلط الأم على إغراء من يتعامل معهم حتى يصعقوا أمام نصيبه واحتياله عليهم .. وهكذا أصبح مليونيرا .. وأصبحت زوجته من نجوم المجتمع رغم كل ما يقال عنها لمجرد أنها زوجة مليونير .. لو كنت أنا قد احتملت زوجي لكنت الآن سيدة محترمة بلا حكايات حتى لو استمرت علاقتي بمحمود .. ولكنني جاهرته الناس بحبي كأنني كنت أريدهم أن يعترفوا به كما يعترفون بالزواج .. وإن كنت قد وصلت بهم إلى أن اعترفوا بحبي كخطوبة .. وكان ما كان .. اسمعي سامية يا ابنتي .. إنني مستعدة أن أستقل أحمد كصديق لابنتي فهو ليس مسئولا عما يقال عن أمه وعن أبيه كما أنك لست مسئولة عما يقال عنك .. ولكنني لن أسمح له بأن يطلبك مني إلا إذا كانت معه أمه ..

وقالت سامية في عصبية :

- إنها لن تأتي لتخطبني منك .. ووالد بليغ لم يأت إعلان خطوبة ابنه إلى أختي سميرة .. ورغم ذلك أعلنت الخطوبة ..

وقالت الأم مقاطعة :

- إن والد بليغ لم يحضر لأن أبالك كان رافضا ولم يحضر .. وأنا سأكون مثله لن أشارك في إعلان خطوبتك مادامت أمه لن تشاركني ..

وقالت سامية صارخة :

- إنك تحدثي رفض أبي .. فتحدّي رفض أم أحمد ..

وقالت الأم وهي تنظر إلى ابنتها كأنها تتوسل :

- إن إحساسى بمن نرفضه من ناحيتنا غير إحساسى بمن يرفضنا من ناحيته .. لا أستطيع أن أحتمل أن تزوج ابنتي وهي مرفوضة من أهل العريس .. لست بنت شوارع أو بنت سايبة حتى يكون من حق أحد أن يرفضك .. أنت التي ترفضينهم لا هم ..

وقالت سامية كأنها تحاول أن تقنع أمها :

- لقد قررنا أنا وأحمد أن نرفضهم كما رفضونا .. وأن نعلن الخطوبة دون موافقتهم حتى نرفض عليهم الواقع إلى أن يستسلموا له .. فساعدينا ..

وقالت الأم صارخة :

- إن أحمد يستطيع أن يرفض ما يريده على أمه وأبيه قبل إعلان الواقع .. إنه ابنهم الوحيد .. وسوف يضطرون إلى الاستسلام له .. بل إذا لم يريدا أن ينشروا لثقتي يستطيع أن يذهب ليطلبك لابنه من أنبك ماداما لا يريدان أن يطلباك مني .. ويكونان بذلك قد أحترمك واحترما لعائلة ووضعك أمام الناس في صورة مثيرة .. وأنا واثقة أن أبالك سيوافق

على زواجك من أحمد لأن أباه معروف وثرى ..

وقالت سامية ساخطة :

- إن البنت تنسب إلى أمها قبل أن تنسب إلى أبيها .. ولن يذهب منها أحد ليطلبني من أبي إلا إذا كان معترفا بأمي ..

مواقالت الأم في إصرار :

- إذا أعلنتما الخطوبة وحنكما بعيدا عن أهله فلن أشارك معكما في هذا الإعلان بل لن أعترف بهذه الخطوبة .. حتى لا أطلق حولنا كلام الناس أكثر مما تكلموا .. هل تعلمين ما يمكن أن يقوله الناس .. سيقولون إني علمتك ودرينك وخططت معك حتى خطفنا أحمد من أهله ليخطبك .. لا تعرضيا لكنا لفصيحة جديدة .. تكفي فصيحة أمك القديمة .. وكل ما أطلبه منك هو أن توجلا أنت وأحمد إعلان الخطوبة إلى أن يقع بها أهله .. وأنا واثقة أنه سيصل إلى إقناعهم ..

وقالت سامية وخواطرها تشرد فكرها :

- سأقول لأحمد وأسمع رأيه ..

وهمت أن تخرج من الغرفة عندما دخلت أختها الكبرى سهير وحاولت أن توقفها قائلة :

- ما هي الحكاية ؟ .. سمعت كلاما من خلف الباب .

وأزاحت سامية أختها سهير عنها وهي تصيح في عنف :

- دعيني ..

• •

وخرجت سامية وألقت سهير نفسها على المقعد أمام أمها ورفعته

.. منها وألقتها فوق مسند المقعد ونركت ثوبها يبرلق فوقها ويعرى ساقها كعادتها .. وقالت في فتور :

- ما هي الحكاية .. فيم كنتما تتحدثان كل هذا الحديث الطويل ..

وقالت الأم وهي سارحة كأنها تحدث نفسها عن المشكلة الجديدة :

- إن أحمد يريد أن يزورني ليطلب مني يد أختك سامية ..

وأسقطت سهير ساقها من فوق مسند المقعد وفقرت واقعة وهي تصيح كأنها جنت :

- هل تعلن خطوبة الأختين قبل أن تعلن خطوبتي وأنا الكبرى .. هل يردن أن يعلن أني أنا الحية بينهما التي لا يتقدم أحد لحظتها .. براعياي أي يحب أن أحطب قلمها حتى لو اضطرأ إلى تأجيل إعلان حضوبة كل منهما .. لقد احتملت خطوبة سميرة قبلي .. تحملت وأنا أرشي حضى .. ولكنني لن أحتمل خطوبة سامية .. وسأترك البيت .. لا أعيش معكم وأنا مطلومة .. وإذا كنت ستقولين إنهما أخطرن مني فأنت المسئولة عن شطارتني .. هاتي لي من يخطبني إذا كنت أنا لا أستطيع ..

وقالت الأم وهي تنتظر إلى ابنتها في إشفاق ساخر :

- أنت خيبة فعلا .. وتعتبرين ابنة فاشلة .. فاشلة في الدراسة وفاضلة في الزواج .. وأنا أترك لك الحرية مع صديقك نعيم التي لا أحبها وأحب عليك منها .. وكل يوم تعودين إلى لتحديثني عن شاب جديد جلست معه أو رقصت معه .. ولكن لا أحد ممن حدثتني عنهم جاء يطلب يدك مني وحتى وعد بالزواج .. ولكني أعذرك .. ربما ورثت عبي القمل في البحث عن روح .. فإني أيضا فشلت في الزواج ممن أردت أن أنزوجه .. اهتني يا ابنتي .. ولا تلوميني كأنني قصرت في حقك .. إنني لم أختار لأختيك من جاء يطلبها .. كل منهما اختارت لنفسها خطيبها ..

وصاحت سهير بأعلى صوته :
١٤٢

أنا لست فاشلة .. ولم أفلت من اختيار من أتروحه .. ولكن مراجعي غير مزاج أختي الاثنتين .. لا يمكن أن أختار واحدا من عيبة من اختاراه .. وقد اخترت فعلا وإن لم أنته بعد إلى قرار .. وستعلمين به قريبا ..

وقالت الأم في حدة :

- على شرط ألا تتم خطوبتك وزواجك سرا .. كما نريد أختك .. إنني أرفض مثل هذا السر أو مثل هذه الفضيحة ..

وقالت سهير محتدة :

- ليس في حياتي أسرار .. ولن تكون فيها أمرار .. ولتتني تلمنني لأنني لا أحتفظ لنفسى بأسرار وتتهمني بأني مفصوحة .. إنني أفصل أن أكون مفصوحة على أن أرتكب البلاوى في السر ..

وكانت سهير قد رسبت هذا العام في امتحان الثانوية العامة .. وهو ثالث عام ترسب فيه .. وهي تعتقد أنها كانت تستطيع أن تنجح ولكنها لا تحس حاجتها إلى هذه الشهادة .. إن صديقها ، ميدو ، يقول إن الشهادات المدرسية والجامعية ليس لها قيمة إلا قيمة ورقة تزكية لنيل وظيفة في الحكومة .. ولأنه لا يريد وظيفة في الحكومة فهو ليس في حاجة إلى الحصول على مثل هذه الشهادة .. وقد وصل إلى أن أصبح طالبا في كلية لبحارة ووصل إلى السنة الثانية ولكنه اكتشف أن المواد التي تقدم إليه لدرستها ويمتنح فيها هو ليس في حاجة إليها كما ينصور مستقبله فامتنع عن الدراسة وعن دخول الامتحان .. ولم يدخل جامعة أخرى ولا امتحانا حر لأنه لم يجد بين كل كليات الجامعة حتى الجامعة الأمريكية ما يحسن حاجته إلى دراسته .. لقد قرر أن يعتمد على نفسه في استيعاب دراسة

ما يريد .. وهو يريد أن يكون رجل أعمال حرا .. وقد قال لها إن والده حكى له أن المعلم محروس البيصاني صاحب أكبر وأشهر مطاعم الكفة ، كتاب كان طالبا في المدرسة الابتدائية ولكنه لم يهتم بنيل شهادة الابتدائية ، ترك المدارس ليتفرغ مع والده للكفة والكتاب .. يكفيه أنه تعلم القراءة ، الكتابة .. والباقي يتعلمه في السوق .. وقد استطاع بعد أبيه أن يرفع من مطاعم الكفة والكتاب حتى أصبح أشهر المشاهير وأصبح مليونيرا .. والده الذي أتم دراساته الجامعية ووصل إلى أن أصبح وكيل وزارة لا يصل قيمة مرفئة في شهر ما يكسبه محروس البيصاني في يوم أو ربما في ساعة .. ثم حكى لها حكاية عباس محمود العقاد .. إنه عبقري العباقرة في تاريخ كتاب اللغة العربية .. ورغم ذلك فهو لم يدخل الجامعة ولا حتى مدارس الثانوية ولم يحاول أن يحصل على أى شهادة تعليمية .. لماذا ؟ .. لأنه لم يجد في كل ما يدرس في المدارس والجامعات ما يحقق ما يحتاج إليه فاعتمد على نفسه في البحث عن العلم حتى أصبح عبقري العباقرة .. ثم إن أكثر أصحاب الملايين في أمريكا وفي أوروبا .. أى في الدول المتقدمة .. بدأوا كباة صحف مشردين في الشوارع ، وكانوا لا يقرأون إلا ما يريدون قراءته ، ولا يهتمون إلا بدراسة السوق الذي يجذبهم .. ولكنهم لا يحاولون أبدا الحصول على شهادة جامعية .. إن الشهادات الدراسية الرسمية توازي شهادة حسن السير والسلوك ، معظم من يحصل عليها لا يمتار بحسن السير والسلوك ولكن الحكومة تعطية الشهادة بأنه طيب ..

وكانت سهير تستمع إلى كلام ميدو وتقتنع به .. والبنات كالولد .. من حقها ألا تدرس أو تحصل على شهادة إلا فيما تقتنع بأنه يهيمها وأنها في حاجة إليه .. وهي ليست في حاجة إلى شهادة الثانوية العامة .. وهي لم تكن تتظاهر بأنها تذاكر دروس المدرسة إلا مرضاة لأمها .. بل لم تكن تدخل الامتحان إلا وهي تعلم مقدما أنه لا يهيمها أن تنجح إلا مرضاة لأمها

أيضا وإتقاء لثورتها .. وكل النساء المشهورات الناححات لم يحصلن على شهادات من المدارس أو من الجامعة حتى النساء اللاتي دخلن التجارة وفن « بونيك » ليس مع إحداهن شهادة جامعية ولا حتى شهادة الثانوية .. ويكفيهن أنهن يقرأن ويكتبن .. يقرأن ما يرون قراءته ويكتبن ما يرون كتابته لا ما تفرسه عليهن الحكومة في مدارسها ..

و « ميدو » هو واحد من أفراد شلة الأولاد والبنات التي تحيط بصديقتهما بيفين .. وهى شلة منقادة انقيادا تاما إلى المساواة بين الولد والبنات .. كل ما يريده الولد من حق البنات أن تريده .. وليست فقط المساواة في الحق بل أيضا في اللا حق .. أى لو أخذ الولد كل ما فى البيت لأنه يريد من حق البنات أيضا أن تأخذ كل ما فى الولد مادامت تريده .. وهو ما يعتبره المجتمع لا حق .. ولا يصح حقا إلا بعد استيفاء كثير من الإجراءات منها علاج الزواج .. ومن العزيب أن هذا المجتمع لا يحاسب الولد إذا أخذ بنا لا حق ولكنه يحاسب البنات إذا أخذت ولدا ويتهمونها بجريمة كبيرة .. بسموبها جريمة الزنا .. لهذا هذا الفرق بين البنات والولد مع أن الله خلقهما طبيعة واحدة .. إن جمال البنات الذى يغرى الولد هو نفس الإغراء الذى يغرى البنات بجمال الولد الشاب أو الرجل .. والمثمة التى تدفع الولد هى نفس المثمة التى تدفع البنات .. لقد قيل إن الفارق بين البنات والولد هو أن البنات هى التى تحمل .. ولا يمكن أن يعود إلى عصر الهمجية وسرك البنات تحمل دور أن ينظم المجتمع كله ويحدد ما هو حق وما هو ليس حقا .. وهذا كلام رنت عليه حيوب منع الحمل .. إن البنات تستطيع الآن أن تتمتع بكل طبيعتها دون أن تحمل .. ومعظم بنات الشلة يواطين على تناول حيوب منع الحمل .. لأنهن لا يستطيعن أن ينجبن أولادا بلا رواج فحسب بل لأنهن لا يريدن الزواج الآن .. ويحرصن على التمتع بحرينهن إلى أن يصلن إلى السن التى تدفعهن للزواج أو إلى أن يلفين بمن يقعن بالزواج ..

وسهير ليست من هاتيك البنات .. إنها لم تصل إلى حد تناول حيوب منع الحمل .. إنها لا تعطى من نفسها إلى هذا الحد .. وتستطيع دائما أن « م » شهونها إلى استكمال المثمة مهما أعطت .. ربما لأنها تحب أمها ولا تريد أن تفقد أملها فيها .. رغم أنه أمل ليست مهير مقنعة به .. كل ما تعودت عليه سهير هو أن تفرح بنجاح إغرائها للشبان .. وكلما انتهت من إغراء شاب بحثت عن شاب آخر تغريه .. ولم تلتق بشاب يدفعها إلى الكفء بإغرائه وحده .. بل لم تلتق بمن يدفعها إلى تركيز كل إحساسها به حتى تسمى ن سروح به لا يريد أن سروح لآ .. لا يريد أن يف حريها بالزواج ..

ويكفيها بعد أن حطبت أختها سميره .. ساف علوم نفسها .. بها الأخت الكبرى وكان يجب أن يكون أول من يعش حطوسها .. وذات تفكر فى بحث عن روح .. ولكنه كان تفكير بصعب وهى تعيش حو صديقتها عس .. ولكن .. بعد أن سمعت أن أحمد يقدم لحظة حبها الصغرى ساميه تارت على نفسها .. يجب أن تتزوج .. حتى لو اضطرت أن تبعد وتقاوم هذه الشلة التى لا تهتم بالزواج .. ولكن .. كيف تبحث عن الروح .. إنها تعرف الكثيرين من الشبان ومن الرجال الذين تعدوا شبايمهم .. فكيف تختار بينهم ..

إنها بعد أن سقطت فى امتحان الثانوية العامة قررت أمها أن توقف سالها للمدارس وعرضت عليها أن ترسلها إلى معهد تتعلم فيه الخياطة .. احتراف الخياطة لم يعد يقتل من قيمة المرأة .. وهناك سيدات كثيرات حترفن الخياطة رغم أنهن من عائلات كبيرة ومنزوات ولسن فى حاجة إلى اكتساب لقمة العيش .. ولكن سهير رفضت أن تتعلم الخياطة .. إنها تريد أن تتعلم أشغال الفنايق .. وتعمل فيها .. وتستطيع أن تتدرب ثلاثة شهر فقط فى أحد الفنادق وتعين جرسونة .. كثيرات من الحرسونات فى مطاعم أو كافتريات الفنادق الكبيرة من بنات العائلات .. إنها مهنة ممتعة

توفر لك أوسع فرجة على الناس .. ولكن سهر لا تريد أن تكون
جرسونة .. تريد أن تعمل على أى مكتب من مكاتب فندق كبير .. ولو أن
مثل هذا العمل يحتاج إلى مدة تدريب أطول .. ليكن .. واستطاعت أن
تلتحق بمندق هيلتون .. إنه فندق له عظمتة واحترامه .. ولكنها بعد شهر
اكتشعت أن فندق شيراتون أحف بما فانتقلت إليه .. وقد بدأت بالتدريب فى
العائد دور أن تعقد هواية إعراء الشبال والرجال .. وقد استطاعت إعراء
الكثيرين .. فمن منهم تختاره وتركز عليه حتى تتزوجه ..

الواقع أن الوحيد الذى تحس بقربه إليها هو ميدو .. واسمه الكامل
محمد مرتضى مسعود .. وقد بدأت بأن نجحت فى إغرائه ولكن نتيجة هذا
الإعراء تطورت إلى نوع من الراحة وسهولة الاقتناع .. إنها دائما ترناح
إلى لقاءه وتفتن بك ما يقوله .. إنه يعبر عن كل أحلام الحيل الجديد ..

وارتدت سهر ثيابها وغطت نفسها بكل مظاهر التجميل ثم اتجهت إلى
الباب وهى تدق الأرض بخطواتها كأنها تعبر عن إصرارها وصاحت :
أما حارحة يا ماما ..

ولم تنتظر رد أمها قبل أن تصفق الباب وراءها ..

وأما سعاد تطلق عينها وراءها وهى تنتفس حيرتها وجزعها على
بداتها .. إنها أصبحت محرومة من كل شيء لنفسها .. كل دقيقة من يومها
لبناتها .. حتى بعد أن يخرجن ويتركنها وحيدة وتقوم تعد البيت أو تدخل
المطبخ لإعداد الطعام لا تفكر فى شيء لنفسها .. هذا ما تريده سهر ..
وهذا ما تريده سميرة .. وهذا ما تريده سامية .. أما هى فقد أصبحت
محرومة من شيء تريده .. حتى من فستان تبذل مجهودا فى اختياره
وطريقه لتتجمل به لم تعد تحس يوما بأنها فى حاجة إلى فستان رغم قدم
كل فساتينها .. لا تفكر إلا فى فساتين البنات وكيف تجعلهن أشيك وأرقى
حات مصر .. إلى أن تثور عليها البنات يوما ويدفعنها إلى اختيار ثوب جديد

لها .. إنهن يقلن إنهن لن يستكملن شياكتهن إلا إذا كانت أمهن شيك .. ثم
مشاكلهن .. مشاكل البنات .. مشكلة سهر .. ومشكلة سامية .. إنها لم
تستطع أن تحل أى مشكلة إلا مشكلة سميرة ..

• •

إلى أن فوجئت يوما بابتها سميرة تدخل عليها وبين شفتيها هذه
السمامة الهائلة العقلة التى عرفت بها .. وبعد أن قتلها وحملت ملتصقة
بها .. قالت :

- تصورى .. إن بليغ يريد أن يتم زواجنا ..

وقالت الأم فى دهشة :

~ متى تريدان الزواج .. ؟

وقالت سميرة من خلال ابتسامتها وفى صوت كأنه ينبص بالحياء :

- بعد أسبوع .. أو بعد شهر ..

وقالت الأم فى جزع :

- لماذا .. لقد كان موافقا على أن ينتظر إلى أن تنتهى من الجامعة
وتحصل على شهادتك ويحصل هو على الدكتوراه .. فماذا غير رأيهِ حتى
يتعجل الزواج ..

وقالت سميرة بحياء ومن خلال ابتسامتها :

- له حق .. ولعله حقى أنا أيضا .. فمن الصعب احتمال فترة الخطوبة
مدة طويلة .. كل منا يريد أكثر ..

وابتسمت سعاد مع ابتسامه ابنتها كأنها تعثرها وتوافقها وقالت :

- وهل وجد أين تتزوجان .. أى هل وجدت شقة تصمكما ؟

وقالت سميرة ساخرة :

- كيف يجد شقة يا ماما .. إننا لم نفكر مجرد تفكير فى البحث عن شقة .. وأنت تعلمين أنه يقيم فى نفس الشقة التى أقام فيها منذ كان لا يزال طالنا فى الجامعة .. وهى شقة عرفة واحدة وهى حارة منعنة من حوارى الحيرة الداخلية .. وقد حطر على بالى أن ينزوح فى هذه الشقة .. وأعانى معه كل ما يعانى به فهو فى الواقع يستحق أن أعانى من أجله .. ولكنه لا يقبل أن يهبط بى إلى حد المعاناة .. وأنا أيضا كنت أخاف ألا أحتمل هذه الشقة .. إلى أن وصلنا إلى فكرة جديدة .. سأبقى أنا فى البيت .. ويبقى هو فى شقته .. ولكننا ننزوح .. هذا هو الحل الوحيد لأنى لا أستطيع أن أطلب منك أن سمحى بأن نقيم نحن الاثنان هنا .. فالبيت ليس فيه إلا عرفنا نوم .. عرفناك وحجرتنا ..

وقالت الأم فى دهشة حازمة :

- كيف يمكن أن يسمى هذا رواحا .. أين بيت الزوجية .. ؟

وقالت سميرة كأنها تشفق على أمها وعلى نفسها :

- يا ماما قدرى الحالة .. إننى أعرف بنات كثيرات تزوجن بلا بيت للزوجية .. أصبحت الزوجة ليست فى حاجة إلى بيت بعد أن وصلت الحالة إلى ما نحن فيه ..

وأحست سعاد كأن الدنيا تدور أمام عينيها حتى تكاد يغمى عليها .. وقالت وهى تصغط على جيبها نكها نصد الصداع الذى بدأ يملأ رأسها .. وقالت وصوتها يتهدج :

- سميرة .. ألعى هذا الموضوع الآن .. ولا تقمى على شيء قبل أن أوافق عليه ونكرى أن حطوبتك ليلع لم تعلق إلا بعد أن كنت أنا قد

اتخذت القرار وأعدت له .. وكذلك الزواج لن يتم إلا بعد أن أتخذ فيه قرارى ..

وقالت سميرة وهى مشقة جزعة على أمها :

- موافقة يا ماما .. ولكن .. ما بك .. هل أتى اليك بأسيرين ..

وقالت الأم وهى تلقى بنفسها راقدة :

- ايتبنى بأسيرين يا ابنتى ..

(١٠)

ومرت شهور وسعاد تعيش أيامها وساعات عمرها لبساتها وهي لم
سنطع حتى الآن أن تحل أى مشكلة من مشاكلهن .. كل ما استطاعته هو
أن تدفع كل بيت إلى أن تؤجل حل مشكلتها وتعطيها وقتاً أطول للبحث
والتفكير إلى أن يحلها حلال .. سامية الابنة الصغرى استطاعت أن تؤجل
حطوبتها التي يصر عليها صديقها أحمد .. وسميرة لم تعد تحدثها عن
مشروع إتمام رواجها بحطوبها بلع .. وابنتها الكبرى سهير لا تزال تعيش
حياتها الشاذة وقد اضطرت أن تترك لها مريداً من الحرية .. إنها تفرح
من البيت صباحاً ومساءً وقد تأخرت مرات في العودة إلى البيت إلى ما بعد
منتصف الليل .. وقد بدأت تحدثها كثيراً عن صديقها ميدو .. وقد بدأت
نسميه باسمه كاملاً .. محمد مرتضى مسعود .. كأنها تفرض عليها وعلى
العائلة احترامه .. وقد قالت لها يوماً :

- محمد سيترك قريباً ..

وقالت سعاد وعيناها تتطلقان بالأمل :

- هل يزورها ليطلبك ..

وقالت سهير وهي تضحك ضحكة تعلن بها غرورها بنفسها وأنها
ليست أقل من أختيها اللتين جاءهما خطاب :

- طبعاً ..

ولكن ميدو .. أو محمد .. لم يأت لزيارتها حتى اليوم ..

وسعاد نحس بأن ليس في العالم كله أم تعاني ما تعانيه هي في تربية بناتها وإعدادهن لمستقبلهن .. ربما لأنها أم وحيدة ليس لها رجل .. إن مجرد وجود الرجل في البيت يصفى على المشاكل لو أنها آخر يخفف من حنتها ويصل بها إلى حل . وكان يحظر على بالها أحيانا أن تنصل بزوجها السابق عزيز .. أبو البنات .. وتستغيث به لحل مشكلة .. ولكن بأسها منه يذيب هذا الحاضر .. إنها تعرفه .. إنه يحس سباته كأشياء كان يملكها ثم لم يعد في حاجة إليها فرمها في محرر بعيد .. زماني إلى أمهم .. حتى عندما تحدثه وأعلنت خطوبة ابنته سميرة رغم رفضه .. لقد تعمدت أن تلعبه أن الخطوبة قد أعلنت فلم يفعل أكثر من أن لوى شفتيه احتقارا وأطلق سيلًا من كلماته النديّة يمسح ويسب بناتها دور أن يتحرك حركة أو يتحد أي إجراء لإنقاذ ابنته مما يعتقد أنه ليس في صالحها .. وليس فيه ما يشرفه .. إنه أب لم يطلق زوجته وحدها بل طلق معها بناته ولم يعد يربطه بهن إلا المبلغ الذي يرسله لهن في كل شهر .. ورغم مرور كل هذه السنوات لم يزد على هذا المبلغ مليما واحدا ..

وحظر على بالها مرات أن تستغيث بحبيبها محمود .. إنه ليس حبيبًا سابقًا .. فهي لا تزال تحبه رغم مرور كل هذه السنوات منذ هجرته .. وهي حس أنها طوت هذا الحب وعطسته في أعماق قلبها ولكنها لا تزال تعيش على مقاومته حتى لا يطهو إلى سطح قلبها فتعود إليه .. ولو كانت مطلقة الحرية ليست مرتبطة بمجتمع ولا تحمل هم بناتها لما قاومته .. ولا شك أن محمود أيضًا لا يزال يحبها .. إنه مستمر في أن يرسل لها كل شهر مع سائقة الطرف المغلق الذي كان يسميه المصروف .. مصروفها .. الطرف الذي يحوى مبلغًا أكبر مما يرسله زوجها السابق عزيز لسباته .. بل إن محمود لا يزال يتكرر بعض المناسبات كعيد ميلادها فيصيب إلى المبلغ الذي يرسله مبلغًا ثمنًا لهدية . لولا محمود لما استطاعت أن تعيش هذه الحياة هي وبناتها .. وهي لا تزال تحدثه في التليفون كل شهر مرة

ولا تزال تقاوم أن تحدثه كل يوم .. ويرد عليها بصوته النظيف من كل ما يشوه الأصوات ويرن في أنها كأنه نحن حب .. ولكنهما لا يجدان موضوعًا بينهما يتحدثان فيه فتحدثه كثيرًا عن بناتها ولكنها لا تذكر له حصيل ما تعانيه .. إنها لا يمكن أن تحمله مزيد من مسئولياتها وإن كنت أحيانا تسمع منه آراء تعينها .. إنها لا تناقش آراءه بل تقنع وتستسلم لها فورًا كأنها آراء تفرح بها .. آراء زوج غائب لا مجرد حبيب مهجور ..

ويدور السات خلال هذه الشهور قرر ألا يكتفي بالاعتماد على من في تحمل كل منهن مشكلتها .. أصبحت كل منهن تفكر لنفسها وتتصرف باقتناعها وقراراتها دون انتظار قرار أمها .. ويعلن أمهم بعد أن يكن قد تصرفوا فعلا ..

وقد فوجئت بابنتها الصغرى سامية تدخل عليها وهي تبسم ابتسامة مرحة وتخفي يديها وراء ظهرها فقلته :
- ماما .. أغصني عيبك ..

ونظرت سعاد إلى ابنتها في تساؤل ثم أغصنت عينيها وهي تبسم في حيرة إلى أن قالت لها ابنتها :
- افتحى عينيك ..

وفتحت سعاد عينيها ويد ابنتها ممدودة أمامها وفي أصبعها خاتم جديد لم تره من قبل .. وقالت دون أن تفرح :
- م. ه. ؟

وقالت سامية والفرحة تزعد مع صونها :
- ه. حاتم أحمد ..

وجحظت عينا الأم وقالت مذعورة :

- هل أعلنتما خطوبتكما من ورائي ؟

وقالت سامية وهي لا تزال مرحة :

- يا ماما .. يا حبيبتي .. كيف تعلن خطوبة دون أن تشهرها العائلة .. وكل ما حدث أني استطعت إقناع أحمد بأن الخطوبة لا يمكن أن يعلنها ، ولا يمكن أن يأتي لزيارتك ليطلبني إلا بعد موافقة عائلته كما لا يستطيع أن يأتي إليك ليطلبني منك إلا ومعه أمه كما قررت أنت .. وقد قررا أن نأخذ أفراد العائلة على قدر عقليتهم .. وبحس في الواقع لا بهم .. فإن ما يريده يستطيع أن نحققه .. ولكننا قررنا أيضا أن نعيش هو وأنا كخطيبين .. لا نعلن الخطوبة ولكننا مخطوبان .. ولذلك قررنا أن نليس الحواتم .. وتعمدا ألا تكون كخواتم الخطوبة العادية .. والحاتم كما ترين فضة لا ذهب .. وأعرض من خواتم الخطوبة المعروفة .. هل تدريين كم ثمنه .. عشرون جنيها فقط .. دفعها خطيبى أحمد ..

وقالت الأم فى مرارة :

- واسمه مكتوب على الخاتم ..

وقالت سامية فى بساطة :

- طبعاً .. واسمى أنا أيضا مكتوب على الخاتم فى أصبعه .. إن كثيرات من البنات تسجل اسم حبيبها على خاتم دون أن يكون خاتم خطوبة ..

وصاحت الأم فى حدة :

- الخطوبة لا تنم إلا بإعلائها .. وما فعلناه هو محرد لعب عيال ..

وقالت سامية ساخرة :

- دعينا نلعب ونتمتع باللعب .. إنها لعبات الحب ..

وقالت الأم مستمرة فى ثورتها :

- ويبقى أحمد يلعب معك ويلعب بك ..

وقالت سامية بصوت مرتفع كأنها تدافع عن حبيبها :

- أحمد لا يكف عن الخناقات مع أمه وأبيه حتى يتقدما لخطبتي .. حصص أخته لأنها لا تقف بجانبه .. ولكنه لا يستطيع أن يصل إلى حد خروج من البيت والمعيشة وحده حتى تستجيب الأم له .. فهو كما تعلمين يعمل مع أبيه ولا يريد أن يفقد العمل معه .. وهو واثق أن عائلته ستنتهى لى الموافقة .. ونحن نستطيع أن نتنظر موافقتها فلا يزال أمامنا وقت طويل .. لسنا فى عجلة .. وكل ما كان يضايق أحمد هو اضطرابه إلى لتردد على الجامعة ليطمئن على .. أو على الأصح ليطمئن على حبه .. وهو كما قلت لك غيور .. وحتى يرر نردده على أمام الطلبة .. فكربا فى .. صبح فى أصبعنا البنيتين المتشابهتين حتى يعتقوا أننا محطوبان .. وقد فعل أحمد أكثر من ذلك .. لقد دخل الجامعة مرة ثانية بحجة دراسة الهندسة الميكانيكية بعد أن انتهى من الهندسة المعمارية .. وأنا أعلم أنه لا تهمه دراسة الميكانيكا ولكنه فقط يريد أن يكون معى داخل الجامعة وحارجه .. رغم أنه ليس مواظبا على ترده كطالب منظم لكثرة أعماله فى شركات أبيه التى يبنى بها مستقبله .. ومستقبلى ..

وصاحت الأم :

- اسمعى يا بنت .. مهما فعلت فلن أعترف بك ولن أحس بك كخطيبة لأحمد .. ومهما قلت فأنت لا تقولين ما يكفى لإعلان الخطوبة .. ووضع دنة فى أصبعك لا يكفى لتكوى مخطوبة .. إن الخطوبة هى الانتقال إلى مرحلة كاملة من مراحل حياتك .. مرحلة لها مطالبها .. وأنت لم تنتقلى كل ما تفعلينه أنت وأحمد إلى هذه المرحلة .. ولن أفرض عليك أن ترمى

هذه النبلة من أصبعك .. ولكنى لن أحترمها وأعترف وأفرح بها كنبلة
خطوبة .. وأنت حرة ..

- اطمئنى يا ماما .. شاركنى اطمئنانى على نفسى ..

هذا ما فعلته سامية حتى اليوم ، وأما يخطر على نكرياتها أنها هى
أيضا كانت تصع حاتم حبيبها محمود وتعتبره حاتم خطوبة بل خاتم رواح ..
ورغم ذلك لم تحط به ولم تنزوجه .. ربما يستر .. ولكن ما فعلته ابنتها
الأخرى سميرة كان أبشع .. كان مصيبة ..

• •

وكانت سميرة قد عادت إلى البيت فى ليلة تأخرت فيها عن موعد
عودتها الذى تحرص عليه .. وحيث ثم جلست إلى المكتب وهى تقلب فى
أوراق .. ولكن أمها لاحظت كأنها فى حالة عصبية ولا تستطيع أن تتفرغ
للأوراق التى فى يدها .. وهى ترفع عينيها تنظر إلى الأم ثم تعود
وتخصصها فى عصبية وتلقيهما بين أوراقها .. إلى أن هتت فجأة وأبعدت
أوراقها عنها وألقت بالقلم الذى كان فى يدها .. وقالت بصوت مرتعش وإن
كانت تحتفظ بهدونه :

- ماما .. لقد تزوجنا أنا وبلغ ..

وقالت الأم كأنها قد أصيبت بحشجة فى صوتها :

- ماذا تقولين ؟

وعادت سميرة تكرر بهدونها المرتعش :

- تزوجنا .. أنا وبلغ ..

وزفرت الأم كأنها تحدث نفسها :

- متى .. وكيف .. ماذا حدث ؟

وقالت سميرة وهى أكثر هدوءا :

- تزوجنا اليوم .. (واستطردت كأنها لا تريد أن تترك لأما سؤالا
آخر) .. كنت عنده فى شفته .. وأنا أتردد عليه كثيرا هذه الأيام لمساعدته
فى إعداد رسالة الدكتوراه .. إلى أتولى البحث له داخل المراجع التى يجتاح
إليها .. والواقع أن كل مرة أذهب إليه فى شفته تنتهى بالعذاب .. عذابى
وعنه .. نعتب لأننا لسنا منزوجين .. وكنت أخرج من الشقة وأنا أحرى
كأنى أهرب منه .. أهرب من العذاب الذى ليس من حقى أن أتخلص منه ..
وهو سبق أن قلت لك إننا فكرنا أن ننزوح ويقيم كل منا فى مكانه .. لأننى
لن أحتمل الإقامة فى شفته .. وشقتنا ليس فيها عرفة ننزوح فيها حتى أطلب
مك أن أنزوح هنا إلى أن تتغير أحوالنا وسنستطيع أن نجد شقة لنا وحدا ..
ولكنك رفضت أن أنزوجه ويقيم كل منا وحده .. وتحملت من أجل خاطرك
عذب كل هذه الشهور .. ولكنى اليوم لم أستطع أن أستمر فى التحمل ..
قد وصلنا إلى حالة صااح فيها ببلغ .. سأطلب مأذون الحارة .. وسكت
ولم أحاول أن أهرب منه .. وتركنى ونزل إلى الحارة بينما وجنت نفسى
مرتاحة كأنى أعد نفسى للساعة الغالية .. ساعة الرفاه .. إلى أن عاد ببلغ
ومعه مأذون الحى والمعلم محروس صاحب المقهى الذى يقع على ناصية
الحارة .. وواحد من الجيران لا أعرفه .. وكتبنا العقد .. كتبنا الكتاب ..
صيحت راحة .. وبعد أن انصرف المأذون والشاهد تخلصت أنا وزوجى
من العذاب ..

ولم تستطع سعاد أن تنطق بكلمة وانهمرت دموعها ثم اشتد بكاءها
وحلجتها تتمزق ..

- هذا ما كان يجب أن يحدث يا ماما .. وكان لا يمكن أن أترك نفسى
تزوج بلا زواج حتى لو كان حبيبى .. باركى لى وبلغ .. لقد حمينا
حساب كل شىء ..

وقالت الأم من حلال دموعها المنهمرة :

- لقد أعلنت خطوبتك دون حضور أبك .. واليوم تتزوجين دون أب
يكون معك أبوك ولا أمك .. إن الله يعاقبني .. كما جرمت أباك يحرمني
كيف أواجه الناس .. كيف أرفع رأسي بينهم .. كيف أحس بأبي أسطوهم
أن أكون أما ولى حق باقى الأمهات .. حتى أن أفرح برفاه ابنتي أمام
كل الناس ..

وقالت سميرة وهى لاتزال محتضنة أمها :

- اطمئنى يا ماما .. قلت لك إننا حسبنا حساب كل شيء .. وسنخفى
حبر زواجنا عن كل الناس إلا سكان الحارة طبعاً .. وسبقنى كما نحن
حارح الحارة .. محرد الخطوبة التى سبق أن أعلنناها .. إلى أن يأتى اليوم
الذى نفر فيه إعلان زواجنا .. وسيكون قريباً فقد قرر بليغ أن يقبل التدريس
فى جامعة المغرب .. ولكنه ينظر أن يحصل على الدكتوراه ليكون هناك
فى درجة مدرس .. وسيحصل على الدكتوراه بعد بضعة شهور .. ويسافر
وأسافر معه .. بل إننا قررنا أن نقيم حفلاً كبيراً قبل السفر ندعو إليه كل
الناس ونعلن زواجنا .

وقالت الأم كأنها تولول :

- كيف تقيمان حفلاً والكتاب قد كتب والزفاف قد تم ..

وقالت سميرة منتسمة تخفف عن أمها :

الناس لا تقرأ الكتاب ولا تفرص عينيها على الرفاف .. إلا إذا كنت
فلاحة يا أمى وتريدين أن أدخل مع زوجى ثم يجرح المندبل الذى يحمل
بكارتي إلى الناس .. وأنت لست فلاحة يا أمى .. وكل ما أطلبه منك
ألا تقولى لأحد إننى قد تزوجت ولا لطنط هدى .. ولا حتى لأختى سهير
وسامية ..

وقالت الأم فى حدة :

إنى قد أحضى الخبر عن صديقتى هدى .. رغم أنها كل من لى فى
السيا وليس بيبى وبينها أى سر .. ولكن يجب أن تعلم أختاك بالخبر ..
لا أطبق أن يجهل أحد منا شيئاً عن الآخر ..

وقالت سميرة فى هدوء :

- حاضر .. ولكن اتركينى أنا أقول لهما الخبر .. فلا أدرى كيف
يسرته إذا سمعه منك ..

وقالت الأم كأنها تنكرت شيئاً :

- وأبوك ..

وقالت سامية وعلى شفتيها ابتسامة ساحرة :

- لقد أعلنت خطوبتى دون موافقته .. ولا يهمنى أن أتزوج دون أن
موافق .. ولكنى سأبلغه الخبر ..

وعادت الأم تنكى .. تنكى أنها أم فاشلة .. لم تسطيع حتى أن تفرح
- ول رواج لبنت من بناتها .. ومرت أيام وهى لا تكف عن الكاء .. والبيت
كله ليس له حديث إلا رواج سميرة .. وكل بليغ يردد عليهم أحياناً ولكنهم
لا يستقبلوه كزوج لسميرة .. ولا يسمحن له بما يسمح للأرواح .. إنه
ليس زوجاً لسميرة إلا فى الحارة ..

إلى أن وقعت اللطمة ..

المصيبة الكبرى ..

• •

وكان قد مصى عام وهي تترك لابنتها الكبرى سهير مزيذا من الحرية
حجة أنها أصبحت فتاة عاملة في الفندق الكبير .. وقد كانت سهير نفسها
نمست كل تصرفاتها إلى عملها .. فهي تعبت عن العناء مع العائلة لأنها
بحكم العمل تناولت غذاءها في الفندق .. وتغيب عن العشاء وتتأخر عن
العودة إلى البيت لأنها كانت تعمل في الفندق .. وكانت كما هي .. ولكنها
بدأت تنبأه أكثر بأنها جميلة وجمالها يعرئ أي رجل .. حتى وهي في
داخل البيت مع أختها أصبحت كأنها تتعمد التناهي عليهم بهذا الجمال
والإعراء .. وأحيانا تنبأه بحركات ومظاهر سادحة مصحكة .. لا شك
أن عقبتها بأن أختها سميعة سيقفها إلى الزواج وأختها سامية قد سفيها إلى
الخطوبة رغم أنها الأخت الكبرى . لا شك أن هذه العقدة هي التي أصبحت
تدفعها إلى هذا التنبأه المقتل ..

ولم تكن سهير وهي تتحدث مع أمها تطيل في الحديث عن عملها في
الفندق أو عن نوادر وأحداث هذا الفندق .. ولكنها كانت تحبها أكثر عن
صديقها مينو ، وتترك أمها تحسن وتقتنع بأنها مقدمة على مشروع
رواح .. والأم تفرح وتدعو الله أن يحقق هذا المشروع .. ولكن منذ شهرين
أو ثلاثة بدأت تتغير كأنه قد طرأ على حياتها شيء حديد .. إنها لم تعد تنال
في استغلال حزينه بحجة عملها في الفندق .. ولم تعد تنال في التنبأه
بجمالها وإعرائها كم عيونهم .. بل إنها لم تعد بطريق الحديث طويلا في
أي موضوع .. وبدأت الأم بحسن كأن أختها تعيش سرا من الأسرار .
وسهير كانت دائما الوحيدة بين الأخوات التي يشك الأم في أنها تحفى عيها
شيئا ..

إلى أن كانت ذات ليلة ودخلت الأم سعاد إلى حجرتها ورقدت على
فراشها بعد أن أطمأنت إلى أن بناتها الثلاث في البيت وأنتهين من كل
حسداهن وسجن إلى حزنهن للنوم .. وبعد تعالى كثير إلى أن يشفق
النوم عليها ويعمض عينيها .. بل إنها تعودت أن تخلص على السرير

وراجع حسابات البيت ثم تعيد كل ما حدث لها ولبناتها خلال اليوم ثم تحبها
سكريات ماضيها لتعيش معها إلى أن يأتيها النوم .. وكانت قد مصت ساعات
وهي في فراشها عندما فوجئت بابنتها سهير تدخل عليها هامة :

- هل نمت يا ماما ..

وقالت الأم مبتسمة :

- لا يا ابنتي .. خيرا .. لماذا لم يأخذك النوم حتى الآن ويتركك
صاحبة كما يفعل بي ..

ولم تبتسم سهير مع ابتسامه أمها وعادت تهمس :

- أريد أن أحادثك ..

وأزاحت الأم نفسها فوق الفراش وهي تقول من خلال ابتسامتها كأنها
أحست بأن ابنتها تعاني وتحاول أن تخفف عنها :

- تعالى يا سهير .. ارفدى بجانبى وفي أحضانى ..

ومدت ذراعها فوق الوسادة لتلقى عليه سهير رأسها واحتضنتها إلى
صدرها وهي تقول :

- تكلمي يا حبيبتي ..

ومسكت سهير برهة ثم انهارت دموعها وبدأت تبكي وترتعش مع
بكانها .. والأم تربت عليها والجزع يزحف عليها .. إلى أن قالت سهير
من خلال دموعها :

- ماما .. كان يجب أن أقول لك كل شيء ولكني كنت خائفة ..

وقالت الأم وهي تقاوم جزعها :

- هل تخافين من أمك .. عمرك ما خفت مني ..

وقالت سهير وبكاؤها يهتز بصدرها :

- كنت خائفة عليك .. إن ما حدث لى لم يكن مما تتصورينه
أو سنظرينه ..

وقالت الأم فى رجاء وهى تكاد تنكى مع ابنتها رغم أنها لم تسمع شيئا
بعد :

- طمنينى يا ابنتى .. ماذا حدث ..

ودفنت سهير وجهها فى صدر أمها وهى تقول بنموعها :

- إنى حامل يا ماما ..

وهبت الأم من رقدتها جالسة وشدت ابنتها إليها وهى تلهث صائحة :

- ماذا تقولين ؟

وقالت سهير وهى تحنى رأسها وتمسح دموعها بكفها :

- إنى حامل ..

وصاحت الأم :

- من فعل بك هذا .. ؟

وقالت سهير فى صوت منهار وكأنها تحدث نفسها :

- أنا التى فعلته بنفسى ..

وسيطرت الأم على صرخاتها حتى لا يسمعا أحد من خارج الغرفة

وقالت وصوتها الخفيض كأنه سكاكين تبرز فى لحمها :

- ماذا تفصدين .. ماذا حدث لك بالصبط .. قولى لى كل شيء ..

لا تخفى عى شيئا ..

وقالت سهير وهى تلمس مزيدا من دموعها :

- إنى منذ مدة وأنا أركز كل عقلى وإحساسى على موضوع الزواج ..
بلى لم أكن أهتم بأن أتزوج .. كنت سعيدة بحياتى بلا رواج .. ولم أكن
أرتب لشباب أعرفه فرصة ليطلب زواجى .. ولكن أحتاج سيرة وسامية
فعمسى بأنى يجب أن أتفرغ أبا الأخرى لموضوع الزواج .. يجب أن
.. وح .. واحترت ميدو ليكون زوجى .. إنى أرتاح إليه ويقنعى بكل كلمة
يقولها .. واستطعت أبا أن أقعه بأنى أصحت له وحده .. ولكن ميدو
لا يريد الزواج ولا يفكر فيه .. إن الحياة فى نظره لم تعد هى حاجة إلى
هذا الطابور الذى يسير فيه الناس .. طابور يقف أمام المأثور ليسجل
ما يسمى الزواج .. ولكنى كنت مصممة على أن أتروجه .. وإذا كنت
لا أستطيع أن أقعه بالزواج فإبى أستطيع أن أفرص عليه مسئولية تعرض
عنه الزواج .. إن ميدو ليس من طبيعته أن يهرب من المسئولية .. وقد
واقفتى صديقتى بيقين على كل ما كنت أفكر فيه وأحطط له .. إلى أن
تركنت نفسى له .. أبا التى تركت نفسى كأنى كنت أعريه وأحرصه على
نفسى .. إلى أن شعرت بالحمل .. لاشك أن ميدو سيجعل معى مسئولية
هذا الجيب ويتزوجنى .. ولكنه وبعد أن علم بأنى حامل لا يزال مصرا على
رفض الزواج .. لا الزواج منى بل رفض حالة الزواج من أى مخلوقة ..
ولكنى بدأت أقاوم يأسى .. إنه قد يصعب ويعدل عن مبادئه عندما يرى
بطنى مبعوحا ويشفق على .. ولكنه ظل مصرا على رأيه .. إن المسئولية
فى نظره هى اتفاق بين طرفين .. وهو لم يتفق معى على أن أحمل منه
فهو ليس مسئولاً عن هذا الحمل .. وبدأت أنعذب .. ماذا أفعل .. وقد
فكرت فى أن أسقط نفسى .. ولكنى فى الوقت نفسه كنت أفكر فى أن أترك
نفسى حاملا حتى لو تركت نفسى إلى أن أنجب وليدى .. إن ميدو يستطيع
أن يتخلى عن مسئولية رواجى ولكنه لا يستطيع أن يتخلى عن مسئوليته
كأب وهى مسئولية تعرض عليه رواجى .. وهذه الحيرة التى تعذبى هى

التي دفعتني إلى أن أخفي عنك كل ما حدث لي .. كنت لا أريد أن أصارحك إلا بعد أن أقرر مصيري بنفسى حتى لا أكون قد استسلمت لرائيك مجرد استسلام .. أو حتى أرفض رأيك وأعنيك بالرفض .. وكنت أعيش في البيت معكم وبطنى مفعوكة أمامكم دون أن أصارحكم بشيء .. ثم لو أسقطت نفسى وأنا أخاف عملية الإحهاض فمن يقف بجانبى ويراعينى ويستتر على .. كان يجب أن أصارحك .. فاغفرى لى يا ماما .. اغفرى لى ..

وكانت الأم تسمع وكلها ترتعش .. وأسقطت سهير رأسها على صدرها بعد أن انتهت من حكايتها وعادت تبكى .. ولكنها أراحها عن صدرها فى عنف حتى كانت تسقطها من فوق السرير على الأرض .. ويدها مرفوعة تهم أن تصربها أو تحنقها وهي تصيح :

- كيف أغفر لك .. لقد فضحتنى وفصح البيت كله .. لقد قتلتنى ودفنت أمك ..

ولكن يد الأم توقفت فى الهواء قبل أن تصل بها إلى ابنتها وكأنها تذكرت شيئا .. تذكرت ماضيها .. إن نفس الحطة التي وضعنها سهير سبق أن فكرت فيها هي نفسها عندما نصحتها صديقته هدى بأن تلد من محمود حتى تفرص عليه الزواح .. وقد قاومت هي هذه الحطة إلى أن رفضتها .. ولكن سهير اقتنعت بها وبدأت تطبقها .. وحتى مجرد الحمل .. لقد سبق لها أن حملت من محمود بلا رواح .. ولكنها لم تتردد كما تتردد سهير وذهبت فوراً إلى الطبيب الذى أجهضها .. إن سهير تعيش نفس الحياة التي عاشتها .. ولكن سهير أكثر غيابة منها فى مواجهة هذه الحياة وفهمها والتعامل معها .. وإن كانت قد انتهت إلى نفس الفشل .. هي فشلت فى رواج محمود وابنتها فشلت فى زواج ميدو .. محمد مرتضى مسعود ..

وأسقطت سعاد يدها قبل أن تلمس ابنتها وقالت فى صوت حزين وهي ترزخ عينيها وتنتهد :

- كم مضى منذ شعرت بالحمل ؟ ..
وقالت سهير من حلال لموعها :

- شهران .. أو شهران ونصف ..

وقالت الأم فى صوت خافت حازم كأنها تصدر أمراً :

- غدا سنذهب إلى الطبيب .. وستكون معنا طنطك هدى .. إنها هي التي تعرف هذا الطبيب ..

وقالت سهير وهي تبكى :

- اغفرى لى يا ماما .. سامحينى فى عرصك حتى لا أنتهر ..

وقالت الأم كأنها تحدث نفسها وكأنها لم تسمع نوسل ابنتها :

- ابنتى التي لم تتزوج لم تعد عزراء ..

وقالت سهير وكأنها تطمئن أمها :

- سنجرى عملية أخرى أعود بها عزراء .. إن نيفين تعرف طبيباً يجرى هذه العمليات ..

وقالت الأم والسخط يهزها كأنه سحق على الدنيا كلها :

- إنك لن تعودى عزراء أبداً .. لا عذراء الجسد ولا الروح ولا الإحساس ولا الفكر .. مهما أجريت من عمليات .. لقد أصبحت امرأة .. واسمعى .. إنى أفرص عليك أن تخرجى من بين هذه الشلة التي تعيشين بكنك معها .. لا أريدك أن تلقى أو تعرفى صديقك نيفين .. إنها راحة الحياة التي وصعت نفسك فيها والتي تشربين منها السم .. وقاطمى الشاب الذى جنى عليك والذى تسمينه ميدو .. إنه قائد شلة الانحلال .. والمسئولية ليست كما يقول هي اتفق بين طرفين .. المسئولية ليست مجرد

تعامل تحارى .. البنيت تعطى والولد يعطى .. المسؤولية تقوم أساسا على المسؤولية عن النفس .. المسؤولية أمام الضمير .. ولكن هذا الولد منحل النفس ومنحل الضمير .. إني أفرص عليك حجر هذا الولد وهذه الشلة .. وإذا حاللتى فلن أقتلك ولكنى سأقتل نفسى .. حتى أرتاح منكى كلكن .. وقالت سهير وهى تحاول تقبيل يد أمها :

« حاضر يا ماما .. أعدك .. ولكن ..

وقاطعتها أمها صارحة :

- كفى كلاما .. ادهنى إلى فراشك ولن أدعو لك بأن تنامى لأنى إن أم ..

وخرجت سهير وهى تزحف بقدميها كأنها مشقة على أمها أكثر من إشفاقها على نفسها ..

وانهارت الأم على السرير تبكى بكل خلجاتها .. ولم تتم .

وهى صباح اليوم التالي اتصلت سعاد بصديقتها هدى بالتليفون تطلب لقاءها لتذهب معها إلى الطبيب الذى تعرفه .. وقالت هدى وهى تصحك ضحكة عالية :

- ماذا حدث .. هل تخفين عنى رجلا لك .. منذ متى وأنت تخفين عنى ..

وقالت سعاد بصوتها المحشرج وكأنها تتعمد مصارحة صديقتها قبل أن تلقاها :

- لمت أنا .. إنها ابنتى سهير ..

وسكنت ضحكة هدى فورا كأنها تلقت صدمة انهارت فوق رأسها

وأمكنها .. واكتفت بأن تحدد موعدا مع سعاد دون أن تسألها شيئا عن حكاية ابنتها سهير ..

وذهبت سهير معهما إلى الطبيب وأجريت لها العملية وعادت ترد على فراشها فى الغرفة التى نجمعها بأحنيها .. والأختان لم يثورا عليها و يعايرانها أو حتى يلوماهما .. ولكنهما يعاملانها فى رفق كأنهما يخفعا عنها مصيبتها وحدها .. إنها مصيبة الكل .. مصيبة العائلة .. وسهير علانية .. إنها منكوبة فى حظها .. إسا نسب كل أخطائنا وكل بلاوينا إلى الحظ كأننا نواسى أنفسنا ..

• •

ومرت الشهور .. وبيت العائلة .. بيت الأم وبناتها الثلاث .. ينطور إلى نوع من الحياة يلعب عليه البرود .. ولا يعلو فيه صحيح الكلام .. كأن كل بيت أصبحت منفردة بمشكلاتها وتفصل أُر تعيش فيها وحدها .. والأم تعيش كالخفير أو كمسكرى المرور .. تحرس وتنظم المرور دون أن تتكلم كثيرا ..

وكانت سعاد جالسة ذات صباح مستسلمة هذا الاستسلام الصامت الذى تعودته .. ورفعت بين يديها جريدة اليوم وقلبت صفحاتها لتبدأ بصفحة الوفيات كعادتها .. ولم تكد عيناها تقع على السطور حتى شهقت ..

لقد توفيت شريفة هاتم ..

شريفة زوحة محمود ..

فوجئت سعاد بوفاة شريفة هانم زوجة محمود كأنها صدمت بزلزال بهز كل حياتها .. وكانت حياتها قد استقرت منذ سنوات طويلة على وجود محمود ووجود روجة محمود .. حتى بعد أن هجرت محمود وحرمت نفسها منه ظلت مرتبطة بوجوده ووجود زوجته .. إن وجود زوجته هو الذى شكل حياتها وانتهى بها إلى أن أصبحت امرأة بلا رجل .. ورغم ذلك لم تكن تكرهها وتحقد عليها .. إن الزوجة لم تعتد عليها بل إنها هى التى اعتدت عليها وشغلت زوجها عنها سنوات طويلة حتى وإن لم يضح بها لبروجها^{هي} .. إن إحساس العشيق بزوجته الرجل المعشوق إحساس عجيب .. أحيانا ينتابها إحساس بالزهو والغرور بنفسها .. لقد أخذت هذا الرجل من روحته .. استولت عليه لأنها أحمل من هذه الروجة وأشد فتنة وأكثر نكاء .. وأحيانا ينتابها إحساس بالحيرة والسخط على نفسها .. ماذا تأخذ من هذا الرجل .. لا شيء أكثر من هذه الساعات العابرة التى تقضيها معه .. وهذه المسئولية الصيفة التى تلقنها عليه ليكمل حياتها كأنها تفرص عليه أن يدفع ثمن هذه الساعات التى تعطىها له .. أما باقى الحياة كلها فيعطىها لزوجته .. يعطىها اسمه .. ويعطىها مجتمعه .. ويعطىها مستقبله .. ويستسلم للأسر الذى يفرضه عليه أولاده منها .. وهذا الإحساس يدفع العشيق إلى إعلان الحرب على الروجة .. وهى حرب تختلف حسب طبيعة هذه العشيق .. قد تكون حربا عنيفة شرسة تصل إلى حد العنيفة والتشهير بل وإلى حد ارتكاب الجريمة .. وقد تكون طبيعة العشيق لا تحتمل إلا الحرب الحافطة الصعيفة كأنها حرب استجداء .. وقد تبدأ على

أمل أن يطلق الرجل زوجته ويتزوجها .. ثم ينكمش الأمل وتتمنى أن يبروجها بجانب زوجته وتعيش مع صرتها نصف روحة . ثم ينكمش الأمل أكثر حتى تقبل أن يتزوجها زوجها عرقيا لا شرعيا .. ويحتفظ بها بعيدا عن المجتمع ولا يظهر بها أمام الناس وتصنع كأنها قطعة من الحشيش المهرب يمنحها سرا ولا يجاهر الناس بأنه حشاش .. إلى أن يذوب الأمل ولا يعود أمام هذه المرأة إلا أن تحار بين أن تقصى حياتها كعشيقة لهذا الرجل أو تهجره .. هذا إذا لم يكن الرجل قد سبقها وضاق بها واجتاحه الملل فهجرها .. وقد حاصت سعاد هذه الحرب الحافطة الهانئة بينها وبين زوجة محمود وانتهت إلى أن فقدت الأمل وهجرته .. هجرته وهي لا تزال تحبه واستسلم لهجرتها وهو لا يزال يحبها دور أن يتحلى عن مسؤوليته عنها فلا يزال حتى اليوم يرسل لها مصروفها الشهري ..

والزوجة أيضا .. تدخل هذه الحرب وفقا لطبيعتها .. قد تكون طبيعة عنيفة لا ترحم الزوج لمجرد أن تتعلق عيناه بامرأة أخرى أو تمتد يده ليلمسها أو يطلق لسانه بكلمة لا تريح لها .. وقد تكون روجة كاملة الثقة بنفسها وبالبيت الذى أقامته وبقوة تأثيرها على الروح فنترك الروح وهو دائما بين أصابعها .. نتركه يلعب .. بعد أن تكون الحياة الزوجية قد وصلت إلى حد السماح للزوج باللعب مادام لا يخرج عن ميدان اللعبة .. وهكذا كانت زوجة محمود .. نتركه يلعب .. وكان مما يعيظ سعاد هو أن هذه الروجة تعتبرها لعبة لزوجها .. ولكن غيبتها وحقدتها وسخطها على هذه الزوجة كان يتحله دائما نوع من الاحترام .. إنها زوجة تفرص احترامها على زوجها وأيضا على عشيقه روجها .. وهي أحيرا ليست المرأة التى اعتدت على سعاد ، إن سعاد هى التى اعتدت عليها .. واغتصبت منها حقا من حقوقها على زوجها ..

ولذلك لم يطرا على سعاد بعد أن قرأت خبر وفاة شريفة هام إحساس بالشمانة أو العرحة بأن الله أراحها من صرتها .. من استكمال سعادتها

بجائنها .. بالعكس .. أحست بالحرر والأسمى يعنصران قلنها .. إن شريفة كانت جزءا من حياتها طوال كل هذه السنوات .. إنها زوجة حبيبها .. أصبحت حياتها مستكملة بوجود شريفة حتى تعودت على هذا الوجود .. بوصع الذى انتهت عليه حياتها رغم أنها وصلت إليه لوجود شريفة إلا أن شريفة لم تفرصه عليها بمعركة إنما بمجرد الوجود .. إن الإنسان أحيانا يعيش الهزيمة حتى يتعودها ولا يفكر فى السعى إلى النصر .. لأنها هزيمة فرضها الله ولم يفرضها عليه مخلوق .. كما فرض الله إرالة وجود شريفة ولم يكن أحد هو الذى أزال وجودها .. ليست سعاد هى التى أبعتها عن محمود حتى تفرج بالنصر ..

ويشتد حزن سعاد على وفاة شريفة وهى تتصور ما يعاياه محمود بعد وفاة زوجته .. لقد عاش عمره كله وهو بجانب هذه الروجة .. فكيف يجد عمرا يعيشه وهى ليست بجائنها ..

ولكن ..

لقد كان محمود يقول لها إنه يعيش حالتين .. حالة زواجه من شريفة وحالة حبه لها .. وكل حالة يشعر بها كمسؤولية كاملة مرتبطة بالمسؤولية الأخرى .. ومهما حمل من مسؤولية حبه لها فلا يجب أن يتخلى عن مسؤوليته عن زوجته .. لذلك لا يمكن أن يصل معها إلى أن يتزوجها لأن ذلك إخلال بمسؤوليته عن زوجته ..

ولكنه الآن ليس زوجها ولا يحمل مسؤولية الزوج ..

إنه الآن يعيش حالة واحدة ..

حالة الحب ..

وحالة الحب مادامت حالة منفردة بنفسها تفرض عليه مسؤوليتها أن يصل بها إلى حالة الزواج .

هل يتزوجها بعد أن ماتت شريفة .. ؟

أولاً.. هل لا يزال يحبها بنفس الحب الذي كانا يعيشان فيه وبه .. ؟

لقد مضى الآن أكثر من ثماني سنوات منذ هجرت لقاءه .. ثماني سنوات تكفي لتغيير كل ما فيه وكل ما فيها .. على الأقل تعودا على ألا يلتقيا .. إنها لم تره ولم يرها خلال كل هذه السنوات ولو صدفة .. ولكنه لم يقطع أبداً عن إرسال مصروفها إليها كل شهر مع السائق .. كما لم تنقطع أبداً عن التحدث إليه في التلفون وإن كانت تباعد بين المكالمات حتى تخعب من إلحاح أميتها أن تلقاه .. إنه لن يرفض لقاءها بل إنه كما قال لها يتمناه .. ولكنه لن يبدأ أبداً بطلب اللقاء حتى يترك لها حريتها التي قررت أن تنهها لبناتها تطهيرا لهن مما يقال عن أمهن .. وكانت أحيانا تؤكد لنفسها أنه مستمر في إرسال هذا المبلغ لها كل شهر لا لأنه مستمر في حبه .. إنما فقط لأنه يشفق عليها وهو يعرف حالتها المالية التي جعلها في حاجة مستمرة له .. ثم إن المبلغ الذي يرسله لها لا يشعره بالتضحية بالنسبة لثرائه وارتفاع دخله .. إنه لا يصح في سبيل الحب .. ولكنها تعود بعد أن تحادثه في التلفون وتشعر أنه لا يزال يحبها كما تحبه .. إنه لا يردد في التلفون كلام الحب ولا حتى لهجة الحب ، ولكن صوته الذي ينطق به والكلام الذي يقوله جادا يعبر عن إحساسه بها .. إحساس الحب .. وأكثر من ذلك .. كان قد اتفق معها على ألا يبدأ هو أبداً بالتحدث إليها في التلفون بما يتركها وحدها صاحبة الحق في التحدث إليه .. إمعانا منه في أن يكفل بها حريتها .. وكانت دائما تنسى أن يخرج عن هذا الاتفاق ويطلبها هو بالتلفون ولو مرة واحدة .. ولكنه لم يفعل أبداً ويتركها في عذاب استكمال كرامتها .. ولكنها كانت كلما حادثة أحست بأنه كان في انتظارها وأحست بفرحة بسماع صوتها .. فتعود وتحمل العذاب الذي كتب عليها ..

إنه لا يزال يحبها نفس الحب الذي عاش فيه كلاهما كل هذا العمر ..

ولكن ..

حتى مع هذا الحب كيف بطراً على بالها احتمال أن يطلبها للزواج بعد أن ضاعت منه زوجته ..

إنه قد وصل إلى الستين من عمره وتعدى الستين ببضعة شهور .. وهي وصلت إلى الخامسة والأربعين وثلاثة شهور .. ماذا يفعل العواجز بالزواج وما حاجاتهم إليه .. لا .. لا يمكن أن تطرأ فكرة الزواج على قلبه .. وهي أيضا لا تعتقد أنها تستطيع أن تتزوج بعد هذا العمر .. إنها لا تستطيع .. لا تحتمل .. ثم إن له ابنة تزوجت منذ خمس سنوات .. وأبنا لعله تعدى الثلاثين من عمره ، وهو الآن طبيب ناحح ومتزوج .. فكيف يستطيع محمود وهو في الستين أن يواجه ابنته وابنه بامرأة تحل محل أمهما .. كيف يبرر لهما زواجه ، وكيف يتحمل غضبهما عليه .. إن الأبناء لا يتحملون أبداً دخول رجل غريب أو امرأة عريضة عليهم .. وإن كان يقال إن الابنة من طبيعتها أن تتحمل زواج أمها من رجل آخر بعد أبيها ولكنها لا تتحمل زواج أبيها من امرأة أخرى غير أمها .. وإن طبيعة الابن على عكس الابنة .. فهو يحتمل أن يتزوج أمه من امرأة أخرى ولا يحتمل زواج أمه من رجل آخر .. ولعل اختلاف طبيعة الابنة عن طبيعة الابن هو اختلاف طبيعة أنثوية الجنس بين كل الإناث وكل الذكور .. وهي .. سعيدة .. إن لها بناتها الثلاث .. إثنين حتى لو فرض أن تزوجت محمود فإنها لا تستطيع أن تأخذ من تفرغها لهن لنمطي الزوج .. وهو تفرغ يستنزف كل ساعات يومها .. بهاره وليله .. فكيف تستطيع أن تنسى وتهمل مشاكل بناتها ولو ساعات من يومها تفرغ فيها للزوج .. مستحيل ..

وبعد أن مرت ثلاثة أيام على إعلان وفاة شريفة رفعت سماعة التلفون لتحدث محمود .. يجب أن تعزيه .. وكانت يدها ترتعش وهي ممسكة بالسماعة على غير عادتها .. وقالت في صوت منهجج :

- لا تدري مدى الصدمة التي صدمت بها عندما عرفت الخبر ..
وقال محمود وكأن صوته يقطر دموعه :

- كان الله رحيمًا بها ولم يكن رحيمًا بى لأنى لا أستحق رحمته ..
فقد توقفت شريفة فجأة دون أن يعذبها المرض وتعذبت أنا بالمفاجأة ..
صدمتي لم يمهّد لها الله لى ..

وقالت سعاد وهى تبكى فعلا :

- لقد كانت شريفة رغم كل شيء قد أصبحت فى حياتى .. وقد
أحسست بحياتى كأنها تنزف .. ولكن ليس المهم حياتى .. المهم حياتك
أنت .. تحمل ..

وقال محمود من خلال صوته الذى يقطر بالدموع رغم جلده وثباته :

- لا أدري كيف أتحمل ..

قالت كأنها تنصحه :

- البركة فى ابنتك وأببك ..

ولم يرد عليها محمود .. لم تسمع صوته .. كأنه ناه عنها بخياله فى
السماء وراء زوجته .. وقالت بعد فترة صمت :

- البقية فى حياتك .. ربنا معك ..

وأعادت سماعة التليفون فى رفق كأنها تخشى أن تمس أحزانه بصوت
إعادة السماعة ..

إنها لن تحادثه فى التليفون مرة أخرى ..

إنه الآن فى وضع جديد بالنسبة لها .. لقد أصبح أرمل .. أعزب ..
وقد يصور له حديثها فى التليفون أنها تحاول أن تقنعه بأن يستعين بها

للتخفيف عن نفسه ومله الفراغ الذى أصبح يعيش فيه .. ربما أحس بأنها
سُربت إليه لنشده إلى الرواح .. زواجها .. لا .. مستحيل .. إنه كما ترك
أحربة لها لتحدد علاقته بها فاليوم هى التى تترك له الحرية بعد أن نعيم
حاله ..

ومر شهر .. وشهران .. وثلاثة .. وهى لا تحادثه فى التليفون حتى
بعد أن يصلها المصروف الذى تعود أن يرسله لها لم تتصل به كعادتها
لتشكره .. وهى نفسها فى انتظار حديثه كل يوم وكل ساعة .. لمن يلجأ
بعد أن فقد زوجته إن لم يلجأ إليها .. وكيف يفكر وينسى حاله الجديد ..
وفكرها وحيلها يعصفان بها وتحاول أن تشعل نفسها بالنفزع لمشاكل
بناتها .. لقد أصبحت تفعل الدخول فى مشاكل بناتها وتثير موضوعات
ليست فى حاجة لإثارتها هربا بخيالها من صورة محمود ومن ابتظار أن
ينحدث إليها ..

وبعد ثلاثة شهور دق يوما حرس التليفون ..

وأُسِّرعت بالنقاط السماعة .. لقد تعودت خلال هذه الشهور أن تتعمد
أن ترد بنفسها على التليفون بعد أن كانت تتركه غالبا ليد البنات ..
إنه محمود ..

وقال محمود فوراً بصوته الجاد الرزى دون أن يبدو فيه ولوم وحرد
إقسامته تقنعه بأنه حُف من حزنه على المرحومة :

- أريد أن أراك ..

وفوجئت سعاد وقالت متلححة :

- لماذا .. خيرا ..

وقال دون أن تتعبير طبيعة صوته :

- لأن من حقى أن أراك ..

وقالت من خلال حيرة بدأت تلح بها :

- طبعاً .. من حقه دائماً أن ترانى .. ولكن مصت سنوات طويلة دون أن نلتقى ..

وقال كأنه يلومها على تردددها :

- لقد أصبحنا فى حالة جديدة بالنسبة لى وبالنسبة لك .. لذلك أطلب اللقاء ..

وقالت بصوت يرتعش :

- أين تريد أن نلتقى ؟

وقال بسرعة كأنه يأمر :

- فى شقتنا ..

وقالت كأنها تشفق :

- لا يا محمود .. لقد تغيرنا .. ويجب أن يتغير كل شيء تعودناه ..

لماذا لا نلتقى هنا عندى فى البيت .. إن البنات يعرفونك .. ويعرفون أننا لا نزال أصدقاء .. وسيعرفون بك ..

وقال محمود فى حسم :

- لا .. أريد أن نلتقى فى نفس المكان الذى التقينا فيه آخر مرة وخرجنا منه .. كأننا لم نفترق أبداً وكأننا لا نزال كما كنا ..

واشدت حيرة سعاد .. ماذا يعنى .. هل يتصور أن تعود إليه كحشيقة كما كنا وبنقيان فى شقة لقاء الموعد لا لقاء العمر .. إنها تريده أن يأتى لزيارتها فى بيتها .. لأنها تكون زيارة ترمز إلى وضع جديد .. إما أن ترمز

به جاءه يطلبها للزواج أو أن تكون مجرد زيارة صداقة .. صداقة ليس فيها مطالب ولا مسئوليات الحب .. وعاشقات تلح :

- أخرجوك .. لنلتقى هنا فى البيت ..

قال هى حذرة وهو يتكلم كصاحب حق :

- لا .. إنى مصمم على أن نلتقى فى الشقة ..

وقالت كأنها تستحديه :

إنى أخشى أن يعود كلام الناس بعد أن مكثوا .. وبناتى الثلاث على قرب زواج ..

وقال أمراً :

- تحملى كلام الناس يوماً جديداً .. لقد حصيت حساب كل شيء ..

وقالت وهى تتنهد فى استسلام :

- حاضر ..

وحددوا الموعد فى اليوم التالى .. كان يريد القاءها فى نفس اليوم .. ولكن الوقت لا يكفيها لإعداد نفسها لهذا اللقاء .. فقل أن يكون فى اليوم التالى ..

وطردت كل أفكارها الحائرة ونعرت كلها لإعداد نفسها لهذا اللقاء .. ووقعت أمام المرأة .. إنها لاتزال جميلة .. طبعاً ليس جمال شبابه ولكنه جمال الخامسة والأربعين من العمر .. ومدت أصابعها لتحسب خطوط تجاعيد بدأت تظهر تحت عيبتها .. وفوق جبينها .. ولكن صفها لايزال كما هو بلا تجاعيد .. إنها معروفة بحمل العقب .. ودارت بجسمها أمام المرأة .. لا شك أن للصف الأسفل قد أصابه بعض السمكة .. ولكن بهدائها .. يا مصيبنى .. لقد نهضت مهددة فوق صدره رغم أن أحد لم يكن

يمسحها طوال هذه السنين .. ربما كان أول ما يبدو عليه عمر المرأة هذا
بهذا .. ولكن لماذا تتعب نفسها بالكشف على كل ملامحها قبل أن تذهب
إليه ، إنها لن تذهب كما كانت تذهب .. لقد أصبحت امرأة أخرى ولا شك
أنه أصبح رجلاً آخر .. ورغم ذلك بذلت مجهوداً كبيراً في اختيار الثوب
الذي بدأت به وفي تجميل وجهها وعقص شعرها .. مهما كان .. إنه موعد
غرام في شقة لقاء الحب ..

وقررت أن تصارح بانيها ونقول لهن كل شيء كأنها تستأذنه .. يجب
أن نكشف لهن كل أسرارها كما تريد منهن أن يكشفن لها أسرارهن ..
وجمعت الثلاث وقالت وعباها مريختان وحمرة كحمرة حياء اللبت
الصغيرة تكسو وجنتيها :

- إنى ذاهبة للقاء محمود ..

وعلت شفاه اللبت ابتسامات الدهشة واستطردت سعاد قائلة كأنها
لا تريد أن نسمع منهن كلمة :

- إنكن تعلمن أنه لا يزال مسلولاً عني بل وعنا كلنا حتى اليوم ..
ولكننا كنا متفقين على ألا نلتقي .. ولكنه بعد أن توفيت زوجته أصبح متعباً
في حياته ويريد لقائي .. وأنا أحسن أن من واجبي أن ألقاه لعلني أستطيع
أن أحقق عنه .. ولكنه سيكون لقاء واحداً ولن أعود إلى أيام زمان ويعود
كلنا تحت رحمة كلام الناس ..

وخرجت وبانيها يودعنها صامات وعلى شفتي كل منهن ابتسامة ..
على شفتي سامية ابتسامة فرحة .. وعلى شفتي سميرة ابتسامة ساخرة ..
وعلى شفتي سهير ابتسامة مشقة .. كل منهن نحكم على حالة أمهن بحالتها
هي ..

وكانت تقود سيارتها في الطريق وهي مبهمة .. مسرحية .. نائية بين

حواطرها .. كأنها مقدمة على شيء جديد في حياتها .. كأن هذا أول لقاء
قدم عليه مع رجل في شقة لقاء .. وركبت سيارتها في شارع بعيد عن
العمارة .. لا تريد أن يرى أحد سيارتها بجانب عمارة شقة محمود .. وقد
نحلت ووصعت نفسها في المصعد وخطواتها ترتعش وتتلقت حولها كأنها
حشى أن يصطبها أحد وهي ترتكب جريمتها .. ولم تفتح باب الشقة
بالمفتاح الذي لا تزال تحتفظ به .. بل إنها همت أن تأخذ هذا المفتاح معها
فل أن تذهب ولكنها تعمدت أن تتركه بعيداً عنها .. إنها لن تدخل كصاحبة
شقة كما كانت أيام زمان .. ستدخل كامرأة غريبة .. وصغطت على
الجرس صفطة واحدة .. ثم نقرت على الباب نقرة هزيلة ..

وفتح محمود الباب .. وتعلقت عيناها به كأنها تسمرت على وجهه ..
إنه لم يتغير .. إنه محمود كما رآته أول مرة وآخر مرة .. وكما كانت ترى
الرجل الذي تحبه ..

ومدّ كل منهما يده إلى الآخر .. ولم ينحن ليقبلها ولم تلق نفسها عليه
لتقبله كما كانا يبدأ كل لقاء .. إنما تعلقت عينا كل منهما بالآخر وبين شفتيه
ابتسامة دون أن يدري أحد منهما ماذا تعني ابتسامته .. وتبادلا كلمات وهما
يجلسان دون أن يعي أي منهما ما يقول الآخر ..

وقال محمود وصوته حزين رغم ابتسامته التي يحاول أن يخفي بها
حزبه :

- ألا تعدين لي القهوة كعادتك ..

وقالت وهي ترحي عينيها في حياء :

- هل في البيت بن وسكر .. لقد غبنا عنه طويلاً ..

وقال وابتسامته تتسع :

- لقد جئت ليلة أمس وأعدت استكمال كل ما ينقص بيتنا ..

وريت في انبيها كلمة بيتا .. هل لا يزال البيت بيتا .. بها لا تدري
ولا تستطيع أن نفس أحسبها .. وقالت في ارتباك وعيها موحيا
- انتظر قليلا على القهوة .. إني لا أحس بعد بأنني عدت إلى البيت
وأحس أن الحبل الملتصق يقطع من بدى كل شيء أممك به ..

وسكت محمود برهة إلى أن احتفت ابتسامه من فوق شفتيه وقال :
- سعاد .. إني تعجب .. إني لم أعد أجد حياتي أو أعرف كيف أعيش
بعد أن تركتني شريفة .. لقد كنت كل حيوط الحياة التي أعيشها في يدها ..
لم أكن أدري كيف أكل وكيف أشرب وكيف ألبس ولا كيف أفرح
وأحزن .. كانت هي التي تعد لي حياتي .. ولا تترك لي إلا التفرغ
لعملي .. حتى أنت .. كنت أحس كأن شريفة هي التي تشرف ونعد حياتي
معك .. ومد تركتني شريفة وأنا أحس كأنني أصبحت عرييا في بيتي ..
لا أدري كيف أتعامل مع المهرج أو الطباخ .. ولا أدري كيف أنظم
مصرف البيت .. ولا أدري بعد أن أطلع ثيابي أين أصعها وكيف تعمل
وتكوى .. إني وحيد إلى حد الصياح حتى أتى فكرت أن أترك البيت وأقيم
في أي فندق ..

وقالت سعاد وهي متعفة عليه بقدر ما هي محروجة بعيرتها من هذه
التي كانت كل حياته بين أصابعها :

- لديك ابنك .. تستطيع أن تقم معها أو تقم معك وتوفر لك كل
ما كانت توفره لك المرحومة .. إن كل ما ينقصك هو أن تكون لبيتك ست
بيت .. وابنك تكون ست البيت ..

وقال في إصراار :

لا .. إني أحس بأنني غريب في بيت ابنتي .. وقد جاءت هي وأقامت
معى هي وزوجها وأولادها منذ تركتني شريفة وما لبثت أن أحسست بأن

لست أصبح بينها وأنسى غريب أقيم فيه .. كأنني أقيم في سبيور يقدم كل
شيء لخدمة ربائه .. إن ست البيت لا يمكن أن تكون مجرد موظفة كمديرة
عمال أو رئيسة مجلس إدارة .. إن ست البيت هي التي تعيش على أساس
باطها برجل البيت .. الارتباط العاطفي إلى آخر منها .. وتختلف ست
لست عن الأخرى في قدرتها على إسعاد البيت باحتلاف هذا الارتباط برجل
البيت .. وهو الارتباط يختلف عن ارتباط الابنة بأبيها أو الأخت بأخيها ..
به ارتباط الحب الكامل بين رجل وامرأة .. بين زوج وزوجته ..

وأحنت سعاد رأسها على صدرها وهي تفرك أصابع يديها بعضها
بعض كأنها ترنح .. إنها تفهم ما يقصده .. ولكن حطر على باله أن
يقاوم حتى تتأكد أكثر .. وقالت :

إنك نال .. كل ما هناك أنك في حاجة إلى وقت لتعود على حياة
جديدة .. وقد كنت أنا عندما ابتعدت عنك .. خيل إلي أنني لن أستطيع أن
أعيش امرأة وحيدة بلا رجل .. ولكنني تعلمت وعشت ..

ومد يديه واحتضن يديها المرتعشتين وقال كأنه يلومها :

- سعاد .. لا تكني على نفسك .. ولا نهري من الواقع الذي أصبح
بحمها .. إنك لم تتعودي على الحياة وحيدة ولكك تعيش وأنت تحسب
بأنك صالحة .. صالحة بأنك وصحيحة ..

وقد شاركك في الصحبة بأن حرمت نفسك .. ولكن اليوم ..
لماذا تستمر حياتنا كصاحبي .. لماذا لا نعيش كل حياتنا ..

وقالت وهي تقاوم انطلاق فوجتها :

- لقد تغيرنا ..

وقال وهو يصعصع على يديها يديه :

- الحب لا يتغير .. ولكن مطالب الحب هي التي تتطور .. إنى الآن وأنا عجوز أحبك نفس الحب الذى عشته فى شبابه .. ولكنك ستعاجنين بمطالب جديدة يطلبها الحب .. (واستطرد ضاحكا) .. سأطلب منك أن تنلكى ظهري كل مساء ..

وقالت وفرحتها فى ابتسامتها ولكنها تعتمد المقاومة :

الحب غير الزواج .. لقد كنا معا وأنا واثقة من حبك ولكيك كنت متزوجا من أخرى .. وقد كنت فى حاجة إلى كليباً لأن الحب يختلف عن الزواج ..

وقال كأنه يتوسل إليها :

- لقد كنت أعيش حالتين .. والآن أستطيع أن أجمع بينهما فى حالة واحدة .. زواج أساسه الحب .. لنزوج يا سعاد .. قولى إننا تزوجنا .. وألقت خدماً على خذه .. ومسح خدماً بشفتيه إلى أن وصل إلى شفتيه .

إنها ليست نفس قبلة أيام زمان .. ليس نفس الطعم ونفس ما تحركه فيها .. ربما كانت فرحتها تغطى على إحساسها بالقبلة .. أو ربما تطورت القبلة .. إنه يقول إن الحب لا يتغير ولكن مطالبه تتطور .. والقبلة من مطالب الحب .. وهمست من داخل القبلة :

- أنت نعلم أنها أمنية حياتى .. أن نتزوج ..

وقال وشفته تصععان بين شفتيها :

- وهو حلمى الذى أحلم به منذ أن التقينا ..

وقالت بعد أن تباعدت الشفاه :

- كيف نقول الخبر لأولادنا .. إنى واثقة أن بلباتى لن يعترضن على

زواجنا .. ولكن أولادك .. البست والولد .. إنهما كبار وقد لا يقتنعان بأن من حقا الزواج ..

وقال محمود بلا اهتمام :

- إنهما مسئولان عن إسعادى كما كنت مسئولاً طول العمر عن إسعادهما .. لا تهتمى بهما ولا تحسنى حسابهما ..

وترددت برهة فى إقناع نفسها بهذا الكلام ثم قالت كأنها تهرب من موضوع أولاده :

- وكيف نبدأ .. كيف بعد حياتنا بعد الزواج (وضحكت) .. أى بعد الفرح .. ؟

وقال فرحاً :

- مصنفيم فى هذه الشقة .. ستكون بيت الروحية كما كانت بيت الحب ..

وترددت قليلاً وقالت وهى تتهدد :

- إنى أفضل أن يكون للزوجية بيت آخر .. ونؤجر هذه الشقة معروشة أو نبيعها .. إنى أفضل أن أبدأ كل حياتى من جديد ..

وقال فى دهشة :

- كأننا نبيع نكرياتنا ..

وقالت مبسمة كأنها تداعبه بتذكيره بكل حياته :

- إن نكرياتك فى هذه الشقة تسبق نكرياتى .. وأنا أريد أن يكون لى ما لم يكن لأى امرأة أخرى دخلت حياتك .. ثم إننا لن نعيش النكريات إننا نعيش واقعاً حديداً يجمعنا ..

ويقال بعد نرحل :

— كما قريبين .. ولكننا لن نقيم في بيتي .. إن كل ما فيه ملك
للمرحومة .. وسأترك الشقة لابنتي لتعيش فيها مكان أمها — كما أننا لن
نستطيع أن نعيش في بيتك .. إني أعلم أنه شقة صيقة لا نسمع لنا ..

وقالت سقاطعة وهي تقيله بإبتسامتها :

— ولا أنا أريد أن أقيم في بيتك ولا في بيتي — أريد أن يكون كل شيء
جديدا على .. حياتي حياة أخرى عن كل ما عشته ..

وقال كأنه يتذكر ويحدث نفسه :

— إني أملك عمارة في المهديسين ستحلو فيها شقة نستطيع أن نقيم
فيها .. ولكنها لن تحلو قبل شهرين .. ولكني أريد أن يتم الزواج عدا أو بعد
يومين ..

وقالت سقاطعة وهي بصوت حزين :

— لا غدا ولا بعد يومين .. لا نفس أنه لم يمض سوى ثلاثة شهور
على وفاة المرحومة .. ماذا يقول الناس ..

وقال محكما :

— لا يهمنى ما يقوله الناس .. انهم سيقولون نفس الكلام سواء عدا
أو بعد سنة .. وكل من يعرفوننا يعرفون قصتنا ولن يعاجأوا بزواجنا ..
ولن يمس رواجي نكرى المرحومة شريفة فسأعيش نكرها العمر كله حتى
بعد أن أتروح .. كما كنت أعيش معها وأنا أحبك .. وسكتب الكتاب هذا
الأسبوع على الأكثر وبقى على أى شكل إلى أن نقيم بيتنا ..

وانتلت ريقها كأنها تنتلج روحا يقول لها إنه يعيش في ذكريات روحه
أخرى .. ثم ألقت نفسها على صدره وهي تهمس :

— كما تريد يا حبيبى ..

ومد ذراعيه يحتضنها فى صمت طويل ..

ثم ففرت من بين ذراعيه وهي تقول صاحكة :

— يجب أن أذهب الآن .. إن أمامى مهمة صعبة .. وهي إبلاغ البنات

بالخير .. وربنا يمتز ..

وقال وهو يقوم واقفا معها :

— سأنزل معك ..

وهزتها المفاجأة فقد كانت تعودت أن تسبقه وحدها حتى لا يراها أحد

معا .. ولكنه اليوم يريد أن يعلن أنهما دائما معا ..

واستسلمت فرحة .. وتحلت معه المصعد وذراعيها فى ذراعه

ونظراتها فرغرد كأنها تنبأه به .. وعند باب العمارة التقى بأحد السكان

بعرفه فتعمد أن يقف ويمد يده إليه بصافحه ثم يقدم له سعاد قائلا :

— المدام .. زوجتى ..

فرحت اليبات كل الفرحة عندما عرفت أن أمهن ستزوح محمود ..
وقالت ابنتها الكبرى سهير وكأنها تثرى نفسها وحظها :
- لست الآن امرأة فاشلة كما كنا نقول عنك .. لقد أصبحت امرأة
باححة .. عفالى ..

وقالت سعاد من خلال ابتسامتها كأنها تلقى درسا :

- لا فضل لى فى هذا النجاح .. ولم أكن أتمنى أن تموت زوجة حبيبى
حتى يتزوجنى .. ولكنه القدر .. ربنا وحده هو الذى رسم مصيرى ..
ولا أتمنى لواحدة منكن أن تقع فى حب رجل متزوج كما وقعت أنا حتى
لا تتعذب وتعانى كما تعذبت وعانيت ..

وكانت اليبات فى فرحتهن كأى كلا منهن هى التى تزوجت وليست
أمها وحدها .. كل منهن استشرت بأى زواج الأم سيحل مشكلتها ..
سيخرجها من هذا العالم الضيق الذى وضعتن فيه حالة أمهن .. عالم
المطلقات الوحيدات الذى يعتبر عالما منفصلا عن بقية العالم .. عالم كل
من فيه تائه لا يستطيع أن يحدد مكانه بين الناس .. ولا يستطيع أن يحدد
ما يفعله وما لا يفعله .. ولا يستطيع أن يحدد حقوقه ولا واجباته .. ولكن
بعد الزواح ستكون الأم وبناتها يعيش العالم الطبيعى .. العالم الذى يقبله
ويحترمه كل الناس .. ولن يعيشن مشاكلهن .. سيجنس لكل مشكلة حلا ..
سهير التى تركت الشاب الذى اختارته بعد أن حملت منه ستجد حلا ..
لا تدرى ما هو .. ولكنها متفائلة برواح أمها .. وسميرة التى اضطرت أن

نزوح حبيبها بلع في الحفاء وهما مفرقان لأنهما لا يستطيعان إيجاد بيت للزوجة ستجد حلا .. إنها أصبحت واثقة أنها ستجد حلا .. وسامية الابنة الصغرى التي ترفض أم حبيبها أحمد أن يتزوجها متعالية على أمها ومصيبها لا شك أنها سعيدة وتوافق بل تستجدي أن توافق الأم على رواج سنتها بابنها .. كل مشاكل الدنيا ستحل .. وهرحت البنات بذعن الخير بين كل صديقاتهن .. بل يدعنه في كليتهن الجامعة كأنه حدث وطني ..

«أبلغت سعد الخير لأمها وصديقتها هدى .. وفرحت الأم حتى أصبحت في مشيتها كأنها ترقص .. ثم ما لبثت أن تغلبت عليها أبايتها وجسماها وقالت لها بعد كثير من اللبالات :

- لا تنسى إيجار المشقة التي تسكنينها في عمارتي .. لقد حرمتني من إيجارها كل هذه السنوات .. وقد سجلت عليك إيجارا كل شهر .. عشرين جنيها .. وعلى زوجك أن يدفع ليعوضني عن خسارتي بك ..

وصاحت سعد :

- إن زوجي ليس مسئولاً عن أي شيء من حياتي قبل الزواج .. وقد كنت أتركك تسجلين ما تريدن وأنا واثقة أني لن أدفع أبدا .. إنك مسئولة عني إلى أن أتزوج ولن أترك زوجي يدفع مليما لك لو طلبت منه من ورثتي .. كوني أما يا أمي ..

وقفلت فرحة الأم على أنانيتها وقالت وهي تنتهد سخفا :

- أمرى الله .. ولا تنسى تصحية أمك .. ولا تفسني بعد أن تفتينني ..

ولحقت سعد لأمها .. إنها رغم كل ما قاسته منها .. ورغم أنها سبب كل ما علقته في حياتها .. إلا أنها أمها ..

«وقد فرحت صديقتها هدى بحدوث الزواج فرحة كبرى هي الأخرى .. ولكنها ما لبثت أن قالت :

- أخشى أن أخسر ك بعد أن تعيشي مع زوجك .. ولا يبقى لي شيء منك .. ومن وجد أحبابه غنى أصدقائه ..

وقالت سعد وهي تحتضنها وتزغرد بفرحتها :

- أنت عمري كله بلهذي .. وستفني لي مائتي من عمري ..

وكان محمود قد بدأ يتردد على البيت كل يوم .. ويرجع به البنات ويرجع بهن .. بل كن يائس في تنلبه كإن كل واحدة تحاول أن تكسبه لنفسها .. وفي أيام كان يفصل أن ينفيا في شقة اللقاء حتى يحلوا إلى بعضهما بعيدا عن البيت .. وكانت سعد في هذا اللقاء تحرص ألا تكون له كلها .. إنها مصممة على ألا تكون له إلا بعد عقد القران .. لا تريد أن يعيد الماضي كما كان فقد عودت على أن تهرب من هذا الماضي .. أن يعود إليه كلها إلا كروحة شرعية ..

واتفقا على أن يعقدا القران في بيت سعد ويبقى كل منهما في بيته إلى أن ينتها من إعداد بيت الزوجية في المهندسين . وقبل يوم القران بأيام جاء محمود لزيارتها وسعه ابنه وزوجته وابنته وزوجها .. حتى يعرفاها قبل القران كما تقضي الأصول ..

لا شك أن الابن وافق على زواج أبيه وفرح به .. أما الابنة فلا يمكن أن تكون قد وافقت إلا عصيا عهده ومصطرة اضطارا أن تعرف إلى زوجة أبيها في زرع وبرود وهي لا تحكاد تطلق بكلمة .. حتى بعد أن تعرفت إلى البنات لا تحاول أن تندمج معهن في كلمة .. وإذا استسحت فاستامننا صبيبة مفتلة كأنها مفروص عليها أن تنسهما .. إن البنات لا يمكن أن يفرحن أو يوافقن على زواج الأب بامرأة أخرى غير أمهن حتى لو كانت هذه الأم قد ماتت .. وحتى لو كان أبوهن لا يزال في حاجة إلى

الزواج .. وزوجة الابن وزوج الابنة .. إلهما لا يبدو عليهما الفرحة أو مجرد الترحيب بهذا الزواج .. لعل كلا منهما يفكر في تحول غريب عليهما يشاركهما في ميراث الأب الذى يتزوج .. رغم أن محمود كان قد صارح سعاد بأن كل ما يملكه مكتوب باسم ابنه وابنته .. الأرض والعمارات وحتى رصيده فى البنوك وهبه إلى ابنه وابنته .. إنهما أصحاب الحق فيه .. أما هى فقد كان يتكلم بها قبل الزواج بهذا الملغ الذى يمددها به كهدية .. وبعد الزواج سيكون لها نصيب فى كل ما يسعد على دخله .. وقد يستطيع أن يشتري قطعة من الأرض أو عمارة ويكنها باسمها ولها .. وهى لم تهم كثيرا بما يقوله لها .. إنها لم تفكر أبدا فيما يعود إليها من إرثه .. يكفيها أن يتزوجها وينتشلها من عالم المطلقات .. وقد عاشت لاتملك شيئا وتعودت ألا تملك شيئا .. كل ما كانت تحس بأنه بقصص هو أن تكون روجة .. ولكن يبدو أن عائلة ابنه وعائلة ابنته لا تكتفى بأن تحس حساب ما نرثه مما يملكه حاليا بل أيضا ما يمكن أن يحققه فى المستقبل .. لا يهم .. وإن كانت تتمنى أن يسود الهدوء بينها وبينهم حرصا على هدوء محمود ..

وتم عقد القران فى حفل عائلى ضيق صغير تسوده الفرحة .. فرحة بنات سعاد وأمها وصديقتها هدى ، وفرحة محمود .. بل وفرحة ابنه .. ولا يعكر الحفل سوى تبويضة ابنته إلى حد أنها خرجت والمأذون يقرأ الفاتحة وبكت فى الغرفة المجاورة ..

وتمت ليلة الدخلة فى شقة اللقاء ..

ما شاء الله .. إن محمود لم يتغير فى انطلاق حيويته رغم أنه أصبح رجلا فى الستين ..

وأصبحت كل ساعات يومها مزدحمة بالعمل .. ساعات لبناتها .. وساعات تذهب فيها إلى الشقة الجديدة لتشرف على إعدادها .. وبقيّة

لساعات مع محمود .. إنه يتناول الغذاء والعشاء معها فى البيت ثم يعود لي بيته لينام .. وأيام يستأنس البتة فى أن يقصص الليل معا فى الشقة الأخرى .. شقة اللقاء .. وتوافق السات طبعاً وهن ضاحكات ..

إلى أن انتقلا إلى شقة الزوجية ..

وبدأت كل المشاكل تحل ..

لم تكن مشاكل .. ولكنه كان وضعاً ناقصاً من أوضاع الحياة .. وضع يقصصه رجل .. وما كاد الرجل يحل فيه حتى استكمل الوصف كل ما ينقصه .. إن الرجل لا يكمل المرأة ولكنه يكمل صورة الحياة التى يعيشها المرأة .. وقد بدأت صورة حياة سعاد وبناتها تستكمل بعد أن دخلها محمود ..

وكانت سعاد قد اتفقت مع محمود على أن تعيش معها سهر وسامية فى الشقة الجديدة .. إنها شقة كبيرة وعرف النوم فيها مقسمة إلى جناحين .. جناح ليكون لها ولزوجها محمود .. وجناح للابنتين .. ولكنها لن تخصص للابنتين إلا غرفة واحدة داخل هذا الجناح الذى يصم عرفتيت .. إنها تريد أن تقع محمود بأن فى البيت غرفة لاستقبال ابنه أيضا إذا أرادت أن تقم معنا .. واعترض محمود .. إن ابنه لن تحتاج أبداً إلى الإقامة معها .. ولكنها أصرت على أن تكون لابنتها غرفة واحدة .. وعادت تقول لمحمود إنها ستخصص غرفة النوم الأخرى للصيوف .. والواقع أنها كانت تريد أن تجعل محمود يحس بأنها لم تستول على الشقة كلها لها ولبناتها .. إنما تقسمها بينها وبينه .. وتجعل له حقا فيها يوارى حقا .. ثم إن بناتها حتى اليوم تعودن أن يعيش معا فى غرفة واحدة .. كل منهن لم يكن لها أمل فى غرفة لها تبتعد بها عن أختيها إلا بعد أن تتزوج .. وهى تريد أن تحتفظ بهذا الإحساس حتى تسعى الابنتان إلى الزواج كما تزوجت أختها سميرة ..

إن أحبتهم تزوجت في السر وحزمت الأم من فرحتها برواح ابنتها ..
ولا تزال تعيش مفصّلة عن زوجها .. هي في بيتها وهي في بيته .. وابنتها
تقول إنها لا تشعر بأنها زوجة إلا في الحارة التي يقيم فيها زوجها عندما
تذهب إليه .. كل ذلك لأنها هي وزوجها لا يملكان ما يكفي لمجرد البحث
عن شقة يقيم فيها حياتهم الزوجية .. وقد حلت المشكلة .. لقد تنازلت
لها أمها عن الشقة التي كانت تقيم فيها في العمارة القديمة التي تملكها ..
ولكن الحدة .. أم الأم .. ثارت .. فهي لا تقبل أن تنزل عن إيجار الشقة
لحببتها كما تنازلت عنه لابنتها .. وخصوصاً أنها حفيذة لها روح يستطيع
أن يدفع .. ولكن سعاد استطاعت أن تتحايل على أمها حتى تركت الشقة
لابنتها على وعد بأن تدفع الإيجار .. وكانت سعاد تنوى ألا تدفع هذا
الإيجار .. لا لأنها لا تستطيع دفع الإيجار لأنها فقد أصبحت تستطيع ..
ولكن لا تستطيع أن تعي أمها من مسؤوليتها عنها وعن بناتها ولأنها تحس
بأن أمها رعم أنانيتها وحلها هي أم تنصر أمومتها في النهاية على أبايتها .
وفرحت سميرة وزوجها فرحة كبيرة عندما وجدا أحيرا الشقة التي
تجمعهم .. وقالت لها سعاد كأنها تنبأها بفضلها عليها :

- لا حاجة الآن لأن يسافر روجك ليعمل في المغرب ويسافر معي .

وربت سميرة بلهجتها الجادة وهي تركز نظارتها فوق عينيها :

- إن روجي بليغ يسافر ليعتج لنفسه محالا أوسع لممارسة العلم وجمع
خبرات ودراسات وتجارب جديدة .. وليس فقط لأننا لا نجد شقة نقيم
فيها ..

وقالت أمها سعاد ساخرة :

- الذي أعلمه أنه لم يبدأ البحث عن عمل في الحارج إلا بعد أن قرر
أنه لن يستطيع أن يجد شقة .. إن مشكلة الشقة هي التي تدفع أغلب الأساتذة

لشباب إلى البحث عن عمل في الحارج .. وإذا كان يريد أن يسافر إلى
الحارج ليرفع من دخله ويكتسب أكثر فإنه يستطيع أن يؤجل سفره على الأقل
إلى أن تحصلي على شهادتك .. عاما أو عامين .. وقد أصبحت حياتكم
مريحة كاملة ..

وقد كانت سعاد تتمنى فعلا ألا تسافر ابنتها مع زوجها إلى الحارج ..
يصعب عليها ألا تكون مطمئنة عليها وهي بجانبها كما تعودت منذ ولدتها ..
وقد أحل بليغ سفره فعلا وإن كان لم يعترف بأنه استعنى عن العمل في
الحارج بعد أن وجد شقة .. بل كان يقول إنه اكتشف أنه في حاجة إلى مزيد
من الدراسات في جامعة القاهرة ..

وبعد أن استقرت سميرة هي وزوجها في الشقة أقاما حفلا دعى إليه
أفراد العائلة وبعض أصدقائهما المقربين من أساتذة الجامعة ورميلات
سميرة في الجامعة .. حفلة إعلال زواجهما بعد أن كان قد تم منذ عام
قريبا .. والحدث الأكر هو أن أباها عزيز حصر الحفل ..

إن عزيز تعير تغيرا كبيرا بالنسبة لبنااته منذ تزوجت أمهم سعاد
بمحمود .. أصبح كأنه لا يريد أن يأخذ منه محمود بناته كما أخذ زوجته ..
وأصبح يتصل ببنااته كثيرا ويحاول أن يعرف كل شيء عنهم ، وإن كان
لم يعرف أبدا حكاية ابنه الكرى سمير .. وكان عزيز رافضا لزواج ابنته
سميرة من بليغ .. رافضا رافضا بابا وفي عطفه .. ولم تكن سميرة قد أبلغته
بأنها تزوجت فعلا ولكنه بعد أن بدأ يتغير ويبدل جهدا في التقرب إليها قالت
له .. واستطاعت أن تقنعه أو على الأقل استسلم للاقتناع حتى أنه حصر
هذا الحفل الذي أقامته لإعلال زواجهما .. كأنه لا يطيق أن يترك محمود
وحده في هذا الحفل وكأنه أبو البيت .. وقد قبل الاثنان اللقاء في الحفل ..
ولكنه كان لقاء باردا .. كل منهما يرفع عييه إلى الآخر كأنه يتحمل
مصيبة .. رعم أنه كان قد مضى أكثر من ثمانية عشر عاما منذ أن تركت

سعاد زوجها عزيز لتكون أحببها محمود .. ولكن عزيز لا يزال يحس بأن هذه المرأة كانت زوجته .. ومحمود لا يزال يحس بأنه أخذ زوجته من هذا الرجل ..

ولكن عزيز رغم كل ما تغير فيه لم يحاول أن يطلب من بناته .. أو على الأقل من البنين اللذين لم تزوجا بعد .. أن تتركاهما وتقيما معه ؟ وهو لا يزال وحيدا .. لم يتزوج .. ويعيش في فوضى عجز أعرب .. ولكن طبيعته لم تكن تحتمل أن يقيد حرية نفسه .. وأن يصحى بهذه الفوضى التي يعيشها .. وكل ما حدث من ناحيته بعد أن تزوجت سعاد أنه رفع من قيمة المبلغ الذي يمد به بناته ليعيش به .. كأنه لا يريد لهن أن يعتمدن على رجل آخر كما يعتمد أمهن .. وكانت هذه فرحة للبنات أسنهن كل ما يحملن من أبيهن وكل ما تركهن فيه بعابن مرططة الحياة .. أم سعاد فلم تفرح لرفع عزيز قيمة المبلغ الذي يكفل به بناته .. وتقبلته ساخرة .. أين كان طوال هذه السنوات دون أن يزيد مبلغا واحدا .. ربما كان كل ما دفعه إلى هذه الريادة هي غيرته من محمود .. زوجها محمود ..

وكانت سعاد منذ تزوجت وعاشت في بيت الزوجية وهي تعتمد أن تفتح بيتها من أوسع أبوابه للمجتمع .. للناس .. وكانت تتدل مجهدا كبيرا في التقرب إلى أصدقاء زوجها وزوجاتهم وكل من يعيش معه في مجال العمل .. كانت كأنها تغطي نقصا عائته طوال حياتها .. وكأنها كانت تريد أن تطرد من حياتها سمعتها بماضيها .. إنها لم تعد امرأة ذات ماض .. لقد تزوجت ماضيها .. أصبح ماضيها شرعيا بمجرد ورقة كتبها المأذون .. وكانت تحس أن الناس لا يزالون يلوثون سيرتها بل إليهم يفوتون عنها إنها من الخطورة والخطارة إلى حد أن احتطت الرجل وأجبرته على الزواج قبل أن يمر عام واحد على وفاة زوجته الأولى التي عاش معها كل هذا العمر .. وهي مطلومة .. إنها لم تسمح إلى زواج محمود بقدر ما كانت تتنمناه .. ولكنه هو الذي سعى إليها .. وربما سعى لحاجته إليها في تدبير

وتنظيم حياته أكثر مما دفعه حبه لها .. وهي تقاوم هذا الظلم بأن تقترب من الناس حتى يفتنوا بها كزوجة رائعة مثالية .. روحه رحل الأعمال بكل ما يريده المجتمع من زوجات رجال الأعمال .. وقد بدأ الناس فعلا يرفعون عنها الظلم .. ويعترفون بها كزوجة رائعة لرجل أعمال .. وربما لم يعترف الناس بها لكثرة ما تبذله في اكتسابهم إنما لشدة حاجتهم إلى زوجها محمود ..

وفوجئت سعاد بابتها سامية تدخل إليها مهللة وهي تصيح :
- أحمد سيأتي لزيارتك مع أمه ومع أبيه أيضا ..

ورفعت إليها سعاد عينيها وفيها فرحة هائلة .. إن أم أحمد كانت ترفض أن ترورها لأنها امرأة تعيش في بقايا ماضيها .. كانت ترفض رواح ابنها من ابنة امرأة ذات ماض بحجة أن الابنة توث ماضي أمها .. وكفى القدره على قهرها نطلع البيت لأمرها ، ولكن الماضي أصبح الآن واقعا مشرفا يسعى الناس إلى التقرب إليه .. ثم إن أنا أحمد رحل أعمال هو الآخر وأصبح يشرفه أن يناسب محمود حتى لو ناسبه برواح ابنه من ابنة زوجة محمود .. ورغم ذلك فسعاد فرحة بحل مشكلة ابنتها سامية ..

وقد جاء أحمد مع أمه وأبيه إلى بيت سعاد .. وكان محمود هو الرجل الذي يستقبلهم كأنه أبو البنت .. وتم الاتفاق بسرعة .. وأحمد يريد أن يتزوج حالا .. بعد شهر أو شهرين .. قل أن تتم سامية دراستها .. وسامية موافقة طبعاً .. وانتقلت الأحاديث بسرعة إلى حديث عمل بين محمود وأبي أحمد .. بينما سعاد وأم أحمد تتبادلان حديثاً مفتعلاً عن المجتمع وأحوال موصات الأزياء .. والبيت والولد يجلسان بعيدا ساخرين من المجتمع .. لقد كان الزواج سيتم حتى بغير الأهل ..

وكانت سعاد تعد لزيارة أخرى يشترك فيها عزيز أبو البنت حتى تعلن الخطوبة رسمياً .. ولكن عزيز ثار في وجه أمته وهي تتصل به .. إن من

يريد أن يحط بها للزواج فلبت إليه في بيته ليحطلها منه لا في بيت روح طليقته .. إنه لا يزال يعتبر سعاد طليقته ولا يريد أن يعرف بها روعة رجل آخر .. وقد ذهب أحمد وأبوه إلى بيت عزيز وربما ذهب الأب حرصا على مرصاة محمود لا تشرفا لمعرفة عزيز .. ربما لم لا محمود لما كان الأب قد وافق على زواج ابنه من ابنة سعاد حتى لو اضطرها أن يدروها بعيدا عنه .. لم يعد في سامية ما له قيمة وما يشرفها إلا أنها ابنة زوجة محمود عبد الرحمن .. الرجل الناحح .. المعروف .. المحترم ..

ولم يعد أمام سعاد إلا مشكلة ابنها سهير ..

وقد أصبحت سهير فتاة أخرى بعد ما حدث لها .. لقد كانت مصيبة وقعت على رأسها وأفاقها من كل ما هي فيه .. قاطعت صديقتها بعين .. إن عياف لم تهتم بما حدث لها وكأنها لم تحمل من رجل لم يتزوجها واضطرت إلى إسقاط الحبيب .. ماذا في هذا .. إنه شيء طبيعي يحدث بين البنات والأولاد .. وهرت سهير كل المجتمع الذي كانت تعيش فيه .. المجتمع الذي يعيش كل المصائب كأنها طابع كل الحياة .. ولم تعد تؤمن بالمساواة المطلقة بين البنات والولد كما كانت تؤمن .. المساواة في الحق واللاحق .. وأصبحت تؤمن بأن هناك فارقا كبيرا بين البنات والولد .. البنات تصل الحبيب في طفنها والولد لا يحمل .. فيجب أن يكون حق كل منهما منفصلا عن حق الآخر .. لا مساواة مطلقة بينهما في الحق واللاحق .. ولم تعد تركز كل إحساسها في أنها فتاة حميلة ولم تعد تعتمد أن تكشف عن إعرائها .. وأصبحت صنيعة بانسماتها وصحكتها بل أصبحت لا تتكلم كثيرا كما كانت عادت .. لم يعد يهمها الكلام .. أصبح لا يهمها إلا ما تفعله ..

وكانت بعد أن مضت شهور على مصيبتها قد بدأت تستطيع أن تواجه الناس .. بل إنها بدأت تستعيد التدريب في أحد السائقين الكباري إلى أن

حصلت فعلا على وظيفة مساعدة في مكتب الاستقبال .. وأصبحت حادثة مع كل من وما حولها .. إنها لا تحاول أن تحب أحدا من اللسان الذين يحيطون بها في الفندق .. وأصبحت تصد أي محاولة يحاولها أحد منهم لاجتذابها .. أصبح معروفا عنها أنها صب جادة .. منقطعة .. بل أحيانا ثقيلة الدم .. ولكنها لم تكف عن التفكير في الزواج .. إن الزواج كما تقول أمها هو ما تستكمل به البنات شخصيتها .. وهي في حاجة إلى استكمال شخصيتها .. ولكن كيف .. إنها لن تحاول أبدا تجربة كاللجربة التي مرت بها ..

إلى أن دخل رافت حياتها ..

إنه من عائلة محمود زوج أمها .. وقد تخرج في كلية التجارة وأصبح يعمل في شركات محمود مقربا إليه كأنه سكرتيره الخاص .. ومحمود يحبه وكان يتردد كثيرا على البيت وبعد فترة ينسى أنه سكرتير صاحب البيت ويبقى معهم كواحد من أفراد العائلة ..

وقد بدأ اهتمامه بسهير يزداد يوما بعد يوم حتى أصبح كأنه لا يأتي إلا لها .. وبدأت الساعات التي تجمعهما في أحاديث لا تنتهي تحيطهم بسعادة ترتفع درجة حرارتها .. حتى أصبحا كأنهما يتصارحان .. كل منهما يريد الآخر .. ولكن كلمتهما لا تزال حثورية لا تغل حبيب .. وهي تحبه .. إن رجلها السائق لم يكن حبا .. كان مجرد انقياد مقنع لتحقيق الزواج كما تنوهمه .. ولكنها تحب رافت .. إنه أول حب في حياتها .. ورغم ذلك فهي تتعبد الحرص على ألا تعطي شيئا مما كانت تعتقد أن من حقها أن تعطي .. لم تعطه طوال هذه الفترة قبلة .. بل لم تكن تترك يدها في يده .. تكفي الانتماءات والنفاه النظرات ليعرف كل منهما إحساس الآخر به ..

وأما تلحظ وتفهم ما بينها وبين رافت منذ بدأ .. وتسكت .. وكلها أمل

أن ينتهي ما بينهما إلى تحقيق حلمها الأكبر .. إنها أيضا تثق في رأفت
وتتساءل لابتها .. إلى أن صارح رأفت سهرير .. إنه يريد أن .. يريد أن
يتزوجها .. وهي قطعاً تريد .. ولكن بدأ تساؤل يسيطر على كل فكرها ..
هل تصارحه .. هل تقول له إنها ليست عذراء .. وتحكي له الحكاية .. أم
تجرى العملية التي تعيد لها عذريتها ..

واشتدت حيرتها حتى لجأت إلى أمها تسألها كأنها تستعيث بها . ولكنها
لم تسألها .. وقالت في إصرار ثائر :

- سأقول لرأفت كل شيء ..

وقالت الأم في دهشة :

- ماذا ستقولين له ..

وقالت بلهجة إصرارها :

- سأقول له إنني لست عذراء .. وأحكي له الحكاية ..

وقالت الأم وهي تتنهد في حسرة :

- إنه أحبك دون أن يعرف حكايتك وبأخذك على أنك عذراء ..

وقالت سهرير وهي تدبر وجهها عن أمها وكأنها تحدث نفسها :

- لا يمكن أن يكون حبه كاملاً إلا إذا عرفني كلتي دون أن أحفي عنه
شيئاً .. كما عرفته أنا كله حتى ما كانت له من علاقات مع البنات ..

وقالت الأم متتهدة :

- إن ما كان له من علاقات مع البنات لا يؤثر في حبه له ..
بالعكس .. إن البنت أحياناً تنتهي بأثر روحها كالعبود النساء وهي التي
انصرفت وأخذته مهر لها وحدها .. أما علاقات البنت بالأولاد قبل الزواج

فلا تصارح به البنت زوجها .. لأن الرجل يريد أن يتناهي بأنه أول رجل
في حياة البنت .. فاحسبي حساب كل ذلك قبل أن تصارحيه .. وبالأمر
فقط كنت أبا وصديقتي هدى نتحدث عن الطبيب الذي يجري عمليات إعادة
العذرية .. إنها عملية سهلة ..

وصاحت سهرير :

- لن أذهب إلى طبيب ليجري لي عملية لصق عذرية كاذبة كما يلصق
عامل الكاوتشوك قطعة من الحلد يسد بها العجلة الممزقة .. لا .. سأقول
له كل شيء .. وإما أن يحبني ويزوجني كما أنا .. وإلا فمن حقه أن
يسفني عني .. ومهما تعذبت فإني أستحق عقاب القدر ..

وقال الأم بجذبة :

- إذا كنت ستصارحيه فيجب علي أنا الأخرى أن أصارح زوجي
محمود .. لقد صارحته بكل أسراي وأسرار بناتي ولكنني إلى الآن لم
أصارحه بسر .. لأنني كنت أحس أنه سر ليس ملكي وحدي ولكنه ملكك
وأنت التي تقرر المصارحة .. ثم إنه السر الذي أهرب من بريده حتى
أمام نفسي .. ولكن الآن يجب أن أصارحه بالسر قبل أن تصارحي به رأفت
ابن أخته .. فهو المسئول عن زواجكما . إذا تزوجتما ..

وقالت سهرير وهي تجرى من أمام أمها :

- إنني مصممة على مصارحة رأفت مادام لا يزال مصراً على
الزواج .. وصارحي أنت أوتكل محمود .. إن زوجك أيضاً يجب أن
يعرفني ويقلني في بيته كما أنا ..

وصارحت سعاد زوجها محمود بسر ابنتها .. وقال محمود بعد أن
استمع لها في دهشة :

- إن ابن أختي رأفت يلح على برغبته زواج سهرير .. وكنت أؤجل

الحديث معك حتى أنفرغ لهذه الفرحة الجديدة .. ولكنى الآن يجب أن أنقل إليه ما سمعته منك .. حتى لا يعتقد ابن أختى أننا اتخذناه لتغطية عار .. خصوصاً وأنه قد يسمع الحكاية من الخارج .. وقد يفلجأ بها عندما يكتشفها بنفسه ليلة زفافه إلى سهير .. إن الأفضل أن نصارحه حتى يعلم أنى لم أتزوج هذا الصنف من الناس ..

رأحت سعاد كأنه يحملها هي المسئولية وكأنه يعينها هي وهو يشير إلى هذا الصنف من الناس ..

وقالت فى انهيار :

- صارحه أنت .. ولن ألومه إذا عدل عن الزواج ..

وقد استدعى محمود ابن أخته رأفت فى نفس اليوم وبدأ فى مصارحته وما كاد يصل إلى كلمات يفهم منها رأفت ما يريد أن يقوله حتى قاطعه قائلاً :

- إنى أعرفه كل شيء ..

وقال له محمود فى دهشة المفاجأة :

- كيف عرفت .. ؟

وقال رأفت فى هدوء من خلال ابتسامته :

- سهير صارحتنى بكل حكايتها .. وأنا مازلت مصمماً على أن أتزوجها .. أتزوج سهير .. إنى لا أتزوج ماضيها ولكنى أتزوج مستقبلها معها .. وأنا مطمئن إلى هذا المستقبل ..

وقال محمود وهو لا يزال فى دهشة :

- أرجو ألا تتزوج مراعاة لى ومراعاة لرضاء أمها سعاد .. إن سعاد نفسها قالت لى إنها لن تلومك إذا عدلت عن الزواج ..

وقال رأفت وابتسامته تتسع :

- إن من بينى مستقبله لا يقيد نفسه بمراعاة أحد حتى لو كان أباه أو أمه .. والزواج مستقبل .. وأنا كما قلت مطمئن ومقتنع بزواجى من سهير .. وأنت يا عمى .. لا شك أنك عندما تزوجت عمتى سعاد لم تتزوج ماضيها ولكنك تزوجت مستقبلك معها ..

وتنحج محمود كأنه يطرد إحساساً بأن رأفت ينكره بأنه تزوج هو الآخر امرأة لها ماضى .. وإن كان ماضيها مع ماضيه .. وقال مستملاً :

- على بركة الله يا بنى ..

• •

لم يعد هناك شيء ينقص سعاد .. إنها فى قمة السعادة .. إنها فى الجنة .. لم تعد المرأة تعانى جروح ماضيها وتخاف من هذا الماضى أن يتعمس بذاتها .. لقد أصبحت زوجة يحسدها كل الزوجات .. وسيدة مجتمع رائعة ناجحة .. وبناتها الثلاث قد انتهت كل منهن من رسم مستقبلها وتزوجت .. وكل أيامها ضحكات ..

والكنها غالباً ما كانت تحس بأنها تفعل هذه الضحكات ..

هناك شيء اكتشفته بعد الزواج ..

إن محمود الذى تزوجته غير محمود الذى كانت تحبه .. إنه شخص آخر .. شخص يخيل إليها أنها لم تعرفه إلا على يد المأثورين وهو يعتقد العقد .. ربما كانوا أيام زمان لا يبيحون لقاء المرأة بالرجل إلا فى ليلة الزفاف وبعد عقد القران لأنهم كانوا يعرفون أن الرجل الذى يفزج له شخصية أخرى غير الرجل الذى يحب حتى لو تزوج حبيبته .. وربما كانوا يشفقون على للمرأة من أن تختار بين الشخصيتين فحسبوا على

ألا يعطوها إلا شخصية واحدة .. شخصية الزوج .. وحرصوا على أن يولد الحب مع الزواج .. حتى يكون للحب والزواج شخصية واحدة .. إن الناس لا تزال حتى اليوم مقتنعة وتردد دائما أن الحب الذي يولد بعد الزواج يشب أقوى وأكثر صحة من الحب الذي يولد قبل الزواج .. إن الحب بعد الزواج يعيش العمر كله أما الحب قبل الزواج فلا يعيش إلا إلى أن يتم الزواج ..

وقد كانت تعرف وتقدر الفارق الكبير بين مسئوليتها كزوجة ومسئوليتها كحبيبة أو كعشيقة .. إن مسئولية الحب هي مسئولية اللقاء وما يمهده وما ينتهي إليه هذا اللقاء .. ولكن مسئولية الزواج هي مسئولية الحياة كلها .. الحياة بكل دقائقها وبكل نواحيها .. وقد بذلت كل ما وهبها الله من طاقة لتحمل هذه المسئولية .. مسئولية الزوجة .. وجعلت كل حياتها هي حياة محمود .. وكل ما في قلبها هو الإحساس بمحمود .. وكل ما في فكرها هو إسعاد محمود .. حتى مشاكل بناتها لم تعد تفكر فيها إلا من خلال الفكر الذي يحتله محمود ..

ولكن محمود تغير حتى أصبحت حائرة فيه .. تغير عن محمود الذي كانت تحبه .. إن الحب بلا زواج يعيش وهو خائف على نفسه من الضياع .. فالحب بلا زواج لا يحقق ملكية الرجل للمرأة وملكيتها المرأة للرجل .. إن الحب نوع من التطوع العاطفي .. الرجل يتطوع بعواطفه للمرأة .. كما يتطوع للقتال في سبيل وطنه .. إنه ليس مجندا للقتال بحكم الشرعية ولكنه متطوع .. والهدف واحد بين الحب والحرب .. وهو الاستجابة إلى إحساس عارم طاع يسيطر على صاحبه .. الإحساس بحب امرأة أو بحب الوطن ..

أما بعد أن تزوجها محمود فقد أصبحت ملكه شرعا .. ملكه بحكم القانون .. ولم يعد يخاف أن تصيب منه كما كان يخاف .. لم يعد تحس منه بهذه اللهفة التي تعودتها منه وهي معه .. حتى قبلاته لم يعد فيها هذه

اللهفة .. حتى وهي معه وفي أحصانه فوق الفراش لا تحس بنفس حرارة اللهفة .. إن فراش الزوجية يكاد يكون فراشا روتينيا تنام فيه كما تجلس على مائدة الطعام .. تأكل لأن الحياة تفرض عليك الأكل .. فراش الزوجية غير فراش الحب الذي تطفئ عليك فيه اللهفة وتحس أنك تطير إلى السماء لتغتصبها .. ماذا يدفعه إلى اللهفة وهو زوجها .. إن الإنسان لا يتلهف إلى ما يملكه بين يديه لهفته إلى ما لا يملكه إلا بأمنيته ..

وكانت أحيانا تلوم نفسها عندما تحس بهذه الأحاسيس وتخطر عليها هذه الخواطر .. إنها لا يمكن أن تقارن بين الأيام التي كانت تعيش فيها حب محمود والأيام التي تعيشها معه كزوجين .. هناك فارق العمر .. محمود تعدى الستين وهي قد تعدت الخامسة والأربعين .. ولكن محمود سبق أن قال لها إن الحب لا يتغير مهما طال العمر إنما كل ما يتغير فيه هي مطالبه .. مطالب الحب .. ولكنها تخشى أن يكون ما تغير في محمود ليس مجرد مطالب الحب ولكن ما تغير هو الإحساس بالحب .. إن إحساسه بها أصبح باردا خافئا كإحساس موظف قديم بمسئوليات وظيفته .. وهو ما يؤكد لها الخاطر الذي يخطر لها أحيانا .. إن محمود لم يدفعه إلى زواجها مجرد الحب إنما كان الأقوى في دفعه إلى الزواج هو حاجته إليها لتعينه على تدبير حياته .. لتكون ست بيت .. مديرة إدارة البيت .. موظفة يحتاج إليها .. خادمة له ..

وهي واثقة أنها ست بيت ممتازة .. إنها منذ صغرها وهي متخصصة بكل عقلها وبتحركات أصابعها في الإشراف على البيت .. بيت أمها .. ثم بيت زوجها السابق .. ثم بيتها وحدها مع بناتها .. والآن بيتها مع محمود .. ولكن محمود لا يراعي إحساسه بها كمت بيت .. إنه لا يزال بكل إحساسه مع زوجته الأولى شريفة .. لم يستطع أن يحقق ما كان يقوله من أنه سيجتمع بين الحالتين .. حالة الحب وحالة الزواج .. حالته التي كانت معها وحالته التي كانت مع زوجته المرحومة .. وكان الجمع بين الحالتين يتطلب أن

ينسى ويتحرر من إحداهما .. أن يتحرر من إحساسه بزواجه الأولى ولكنه لم يتحرر من هذا الإحساس .. لعله لا يستطيع بعد أن عاش كل هذا العمر مع شريفة وتعود عليها حتى لا يزال يعيش معها بعد أن ملئت .. إنه بلا تعدد وبلا انفعال وبصوت عاذي يقارن كل ما يجرى في البيت بما كان يجرى في بيته أيام شريفة .. لقد كان مرة يناقشها في تحديد مصروف البيت حسب النظام الذي وضعه لتنظيم مصروفاته .. وقال بلا تعدد :

- لقد رفعت مصروف البيت عما كنت أخصمه لشريفة .. كنت مطمئنا إلى أنها شاطرة في حسابات المصروف .. إلى أن أطمئن إليك أنت الأخرى ..

وتحملت الجرح الذي شقعه في صدرها بصمت وبابتسامة كالحة .. وفي يوم آخر وهما يتناولان الغداء ويقطع قطعة اللحم بالشوكة والسكين قال :

- هذا اللحم مبالغ في شيء .. عودتني شريفة على اللحم نصف شواء ..

واقترب منها يوما وهو يرتدى ملابس الخروج قائلا من خلال ابتسامة واسعة كأنه يحادث صديقة أو يحادث أخته أو أمه :

- عودتني شريفة أن تربط لي الكرافت فأربطها لي ..

وربطت له الكرافت وهي تقتصب ابتسامة من قلبها المجروح .

وطول يومه يقارن بين حياته معها وحيلته مع المرحومة شريفة ..

ولكن يجب أن تحتمل .. يجب ألا تنكر السعادة التي حققها لها .. لماذا اختارها ليتزوجها هي ؟ لتكون مجرد ست بيت .. إن أي امرأة أخرى يمكن أن تصلح لتكون ست بيت .. وتظل هي في حياته مجرد تكريات يعتر بها

ويدفع لها ما يعينها على الحياة كثرمن لهذه الذكريات كما ظل يفعل ثمانى سنوات وأكثر .. ولكنه إذا كان قد اختارها كزوجة فلا شك أنه لا يزال يحبها مهما تغير إحساسه بهذا الحب ..

يكفى أنه انتشلها من جهنم حياتها كامرأة مطلقة إلى جنة حياتها كزوجة ..

إن حياة المطلقات جميع ..

حتى إذا انطلقت السنة النار في حياة زوجة فهي أرحم وأخف من نار جهنم التي تعيش فيها المطلقات .. وقد مرت عليها سنوات وهي تندم على أنها طلقت زوجها الأول رغم أنها لم تكن تحبه ورغم أنه كان يعذبها .. ولكنها كانت تندم بعد أن عاشت جهنم المطلقات ..

«إنها اليوم سعيدة ..

ومهما خطر عليها مما يجرح إحساسها واعتزازها بنفسها فهي سعيدة .. وبذاتها معيدات .. وستبقى إلى آخر العمر سعيدة .. لأنها ستبقى إلى آخر العمر زوجة ..

لن تلقى بنفسها أبدا ومهما حدث في جهنم المطلقات ..



رائحة الورد .. وأنوف لا تشم

فى أسلوب روائى جذاب يشد إحسان عبد القدوس القارئ إلى مشكلة خطيرة تعصف بحياة كثير من الأسر، وهى مشكلة الطلاق، ويجعله يعمل الفكر فى هذه القضية يعد أن ينتهى من قراءة هذه الرواية التى اختار لها عنوانا «رائحة الورد .. وأنوف لا تشم».. وميزة أدب إحسان عبد القدوس أن القارئ لا يضرغ منه بمجرد قراءته، بل إن هذه القراءة ليست سوى البداية لرحلة من التدبير والتفكير العميق فى كافة الظواهر المحيطة بحياتنا والتى يطرحها المؤلف بسلاسة واقتدار.

وأعمال إحسان عبد القدوس، ٥٩ كتابا، نجحت فى طرح كافة جوانب حياتنا المعاصرة بكل تعقيداتها، وحظى العدد الكبير منها الذى تحول لأفلام سينمائية وتلفزيونية بنجاح كبير على امتداد الوطن العربى لأصالة ما يثيره وما يناقشه وتفرّد أسلوبه الروائى.

الناشر

من كتب إحسان عبد القدوس الأخرى التى نشرها المركز،

- | | |
|------------------------|-----------------------------|
| ١ - كانت صعبة ومقرورة | ٢ - الهزيمة كان اسمها فاطمة |
| ٢ - فوق الحلال والحرام | ٨ - وتاهت بعد العمر الطويل |
| ٣ - لمن أترك كل هذا | ٩ - لن تعود أيام زمان |
| ٤ - وكر الوطاويط | ١٠ - الراقصة والسياسى |
| ٥ - ونسيت أنى امرأة | ١١ - العذراء والشعر الأبيض |
| ٦ - بنت السلطان | ١٢ - الوسادة الخالية |

